بسم الله الرحمن الرحيم
قام الطالب / بندر محمد رشيد الهزاني
بإجراء التصحيحات التي أشار بها أعضاء
لجنة المناقشة
عضو اللجنة　　عضو اللجنة
أحمد السيد دراج
١٨/٨/١٤٠٩هـ　　١٤٠٩هـ
١٨/٨/١٤٠٩
فواز علي الدهاس

وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

علاقات مكة المكرمة الخارجية في عهد أمراء الهواشم

٤٥٦ - ٥٩٧هـ
١٠٦٣ - ١٢٠٠م

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي

إعداد
بندر محمد رشيد الهزاني

إشراف
الدكتور فواز علي بن جنيدب الدهاس



مكة المكرمة

١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م



بسم الله الرحمن الرحيم
وقل رب زدني علما

شكر وتقدير

الحمد لله القائل في كتابه الكريم : { لئن شكرتم لأزيدنكم } .

فالحمد والشكر والثناء لله عز وجل الذى أعانني ووفقني الى اكمال هذا البحث .

ثم أتقدم بوافر الشكر وعظيم التقدير والامتنان الى أستاذى الفاضل الدكتور فواز علي الدهاس على تفضله بالاشراف على هذه الرسالة وعلى ماقدمه من توجيهات علمية قيمة ، وجهود متواصلة كان لها أكبر الأثر في اخراج هذا البحث بصورة واضحة ، فله مني الشكر والتقدير وجزاه الله تعالى خير الجزاء ووفقه لما يحبه ويرضاه .

كما أتوجه بشكرى الى ادارة جامعة أم القرى ممثلة في مديرها معالي الدكتور راشد الراجح وسعادة الدكتور سعد بن حميد السبيعي وكيل الجامعة ، والى سعادة عميد كلية الشريعة والدراسات الاسلامية فضيلة الشيخ الدكتور سليمان التويجرى فجزاهم الله عنا خير الجزاء .

وأخيرا فانني أتوجه بالشكر والتقدير للجنة المناقشة التي تفضلت مشكورة بقبول الرسالة ومناقشتها ولكل من أسهم في اخراج هذه الدراسة ... ولله الحمد من قبل ومن بعد .

الباحث

بندر محمد الهمزاني

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد ... فهذه الأطروحة التى اتقدم بها لنيل درجة الماجستير فى التاريخ الاسلامى تتناول دراسة موضوع "علاقات مكة المكرمة الخارجية فى عهد أسرة الهواشم ٤٥٦-٥٩٧هـ" . فالموضوع كما هو واضح من عنوانه مختص بدراسة تاريخ منطقة معينة وهى مكة المكرمة ، وفترة زمنية تمتد حوالى قرن ونصف من الزمن .

فكما هو معروف أن بلاد الحجاز عامة ومكة المكرمة خاصة كانت ولازالت وستظل تتمتع بأهمية عظيمة ، فمن تلك المنطقة انبثق نور الاسلام الى بقية أنحاء العالم ولذلك حرص المؤرخون الأوائل على تناول دراسة تاريخ بلاد الحجاز من شتى جوانبه وخاصة الفترة التى كانت فيها بلاد الحجاز مركزا للنشاط السياسى والاجتماعى والعلمى والثقافى على السواء وذلك منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وحتى منتصف القرن الثانى الهجرى .

ولكن منذ أن انتقلت العاصمة الاسلامية الى دمشق فى عهد الخلافة الأموية ثم الى بغداد فى عهد الخلافة العباسية ، بدأ

المؤرخون يولون تاريخ تلك المناطق جانبا كبيرا من الأهمية فلم تعد مؤلفاتهم تمدنا عن تاريخ مكة الا بالنزر اليسير مقتصرين على مايتعلق بتاريخ تلك المنطقة من الناحية الدينية كاقامة الحج للناس ، واصلاحات الخلفاء والأمراء والسلاطين التى قاموا بها فى الأماكن والمشاعر المقدسة ، أما الأحوال السياسية والاقتصادية والعلمية فنادرا ماتشير تلك المصادر اليها .

ثم ظهر فى القرن الثالث الهجرى مصدران هامان عن تاريخ مكة اذ تخصص كل من المؤرخين الأزرقى المتوفى سنة (٢٥٠هـ) ، والفاكهى المتوفى سنة (٢٨٠هـ) ، فى دراسة تاريخ مكة فى تلك الفترة ، وأصبح كتاباهما من المصادر المهمة للباحث فى تاريخ مكة طوال القرون الثلاثة الهجرية الأولى ، وتعد وفاة هذين المؤرخين بداية لدخول تاريخ مكة فى غياهب الاهمال والنسيان (١) ، واستمر ذلك النسيان قرابة خمسة قرون ، بسبب ضياع الكثير من المؤلفات التى ألفت خلال هذه الفترة (٢) .

ثم قيض الله لمكة مؤرخ من أبنائها فى القرن الثامن الهجرى هو تقى الدين الفاسى الذى عمل على تتبع تاريخ مكة منذ العهود الاسلامية الأولى حتى أوائل القرن التاسع الهجرى وذلك محاولة منه لاكمال تاريخ مكة وخاصة الفترة المجهولة

---

(١) عبد الله عقيل عنقاوى : المؤرخ تقى الدين الفاسى وكتابه شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، بحث ألقى فى الندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية ضمن مجموعة أبحاث مصادر تاريخ الجزيرة العربية ، الرياض ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) ٢/٦٣ .

(٢) انظر : شمس الدين السخاوى : الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، بيروت ، ١٣٩٩هـ ، ص ١٣٢-١٣٣ .

الواقعة بين القرن الثالث والقرن الثامن الهجرى فألف كتابيه "شفاء الغرام" ، و"العقد الثمين" ، وعلى الرغم من أن ذلك المؤرخ ومن جاء بعده من المؤرخين المكيين كابن فهد[(١)] وابن ظهيرة قد تناولوا تاريخ مكة من جميع جوانبه الا أن بعض المعلومات التى تتعلق بتاريخ تلك المنطقة قد أسقطت من مؤلفات هؤلاء المؤرخين وأثبتت فى بعض مصادر التاريخ العام.

وكان اختيارى لموضوع "علاقات مكة الخارجية فى عهد أسرة الهواشم" ناتجا عن قراءتى المستمرة فى تاريخ تلك المنطقة فرأيت أن أكتب فى هذا الموضوع نظرا لأهميته ولأن الحاجة ماسة وملحة لجمعه من أمهات الكتب ومن ثم وضعه تحت عنوان واحد .

وكانت المكانة السياسية المرموقة التى تمتعت بها مكة المكرمة فى عهد أمراء الهواشم أهم الدوافع التى جعلتنى أكتب فى هذا الموضوع وفى تلك الفترة المحددة بالذات لأن هذه الأسرة العلوية قد عاصرت عدة دول اسلامية كبرى كالدولة العباسية ببغداد ، والدولة الفاطمية بمصر ، والدولة الصليحية باليمن ، وكانتا الخلافتان العباسية والفاطمية متنافستين أشد التنافس حول السيادة والنفوذ والخطبة بمكة اذ كانت كل واحدة من هاتين الخلافتين مستعدة كل الاستعداد لانفاق أموالها وثرواتها فى سبيل الحصول على وعد من أمير مكة بأن يقيم الخطبة لها على منابر مكة والمشاعر المقدسة وأصبح حلم كل من الخلافتين منصبا على أن تكون مكة تحت

---

(١) حول مزيد من هذه الدراسة أنظر : الفاكهى : أخبار مكة ، تحقيق د. فؤاد الدهاس ، ١/١٣، ٨٧، ١٠٥ .

نفوذها وسيادتها واشرافها ، وكان الطرف الثالث والمستفيد من هذا التنافس والنزاع أمراء مكة الهواشم الذين كان بيدهم كل شيء وباستطاعتهم اقامة الخطبة لأي خليفة يريدونه وكان ذلك التنافس والصراع الدائر بين الخلافتين على السيادة بمكة قد دفعني الى البحث عن الاجابة على كثير من التساؤلات التي كانت تراودني اثناء قراءتي في المصادر المتفرقة فمن ضمن هذه التساؤلات :

* معرفة الدوافع وراء تنافس الخلافتين العباسية والفاطمية وحرص كل منهما على فرض سيادتها ونفوذها على مكة المكرمة ، وماهي الفائدة التي تعود عليهما من ذلك ؟

* وهل استطاع أمراء الهواشم أن يستغلوا ذلك التنافس لصالحهم ؟ وماهي أهم الأمور والمكاسب التي حققوها من وراء هذا التنافس ؟

* وماهو موقف أهالي مكة المكرمة من هذا التنافس وماذا كان أثره على أوضاعهم الداخلية وأحوالهم المعيشية ؟

* وماهي الأهداف الحقيقية التي يسعى اليها الأمير علي ابن محمد الصليحي من خلال استيلائه على مكة ؟ وهل كان يقصد من ذلك تثبيت السيادة الفاطمية على مكة وحرمان العباسيين من تلك السيادة ؟ أم انه كان يسعى لتحقيق أهدافه الخاصة التي ترمي الى ضم بلاد الحجاز كلها الى مملكته ؟

* وهل كان سقوط الخلافة الفاطمية بمصر على يد الدولة الأيوبية نهاية ذلك النزاع وتلك المنافسة ؟ وماهو موقف أمراء الهواشم من تلك الدولة الجديد التي ورثت حكم الدولة الفاطمية ؟ وهل كانت تلك الدولة الجديدة طرفا آخر في

التنافس مع الخلافة العباسية على الخطبة بمكة ؟

فكانت هذه التساؤلات دافعا الى البحث عن الاجابة عليها وعلى كثير من الأمور والمسائل والأحداث التي لم توضحها المصادر التي تناولت تاريخ مكة .

ومن أهم الأسباب التي دفعتني أيضا الى اختيار هذا الموضوع جدته وحداثته وذلك أملا في الوصول الى نتائج مرضية تخدم البحث والباحثين المهتمين بتاريخ هذه المنطقة .

أما أهم الصعاب التي واجهتني اثناء اعداد هذا البحث فهي ندرة المعلومات وتفرقها في المصادر المكية ومصادر التاريخ العام وكتب الجغرافيا وكتب الرحلات فكان لزاما أن أطلع على تلك الكتب وأستخرج ماورد فيها من معلومات تتعلق بموضوع البحث ، ومما لاشك فيه أن هذا الموضوع يستلزم الاطلاع على جميع المصادر التي اهتمت بذكر تاريخ الدول والمدن التي كانت على اتصال بامارة مكة المكرمة وذلك لكي نستشف منها المعلومات التي لها علاقة بموضوع البحث .

وقد كنت أقوم بقراءة كتب بكاملها من بدايتها الى نهايتها وأخرج منها بمعلومات نادرة جدا وأحيانا كنت أضطر الى قراءة كتب لها أكثر من جزء ولاأخرج منها بأية معلومة لها صلة بموضوع البحث .

وقد مرت بي فترة من الزمن أيقنت فيها بعد قراءاتي في بعض المصادر أن المعلومات التي توفرت لدي لاتفي بحق بعض النقاط والمباحث المرسومة في خطة البحث ، ولكن تلك المصاعب التي واجهتني لم تضعف من عزيمتي على مواصلة البحث فحاولت تخطي كل الصعاب وتمكنت بفضل من الله بعد اطلاعي على

عدد كثير من المصادر والمراجع العربية والرسائل العلمية والدوريات من جمع المادة العلمية المطلوبة ، وقمت بدراسة ومناقشة وتحليل تلك المعلومات ثم قمت بصياغتها في موضوع متكامل ومتناسق وذلك حسب الشروط والقواعد المتبعة في كتابة البحوث والرسائل العلمية والتي أرشدني اليها أستاذي الفاضل ، وانني بذلك لاأدعي الكمال ، فالكمال لله عز وجل .

أما من حيث تقسيم البحث فقد جرى تقسيمه الى أربعة فصول تسبقها مقدمة توضح أهمية الموضوع وسبب اختياره بالاضافة الى دراسة موجزة عن أهم المصادر المخطوطة والمطبوعة التي أفادت البحث ، اضافة الى تمهيد قدمت فيه دراسة موجزة عن الأسرة التي حكمت مكة قبيل أسرة الهواشم وعلاقاتها بالدول الخارجية ، وهذه الأسرة هي أسرة الموسويين وكانت أهمية تلك الأسرة على الساحة المكية سببا في حرصي على تناول تاريخ تلك الأسرة فاليها يرد السبب في توطيد أقدام العلويين بامارة مكة المكرمة ، لأن جميع الثورات والحركات العلوية التي سبقت قيام دولتهم قد باءت بالفشل وقضي عليها من قبل الحكومة العباسية فجاءت تلك الأسرة العلوية الى مكة قادمة من المدينة واستطاعت بقوة ودهاء رجالها أن تؤسس لها امارة بمكة استمرت خمسة وتسعين عاما . وعلى الرغم من أن تلك الأسرة كانت حديثة عهد بالحكم الا أنها قد استطاعت خلال فترة حكمها أن تنجح في علاقاتها السياسية مع القوتين العظميين في تلك الفترة وهما الخلافة العباسية ببغداد والخلافة الفاطمية بمصر .

ثم تناول الفصل الأول سقوط الدولة الموسوية وقيام دولة الهواشم والظروف السياسية التى مكنت هؤلاء الهواشم من الوصول الى دفة الحكم ، وموقفهم من القوى المعارضة لهم ، كما تناول الفصل الأول أيضا الحديث عن أمراء الهواشم الذين تولوا امارة مكة وأهم الأحداث السياسية الداخلية فى عهد كل واحد منهم ، كما استعرض ذلك الفصل الصراع المرير الذى دار بين أمراء الهواشم والذى كان سببا فى تدهور الأوضاع الداخلية بمكة كما كان سببا فى طمع القوى الخارجية فى حكمهم وشجعهم على القضاء على تلك الأسرة .

أما الفصل الثانى من البحث فقد كان مخصصا للحديث عن علاقات أمراء الهواشم الخارجية فكتبت مبحثا مستقلا عن علاقتهم بالدولة الصليحية التى كانت تحكم اليمن فى تلك الفترة فقد كان الصليحيون هم دعاة الفاطميين فى بلاد اليمن والحجاز ، لذلك كانوا حريصين على توطيد أقدام الفاطميين فى مكة المكرمة وهذا مادفعهم الى الاتصال بامارة الهواشم وخاصة فى عهد مؤسسهم الأمير على بن محمد الصليحى .

كما أفردت مبحثا آخر عن علاقة الهواشم بالخلافتين العباسية والفاطمية ، وكنت قد وضعت فى خطة البحث مبحثا لعلاقة الهواشم بالخلافة العباسية وآخر عن علاقة الهواشم بالخلافة الفاطمية ، ولكن بعد المضى بجوانب البحث ، وبعد أن اتضحت أمامى السمة المميزة لعلاقة الهواشم بتلك الخلافتين وهى التذبذب بين الخلافتين وآية ذلك أننا نلاحظ خلال البحث أنه فى السنة الواحدة يتذبذب أمير مكة فى ولائه حيث يخطب فى بداية السنة للفاطميين وفى نهايتها للعباسيين

وقد تستمر الخطبة أحيانا للفاطميين فترة طويلة وتستمر أيضا للعباسيين فترة أطول ، وهذا التذبذب يتطلب منا أن نتلمس أسبابه ودوافعه وكان طبيعيا أن نورد تلك الأسباب فى كلا المبحثين فكان لابد من دراستهما معا اذ تترتب وتتوقف علاقة احداهما على الأخرى حيث ان دراستهما متلازمتين . لذلك فقد فضلت أن أضمهما تحت عنوان واحد وهو علاقة الهواشم بالخلافتين العباسية والفاطمية .

أما الفصل الثالث فيشتمل على دراسة لأحوال مكة المكرمة وعلاقاتها الخارجية بعد نهاية النفوذ الفاطمى فى بلاد الحجاز ونظرا الى أن الدولة الأيوبية هى التى ورثت حكم الدولة الفاطمية بمصر وبلاد الحجاز فقد أوضحت فى هذا الفصل للقارىء موقف أمراء الهواشم من تلك الدولة الجديدة التى وقفت مع أمراء الهواشم موقف الحزم والشدة والقوة واستطاعت أن توطد الأمن والاستقرار فى ربوع مكة المكرمة ، كماتناول ذلك الفصل الحديث عن موقف أمراء الهواشم من تأمين طرق الحج وحماية حجاج بيت الله الحرام من اعتداءات الأعراب ، وتناول أيضا سقوط امارة الهواشم والأسباب التى أدت الى سقوط امارتهم . ثم تتبعنا أهم الخطوات التى سار عليها الأمير قتاده الحسنى تلك الخطوات التى مكنته من الاستيلاء على مكة وبينت أهم العوامل التى شجعته على القدوم اليها ، والمحاولات التى قام بها بعض أمراء الهواشم بغية اعادة ملكهم وامارتهم على مكة .

أما الفصل الرابع فقد خصص للحديث عن أثر العلاقات الخارجية على النواحى العامة بمكة .

فالمبحث الأول من ذلك الفصل كان الحديث فيه عن أثر العلاقات الخارجية على الحياة الاقتصادية داخل مكة المكرمة ويتضح للقارىء من خلال دراسته لذلك المبحث أنه كان للعلاقات الخارجية أثر كبير فى تحسن وازدهار الأوضاع الاقتصادية بمكة فى بعض الفترات ، كما كان لها أثر أيضا على تدهور تلك الأوضاع فى بعض الفترات الأخرى ، وتتحسن تلك الأوضاع فى الفترة التى تواظب فيها الدول الكبرى على ارسال المعونات والنفقات والهدايا والصدقات الى أهالى مكة وأمرائها وتتحسن أيضا فى الفترة التى تسمح فيها تلك الدول لتجارها بالذهاب الى مكة كما أن الحالة الاقتصادية بمكة تسوء فى الفترات التى تكون علاقة أمراء الهواشم بالدول الكبرى سيئة ومضطربة لأن تلك الدول تسارع بقطع جميع المعونات المالية والعائدات السنوية عن مكة كما أنها قد تصدر قراراتها القاضية بمنع السفر الى مكة لأى غرض كان سواء كان تجاريا أو دينيا .

وكان أمراء الهواشم قد فرضوا رسوما على البضائع القادمة الى مكة وفرضوا مكسا على الحجاج القادمين اليها وتشددوا فى جمع تلك الرسوم والمكوس التى أثقلت عاتق هؤلاء التجار والحجاج الوافدين الى مكة ، وقد أفردت مبحثا خاصا لدراسة تلك الرسوم والمكوس وكيفية جبايتها من قبل أمراء الهواشم وأثرها على الناحية الاقتصادية بمكة المكرمة .

كما تطرق الفصل الرابع أيضا الى دراسة أثر العلاقات

الخارجية على الحياة الاجتماعية حيث تم استعراض طبقات المجتمع المكي في عهد الهواشم وأهم العادات والتقاليد والأعياد المعروفة لدى أهالي مكة وأهم الأعياد والعادات والاحتفالات التي كانت وليدة احتكاك مكة بالدول الخارجية .

كما أن ذلك الفصل قد ألقى الضوء على أثر العلاقات الخارجية على الحياة العلمية بمكة المكرمة ، ذلك انه كان للمكانة الدينية التي اشتهرت بها مكة المكرمة أكبر الأثر في ازدهار الحركة العلمية بها حيث انه يفد اليها آلاف المسلمين كل عام لأداء فريضة الحج والعمرة ومن بين هؤلاء المسلمين الكثير من العلماء وطلاب العلم الذين كانوا يعقدون الحلقات العلمية ويلقون الخطب والمحاضرات الدينية والعلمية داخل المسجد الحرام فيأخذ عنهم العلماء الموجودون بمكة ويتلقون منهم كثيرا من العلوم والمعارف . كما انه اشتهر بمكة كثير من العلماء الكبار الأمر الذى دفع كثيرا من طلاب العلم والمعرفة الى القدوم الى مكة وذلك ليتلقوا العلم على أيدي هؤلاء العلماء المكيين ، ومما أدى الى ازدهار الحركة الثقافية بمكة أيضا وجود المؤسسات التعليمية بها تلك التي شارك أمراء وسلاطين الدول الاسلامية التي كانت على علاقة بأمراء الهواشم في انشائها .

وقد استعرضت في ذلك الفصل أيضا أهم الأساليب التي اتبعت في التعليم بمكة كذلك الرحلات والاجازات العلمية وكيفية الحصول عليها . كما تم توضيح الدور الكبير الذى لعبه المجاورون والقادمون الى مكة في الحركة العلمية ، ثم تطرق الفصل أيضا الى ذكر أهم المكتبات والأربطة الموجودة

بمكة ودورها العلمى ، وتطرق أيضا الى الحديث عن مشاهير العلماء والقضاة والمجاورين الذين برعوا فى شتى العلوم والمعارف ، وذكرت اهم مؤلفاتهم كما شمل ذلك الفصل دراسة عن دور المرأة بمكة فى الحركة العلمية واهم العلوم والمعارف التى كانت المرأة بمكة تهتم بها وتحرص على الاقبال عليها ، واهم العالمات المشهورات بمكة وخاصة اللاتى كان لهن محاورات ومراسلات علمية مع علماء الدول الاسلامية فى تلك الفترة .

أما الخاتمة فقد استعرضت فيها بصورة موجزة اهم النتائج التى توصل اليها البحث ، وقد الحقت بهذه الأطروحة جملة من الجداول والملاحق التى لها علاقة بالموضوع فكان الجدول الأول والثانى خاصا بأسماء أمراء الموسويين والهواشم الذين حكموا مكة وفترة امارة كل منهم بالتاريخين الهجرى والميلادى ، أما الجدول الثالث والرابع فقد احتويا على أسماء الخلفاء العباسيين والفاطميين الذين عاصروا أمراء الموسويين والهواشم والذين كان لهم اتصال بهؤلاء الأمراء . أما الملحق الأول فكان خاصا بشجرة الأشراف بمكة المكرمة

كما ألحق بالسابق خريطتين موضح على احداها منطقة مكة فى عهد الهواشم واهم المناطق التابعة لامارة الهواشم ، وموقع مدينة حلى بن يعقوب وهى المنطقة التى كانت محل نزاع بين امارة مكة ومملكة اليمن فى عهد الأشراف ، أما الاخرى فقد وضح عليها أهم المواقع والمناطق التى كان يتم فيها



جباية الضرائب والمكوس من التجار والحجاج القادمين الى مكة فى عهد الهواشم . كما أن فى تلك الملاحق رسما لموقع مدينة المربعة التى بناها الأمير هاشم بن فليتة خارج مكة .

وفى نهاية البحث قائمة بأسماء المصادر المخطوطة والمطبوعة وقائمة بالمراجع الحديثة بالاضافة الى الدوريات والرسائل العلمية التى أفادت البحث .

وفى ختام هذه المقدمة الخاصة عن مهبط الوحى والمكان الذى شع فيه نور الاسلام أسأل الله العلى القدير أن أكون قد أسهمت وقدمت خدمة ولو متواضعة للدارسين والباحثين فى تاريخ مكة المكرمة ، كما أرجو أن أكون قد وفقت فى ايفاء الموضوع حقه ، والله من وراء القصد وهو نعم المولى ونعم النصير .

الباحث

أهم مصادر البحث

لقد اعتمدت في اعداد هذه الاطروحة على عدد كثير من المصادر المخطوطة والمطبوعة ، والمراجع العربية ، والدوريات والأبحاث العلمية ، والمصادر الأساسية التى أفادت البحث ، يأتى فى مقدمتها المصادر المكية والمدنية فمنها :

كتابا "شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام"
و"العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين"

وكلاهما لمؤرخ مكة أبى الطيب محمد بن أحمد بن على الحسنى الفاسى المعروف بتقى الدين الفاسى ، ولد سنة ٧٧٥هـ/١٣٧٣م بمكة المكرمة ، ونشأ بها وبالمدينة المنورة وتلقى العلم على أيدى علمائها ، ثم أخذ يتولى المناصب العلمية بمكة المكرمة حتى أصبح شيخ الحرم ، وقد عنى بالتأليف والاشتغال بالعلم والتدريس ، ثم توفى رحمه الله سنة ٨٣٢هـ/١٤٢٨م .(١)

أما كتابه العقد الثمين الذى طبع فى ثمانية أجزاء فهو عبارة عن تراجم لأعيان مكة من الرواة والعلماء والفقهاء والخطباء والأئمة والأمراء وغيرهم وذلك على مدى ثمانية قرون . وقد رتب هذه التراجم حسب حروف المعجم ماعدا

---

(١) تقى الدين الفاسى : العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين تحقيق محمد الطيب الفقى ، القاهرة ١٣٨٨/١٣٧٨هـ ، ج١ ، ص (هـ) .

المحمدين والأحمدين فانه ــ قدمهم على غيرهم من الأسماء وذلك نظرا لشرف هذين الاسمين وتبركا باسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما أنه لم يغفل تراجم النساء فقد أفرد بابا خصه لتراجم النساء العالمات المشهورات بمكة المكرمة فكتابه هذا يعتبر من المصادر الهامة والأساسية للباحث في تاريخ مكة السياسي والاقتصادي والثقافي والاجتماعي لأنه كان حريصا على تحري الصدق والحقيقة أثناء نقل المعلومات من المصادر ، كما أنه كان يقف بنفسه على القبور والأحجار والرخام والأخشاب وغيرها وينقل مادون عليها من معلومات (١) .

وهذا الكتاب من الكتب التي أفادت البحث كثيرا خاصة فيما يتعلق بأمراء الهواشم وعلاقتهم بالدول الخارجية ، والأحداث الداخلية بمكة في عهدهم ، كما أمد هذ الكتاب البحث بمعلومات وفيرة عن الحياة الاقتصادية والعلمية والاجتماعية بمكة المكرمة في عهد الهواشم .

أما كتابه الآخر "شفاء الغرام" فلايقل أهمية عن كتابه السابق ، اذ اشتمل على معلومات قيمة عن النواحي الدينية والثقافية والعمرانية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية بمكة المكرمة منذ عصر ماقبل الاسلام حتى أوائل القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي (٢) .

ولقد أفاد هذا الكتاب البحث في تحديد مدة حكم أشراف

---

(١) تقي الدين الفاسي : شفاء الغرام ، جـ ١، مقدمة المؤلف ، ص ١٣ .

(٢) عبد الله عقيل عنقاوي : المؤرخ تقي الدين الفاسي وكتابه شفاء الغرام ، ٢/ ٦٤ .

مكة الذين تولوا الامارة ، كما أفاد البحث في ذكر الحوادث الداخلية بمكة خاصة في فترة مواسم الحج ، والاتصالات التي جرت بين أمراء الحج وأمراء الهواشم وموضوع الخطبة على منابر مكة وفي المشاعر المقدسة . لقد كان المؤلف حريصا على ذكر من دعي له بمكة من الخلفاء والملوك وذلك مما يفيد في دراسة موضوع علاقات مكة الخارجية في عهد الهواشم ، وقد تضمن هذا الكتاب معلومات ذات فائدة كبيرة عن الحياة العلمية بمكة اذ حصر أهم الأربطة والمدارس الموجودة بها ودورها العلمي ، ويقدم أيضا معلومات هامة عن الحياة الاقتصادية بمكة والأزمات التي حلت بها ودور الخلفاء والسلاطين في تخفيف هذه الأزمات عن أهالي مكة المكرمة .

كتاب اتحاف الورى بأخبار أم القرى :

للنجم عمر بن فهد المتوفى سنة ٨٨٥هـ/١٤٨٠م .

وقد نشأ مؤلف هذا الكتاب بمكة المكرمة وتلقى العلم على أيدي علمائها ثم قام برحلات علمية في سبيل طلب العلم الى مصر والشام وفلسطين ، وله مصنفات عديدة من بينها هذا الكتاب الذي يعد من أهم المصادر للدارس في تاريخ مكة المكرمة . (١)

وقد قسم هذا الكتاب أربعة أجزاء الثلاثة الأولى حققها

---

(١) ناصر بن سعد الرشيد : بنو فهد مؤرخو مكة المكرمة والتعريف بمخطوط النجم بن فهد اتحاف الورى بأخبار أم القرى ، مصادر تاريخ الجزيرة العربية ، جامعة الرياض ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ، ٢/٦٩-٧٠ .

الأستاذ فهيم شلتوت ونشرها مركز تحقيق التراث بجامعة أم القرى ، أما الجزء الرابع فقد حققه الدكتور عبد الكريم الباز وكان موضوع رسالته لدرجة الدكتوراه .

ولقد قام المؤرخ ابن فهد بجمع وترتيب المعلومات السياسية والاقتصادية والدينية والعلمية والاجتماعية ، التي أوردها مؤرخ مكة الفاسي مبعثرة في كتابيه شفاء الغرام والعقد الثمين ، فرتبها ترتيبا زمنيا مبتدئا بمولد الرسول صلى الله عليه وسلم . وقد ذكر المؤرخ ابن فهد في مقدمة كتابه هذا أنه أضاف بعض المعلومات التي لم يوردها الفاسي في مؤلفاته (١) .

ومما لاشك فيه أن هذا الكتاب يفيد الباحث في تاريخ مكة كثيرا لأنه يقدم صورة واضحة عن مكة المكرمة وأعمالها من النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والعمرانية ، وتزداد أهمية هذا الكتاب للحقبة التاريخية التي تقع بين سنتي ٨٣٠هـ/١٤٢٧م ، وسنة ٨٨٥هـ/١٤٨٠م لأن المؤلف هو المؤرخ الوحيد الذي تصدى لكتابة تاريخ مكة في تلك الفترة (٢) .

ولقد أفاد البحث من هذا الكتاب في دراسة علاقة الهواشم بالخلافتين العباسية والفاطمية وموقفهم من الدولة الأيوبية كما أفاد أيضا في دراسة أمراء الهواشم وكيفية وصولهم الى الامارة والخلافات الدائرة بينهم ، والأحداث الداخلية بمكة في عهدهم .

---

(١) عمر بن فهد : اتحاف الورى باخبار أم القرى ، تحقيق فهيم شلتوت ، مكة المكرمة ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م ، ١/٥-٦ .
(٢) المصدر نفسه ، مقدمة المحقق ، ص ١٨ .

كتاب غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام :

للمؤرخ عز الدين عبد العزيز بن عمر بن فهد الهاشمى المتوفى سنة ٩٢٢هـ/١٥١٦م .

لقد نشأ هذا المؤلف بمكة المكرمة وتلقى العلم على أيدى علمائها ثم رحل الى مصر والشام وفلسطين بغية طلب العلم فلم يترك عالما الا وأخذ عنه العلم (١) ، له مؤلفات عديدة منها كتاب بلوغ القرى بذيل اتحاف الورى ، وكتاب تاريخ مكة على السنين ابتداءه من سنة ٨٧٢هـ/١٤٦٧م (٢) ، وكتاب غاية المرام يقدم تراجم لأمراء مكة منذ زمن الرسول صلى الله عليه وسلم حتى العهد الذى عاشه المؤلف ، وكان ترتيبه لتلك التراجم على حسب الأولوية فى تولى الامارة (٣) ، وقد اشتمل كتابه على معلومات قيمة عن أمراء الهواشم والأحداث الداخلية فى عهدهم وعلاقتهم بكل من العباسيين والفاطميين والأيوبيين .

وقد أفاد البحث أيضا فى ذكر الخلاف والنزاع الدائر بين أمراء الهواشم وماترتب على ذلك من تدخل القوى الخارجية واضطراب أحوال الأمن بمكة المكرمة .

(١) ناصر الرشيد : بنو فهد مؤرخو مكة ، ص ٧٤-٧٥ .
(٢) عز الدين بن فهد : غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام ، تحقيق فهيم شلتوت ، ط١ ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ، ج١ مقدمة المحقق ص ١٢-١٣ .
(٣) المصدر نفسه ، مقدمة المؤلف ص ٤ .

كتاب الجامع اللطيف فى فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف

للمؤرخ جمال الدين محمد بن جار الله بن محمد نور الدين بن أبى بكر المعروف بابن ظهيرة المتوفى سنة ٩٨٦هـ/١٥٧٨م .

ويحتوى هذا الكتاب على معلومات مفصلة عن الكعبة المشرفة وبيان فضلها وشرفها ومايتعلق ببنائها وكسوتها ، كما يحتوى على معلومات عن مكة المكرمة وحكم المجاورة بها والتجديدات التى أجراها الخلفاء والسلاطين بالمسجد الحرام ثم أفرد مؤلف هذا الكتاب بابا خصصه لأمراء مكة منذ عهد النبى صلى الله عليه وسلم الى عهده ، وقد استعرض فى هذا الباب أهم الأحداث السياسية بمكة فى عهد هؤلاء الأمراء وبهذا الباب معلومات قيمة عن أمراء الهواشم والأحداث الداخلية فى عهدهم وعلاقتهم بالدولتين العباسية والفاطمية .

ومن الكتب المكية المخطوطة التى اعتمدت عليها أيضا مخطوطة :

تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام (١) والمدينة الشريفة والقبر الشريف :

تأليف المؤرخ أبو البقاء محمد بن أحمد بن الضياء المكى الحنفى المتوفى سنة ٨٥٤هـ/١٤٥٠م .

(١) صورة ميكروفيلم بمركز البحث العلمى بجامعة أم القرى رقم ١٧٠ .

وتشتمل هذه المخطوطة على معلومات هامة عن تاريخ مكة ومايتعلق بالكعبة المشرفة وكسوتها وفضائل مكة والكعبة ، ووصف المسجد الحرام وعمارته من قبل الخلفاء والسلاطين والأمراء ، وأهم المساجد والسبل والبرك والبساتين الموجودة بمكة المكرمة .

كما انها اشتملت على معلومات عن المدينة المنورة وتاريخها وهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم اليها وعن قبره عليه السلام وقبر صاحبيه أبى بكر وعمر رضى الله عنهما .

وقد أفادت هذه المخطوطة البحث فى بعض المعلومات المتعلقة بالاصلاحات التى قام بها الخلفاء العباسيون بمكة خاصة فى المسجد الحرام والمشاعر المقدسة .

مخطوطة الأرج المسكى فى التاريخ المكى (١) :

للمؤرخ عبد القادر الطبرى المتوفى سنة ١٠٧٠هـ/١٦٥٩م

وقد اشتملت هذه المخطوطة على مقدمتين وثمانية أبواب فى فوائد علم التاريخ ، وفى فضل الحرم وحدوده ، وفضائل مكة والكعبة ومن اعتنى بتجديد وتعمير البيت من الخلفاء والملوك والسلاطين ، وأرباب الوظائف الدينية ، وولاة وأمراء مكة فى الجاهلية والاسلام مرتبين على حروف المعجم ، كما أنه أفرد بابا خاصا عن آل قتادة الذين اغتصبوا الحكم من الهواشم ، ولقد استقيت من هذه المخطوطة بعض المعلومات التى تتعلق بأمراء الهواشم ونظم الادارة والحكم والمناصب الدينية فى عهدهم .

---

(١) صورة ميكروفيلم بمركز البحث العلمى بجامعة أم القرى رقم ٣٤ .

مخطوطة اتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن [1] :

لمحمد بن علي بن فضل بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن مكرم بن المحب محمد الطبري المتوفى سنة ١١٧٣هـ/١٧٥٩م .

وقد اشتملت هذه المخطوطة على دراسة لأمراء مكة منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم حتى سنة ١١٤٠هـ/١٧٢٧م .

وقد أفادت هذه المخطوطة البحث وأمدته بمعلومات هامة عن أمراء الهواشم وعلاقتهم بالدول الخارجية ، وأهم الأحداث الداخلية في عهدهم ، كما أمدته أيضا بمعلومات مفصلة عن أسباب سقوط امارة الهواشم على يد قتادة الحسني .

وتعد هذه المخطوطة مصدرا مهما للباحث في الحياة العلمية بمكة وخاصة في القرنين التاسع والعاشر الهجرى ، لأن المؤلف استعرض حياة العلماء والمدارس التي بنيت بمكة في تلك الفترة .

ومن المصادر التي أفادت البحث :

كتاب التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة :

لشمس الدين السخاوى المتوفى سنة ٩٠٢هـ/١٤٩٦م .

ويقدم هذا الكتاب تراجم للشخصيات المدنية التي قدمت وعاشت في المدينة . وخلال استعراض المؤلف لتراجم أعيانها ترجم لأمراء مكة الموسويين والهواشم وآل قتادة ، وأشار الى الأحداث الداخلية التي وقعت في مكة في عهد بعض هذه الشخصيات المترجم لها .

---

(١) صورة ميكروفيلم بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى رقم ١٠ .

ومما يلاحظ على السخاوى فى ترجمته لأمراء مكة انه اختصر هذه التراجم من مؤرخ مكة تقى الدين الفاسى فى كتاب العقد الثمين حيث نقل هذه التراجم منه مختصرة وأشار الى ذلك بقوله :" ذكره الفاسى بأطول " .

وقد رتب المؤلف تراجمه حسب حروف المعجم وذلك تسهيلا للقارىء (١) .

واستقيت من هذا الكتاب العديد من المعلومات التى تتعلق بالحياة العلمية بمكة فى عهد الهواشم .

أما مصادر التاريخ الاسلامى العام فقد أفادت البحث كثيرا ، فمن هذه المصادر :

كتاب المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم :

لأبى الفرج عبدالرحمن بن الجوزى المتوفى سنة ٥٩٧هـ/١٢٠٠م .

وقد رتب المؤلف كتابه حسب السنين ، حيث كان يذكر أهم الأحداث التى وقعت فى السنة ، ثم يترجم لأهم المتوفين فيها من الأعيان ، وقد ظهر اهتمامه بالتراجم أكثر من اهتمامه بذكر الحوادث السياسية ، ومما يلاحظ عليه أيضا أنه اهتم بتاريخ الدولة العباسية والسلجوقية بينما صرف اهتمامه

---

(١) شمس الدين السخاوى : التحفة اللطيفة فى تاريخ المدينة الشريفة ، تحقيق اسعد طرابزونى ، القاهرة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩ ، ١٩/١ .

عن الدولة الفاطمية بمصر[1] . ولقد أفاد البحث منه في كثير من الجوانب حيث ان أجزاءه الثامن والتاسع والعاشر تتضمن معلومات ذات قيمة علمية كبيرة في دراسة علاقة الهواشم بالخلافة العباسية .

كتاب الكامل في التاريخ :

لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد الشيباني الملقب بعز الدين بن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٢م .

وقد تناول المؤلف في هذا الكتاب جميع الأحداث التاريخية الواقعة في العالم الاسلامي مرتبة حسب السنين ، واعتمد في جمع مادته على أدق المصادر وأوثقها ، ومن هنا جاءت أهميته كمصدر من المصادر الأساسية لهذا البحث وقد احتوت أجزاءه الثامن والتاسع على معلومات قيمة عن امارة الهواشم وعلاقتها بالخلافتين العباسية والفاطمية ، وموقفها من الدولة الأيوبية ، كما احتوت على معلومات عن أمراء الحج العراقي الذين قدموا الى مكة المكرمة في عهد الهواشم وأهم الأحداث التي واجهوها بمكة ، كما تناولت الكوارث والأزمات الاقتصادية التي أصيبت بها مكة ودور الخلفاء العباسيين في تخفيف تلك الأزمات عن أهالي مكة .

كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر :

لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون المتوفى سنة ٨٠٨هـ/١٤٠٦م .

---

(١) محمد سالم العوفي : العلاقات السياسية بين الدولة الفاطمية والدولة العباسية في العصر السلجوقي ، ط١ ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ص ١٥ .

وقد افاد الجزء الرابع من هذا الكتاب ، البحث بكثير من المعلومات خاصة فيما يتعلق بنسب امراء مكة الموسويين والهواشم وعلاقتهم بالخلافتين العباسية والفاطمية ، وأهم الأحداث الداخلية بمكة فى عهد هؤلاء الأمراء .

ومن الكتب التى افادت البحث فى دراسة علاقة الهواشم بالخلافة الفاطمية :

كتاب النكت العصرية فى أخبار الوزراء المصرية :

لنجم الدين عمارة بن أبى الحسن الحكمى المتوفى سنة ٥٦٩هـ/١١٧٣م .

ومؤلف هذا الكتاب هو أحد علماء وفقهاء وشعراء بلاد اليمن ويحكى فى كتابه هذا قصة حياته اثناء اقامته فى اليمن ورحيله الى مكة المكرمة فى عهد الأمير قاسم بن هاشم الذى أرسله سفيرا وممثلا عنه الى الخلافة الفاطمية كما يشرح قصة سفارته الثانية من مكة الى مصر ومن ثم اقامته الدائمة فى البلاد المصرية . ويشتمل الكتاب أيضا على كثير من القصائد التى قالها المؤلف فى بعض الخلفاء والوزراء الفاطميين والأيوبيين ، لذلك فان هذا الكتاب يعتبر من المصادر الأساسية التى اعتمدت عليها لأن المؤلف عاصر الأحداث وأفاد البحث كثيرا وخاصة فيما يتعلق بعلاقة الأمير قاسم بن هاشم بالخلافة الفاطمية .

وأفاد البحث أيضا من كتاب آخر لنجم الدين عمارة هو :

كتاب تاريخ المفيد فى أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها واعيانها وأدبائها :

لنجم الدين عمارة بن أبى الحسن الحكمى المتوفى سنة ٥٦٩هـ/١١٧٣م .

ويعتبر هذا الكتاب من المصادر الهامة التى أرخت لبلاد اليمن . فقد اشتمل الكتاب على أخبار صنعاء وزبيد ، واهم الدويلات التى قامت فى بلاد اليمن ، كما انه اشتمل على تراجم لعلماء وادباء وشعراء بلاد اليمن فى الفترة التى عامرها المؤلف ، وقد أفاد هذا الكتاب البحث فى كثير من المعلومات التى تتعلق بعلاقة مكة باليمن فى عهد الدولة المليحية .

كتاب اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء :

لتقى الدين أحمد بن على المقريزى المتوفى سنة ٨٤٥هـ/١٤٤١م .

وقد أفاد هذا الكتاب البحث فى ذكر اهتمام خلفاء الدولة الفاطمية ببلاد الحجاز والتنافس بين الخلافتين العباسية والفاطمية على الخطبة بمكة المكرمة ، كما أفاد أيضا بذكر موقف الهواشم من الخلافة الفاطمية وأهم النفقات والأعطيات التى كانت ترد من القاهرة الى مكة زمن الفاطميين

ومن المصادر التى افادتنى فى دراسة علاقة الهواشم بالدولة المليحية فى اليمن :

كتاب غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى :

ليحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد بن على المتوفى سنة ١١٠٠هـ/١٦٨٩م .

رتب المؤلف فى كتابه الحوادث ترتيبا زمنيا حسب تسلسل السنوات الهجرية ، فذكر ولاة اليمن فى عهد بنى أميه ، وبنى العباس ، وأهم الدويلات التى انفصلت عن الدولة العباسية والتى قامت فى بلاد اليمن ، وهكذا جاء كتاب غاية الأمانى سجلا حافلا لتاريخ اليمن حتى سنة ١٠٤٥هـ/١٦٣٥م (١) .

وقد أفاد هذا الكتاب البحث فى العديد من المعلومات وخاصة فيما يتعلق بعلاقة أمراء الهواشم بالدولة الصليحية وبالأخص فى عهد الأمير على الصليحى ودوره فى تثبيت الهواشم فى امارة مكة وتوسعاته فى البلاد الحجازية .

ويعتبر كتاب عمدة الطالب فى أنساب آل أبى طالب :

للنسابه جمال الدين أحمد بن على الحسنى المعروف بابن عنبه المتوفى سنة ٨٢٨هـ/١٤٢٤م من أهم المصادر الهامة لدراسة تاريخ أشراف مكة من بنى الحسن ، وبهذا الكتاب معلومات قيمة عن نسب هؤلاء الأشراف لم ترد فى سواه من الكتب الأخرى .

ومن الكتب المهمة التى رجعت اليها كتاب :

---

(١) يحيى بن الحسين بن القاسم :غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى تحقيق سعيد عاشور ، القاهرة ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م ، ١/٨٠٧،٩٠.

الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة :

لعبد القادر بن محمد الجزيرى المتوفى سنة ٩٧٧هـ/١٥٦٩م .

وقد ذكر المؤلف في كتابه أسماء أمراء الحج الذين قدموا الى مكة منذ عهد الرسالة المحمدية الى سنة ٩٧٢هـ/١٥٦٤م ، وقد أمد هذا الكتاب البحث بكثير من المعلومات الهامة عن أمراء الحج ودورهم في العلاقات العباسية المكية ، كما أنه أفاد البحث أيضا في دراسة الأحداث الداخلية بمكة في عهد الهواشم ، وموقف أمراء الهواشم من هجمات الأعراب وعبيد مكة على حجاج بيت الله الحرام .

صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المعروف بتاريخ المستبصر :

لجمال الدين أبى الفتح يوسف بن يعقوب المعروف بابن المجاور المتوفى سنة ٦٩٠هـ/١٢٩١م[1] .

وقد أفدت من هذا الكتاب[2] في دراسة الحياة الاجتماعية والاقتصادية بمكة زمن الهواشم ، كما أفدت منه ببعض المعلومات المتعلقة بأمراء مكة ، تلك المعلومات التي لم ترد عند غيره من المؤرخين . لقد أفاد البحث في قمة بناء

---

(١) بشير ابراهيم بشير : ابن المجاور ، دراسة تقويمية لكتابه تاريخ المستبصر ، مصادر تاريخ الجزيرة العربية الرياض ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ، ٢/٤١ .

(٢) وعما تضمنه هذا الكتاب وأهم الملاحظات على أسلوب المؤلف انظر المرجع السابق ص ٤٣-٥٠ .

الأمير هاشم بن فليته مدينته المعروفة بمربعة الأمير ، وقد رسم المؤلف رسما وضح فيه موقع تلك المدينة بالنسبة لمكة المكرمة .

وكان لكتب الرحالة جانب كبير من الأهمية فى هذا البحث وتعتبر من أهم المصادر الأساسية التى اعتمدت عليها لأن هؤلاء الرحالة يعتبرون شاهد عيان لكثير من الأحداث التى وقعت بمكة المكرمة .

ومن أهم هذه الكتب :

سفر نامه :

تأليف الرحالة ناصر خسرو .

وتعد هذه الرحلة من أقدم الرحلات وقد ولد ناصر خسرو سنة ٣٩٤هـ/١٠٠٣م ، وبدأ رحلته التى دامت سبع سنوات من سنة ٤٣٧ - ٤٤٤هـ/١٠٤٥ - ١٠٥٢م من مدينة مرو بخراسان حتى وصل الى بلاد الشام وفلسطين ومصر وقدم الى مكة ومكث بها مجاورا من غرة رجب سنة ٤٤٢هـ/١٠٥٠م الى العشرين من ذى الحجة فى العام نفسه وكان قدومه اليها فى عهد الامارة الموسوية وخاصة أيام الامير شكر بن أبى الفتوح .

وقد أفادت هذه الرحلة البحث فى كثير من المعلومات القيمة وخاصة فيما يتعلق بعلاقة الموسويين بالخلافة الفاطمية ومقدار الأعطيات والنفقات التى كان يرسلها الخلفاء الفاطميون الى مكة .

وتعتبر رحلة ابن جبير :

المتوفى سنة ٦١٤هـ/١٢١٧م ، والمسماه :

تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار :

من أهم المصادر الأساسية لدراسة الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية بمكة في القرن السادس الهجرى ، وقد قدم ابن جبير الى مكة في عهد الأمير مكثر بن عيسى (٥٧١ - ٥٩٧هـ/١١٧٥ - ١٢٠٠م) وقت أن كانت امارة مكة تحت اشراف ونفوذ الدولة الأيوبية وقد أفادت تلك الرحلة البحث في كثير من الجوانب خاصة فيما يتعلق بموقف الأمير مكثر بن عيسى من الدولتين الأيوبية والعباسية ، وأهم الأحداث الداخلية بمكة في تلك الفترة ، كما أفادت البحث فيما يتعلق بالأحوال الاقتصادية والاجتماعية وأهم العادات الدينية في مكة المكرمة .

رحلة ابن بطوطة :

المسماه تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار للرحالة أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن ابراهيم بن بطوطه المتوفى سنة ٧٧٩هـ/١٣٧٧م .

قدم هذا الرحالة الى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج في سنة ٧٢٦هـ/١٣٢٦م وكان دخوله اليها في عهد الأميرين أسد الدين رميثة وسيف الدين عطيفة أبناء الأمير أبي نمي ابن علي بن قتادة الحسني (١) ، وعلى الرغم من أن هذه الرحلة كانت متأخرة عن فترة البحث الا أنها قد أفادتني كثيرا وخاصة فيما يتعلق بالأحوال الاجتماعية والاقتصادية بمكة المكرمة .

---

(١) حسين مؤنس : ابن بطوطة ورحلاته (تحقيق ودراسة وتحليل) القاهرة ١٩٨٠م ، ص ٦٩ .

تمهيد

أوضاع مكة الداخلية
وعلاقاتها الخارجية
قبيل عهد الهواشم

لقد شهدت مكة المكرمة ثورات علوية عديدة ، تزعمها بعض العلويين الطامحين الذين كانوا يطالبون بالخلافة ، والذين كانوا يعتبرون أنفسهم أنهم أصحاب حق مهضوم يجب استرداده من أبناء عمومتهم العباسيين الذين سلبوا منهم تلك الخلافة (١) . وأصبحت مكة والمدينة موطنا لثوراتهم ضد الخلافة العباسية التى أخذت على عاتقها محاربة تلك الثورات العلوية والقضاء عليها وعلى زعمائها ومدبريها (٢) . ولكن تلك الانتصارات العباسية قد أعطت للعلويين الاصرار والعزيمة على مواصلة تحركاتهم ، وتحقيق أهدافهم ، اذ أخذوا يتحينون الفرص المواتية لهم لتحقيق مآربهم فى الاستيلاء على بلاد الحجاز واعلان الخلافة لأنفسهم . ففى الوقت الذى شغل فيه العباسيون بالفتن والانقسامات والثورات الداخلية التى أثارها الأتراك ضدهم وذلك فى نهاية القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) (٣) ثار أحد العلويين الطامحين الى النفوذ والسلطان من بنى سليمان بن داود بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب (٤) وهذا الثائر هو محمد بن سليمان بن داود

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ط ٣ ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ٥/٢، ٧٤، ٧٥، ١٧٤، ١٧٥، ٣٢٩، ٣٣٠ ؛ سليمان عبد الغنى مالكى بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية فى بغداد ، الرياض ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، ص ٢٣ .

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق نفسه ٥/٣، ٧٥، ٧٦، ١٧٥، ١٧٦ ؛ تقى الدين محمد بن أحمد بن على الفاسى :شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، تحقيق عمر عبد السلام تدمرى ، ط ١ ، بيروت ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ، ٢/٢٨٠، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٦ .

(٣) ابن دقماق : الجوهر الثمين فى سير الخلفاء والملوك والسلاطين ، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ، ص ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨ ؛ ريتشارد مورتيل : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة فى العصر المملوكى ، ط ١ ، الرياض ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ، ص ١٣ .

(٤) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون :العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ١٣٩٩هـ/١٩٧١م ، ٤/٩٩ ؛ أبى العباس أحمد القلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الانشاء ، القاهرة ١٣٣٢هـ/١٩١٤م ، ٤/٢٦٧ ؛ محمد جمال الدين سرور: النفوذ الفاطمى فى جزيرة العرب ، ط ٣، القاهرة ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م ص ١٠ .

الملقب بالزيدى وذلك نسبة الى مذهبه الذى كان يعتنقه[1] ، فأعلن خروجه واستقلاله عن طاعة الخليفة العباسى المقتدر بالله ، وخطب لنفسه بالامامة أمام جموع غفيرة من الحجاج[2] الذين قدموا لأداء فريضة الحج ، وذلك فى عام ٣٠١هـ/٩١٣م وقال فى خطبته :"الحمد لله الذى أعاد الحق الى نظامه ، وابرز زهر الايمان من أكمامه ، وكمل دعوة خير الرسل بأسباطه لابنى أعمامه ، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين وكف عنهم ببركته اساءة المعتدين ، وجعلها كلمة باقية فى عقبه الى يوم الدين "[3] .

ثم أنشد قصيدة تضمنت التهديد والوعيد للعباسيين ، ويبدو انه قد أراد أن يجمع حوله مجموعة كبيرة من المؤيدين والمناصرين له ، وحاول أن يستنهض هممهم بتلك القصيدة لمحاربة العباسيين وقال فى قصيدته هذه :

لأطلبن بسيفــــى	من كان للحق دينا
وأسطون بقــوم	بغوا وجاروا علينا
يهدون كل بلاء	من العراق الينا[4]

وعلى الرغم من عزم واصرار ذلك الثائر على محاربة العباسيين ، وذلك مايستشف من تلك القصيدة ، الا أن المصادر

---

(١) عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامى : سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ، القاهرة ١٩٢/٤ .

(٢) عمر بن فهد : اتحاف الوري بأخبار أم القرى ، ط ١ ، القاهرة ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م ، ٣٦٢/٢ .

(٣) ابن خلدون : المصدر السابق نفسه ، الصفحة نفسها ؛ أحمد عمر الزيلعى : مكة وعلاقاتها الخارجية (٣٠١ ـ ٤٨٧هـ) ، ط ١ ، الرياض ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، ص ٢٣ .

(٤) ابن فهد : المصدر نفسه ، ٣٦٢/٢ ؛ أحمد زينى دحلان : أمراء البلد الحرام منذ أولهم فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حتى الشريف الحسين بن علي ، بيروت ، ص ٢٧ .

التي بين أيدينا قد أهملت وتجاهلت الحديث عن مصير تلك الحركة العلوية الجديدة .

ولعل سكوت المصادر عن مصير تلك الثورة يوحي بعدم نجاحها أو لعلها كانت قصيرة لاتستحق عناية المؤرخين بها[(١)] ، وقد يفهم من الاشارات التي وردت في بعض المصادر أنه لم تنجح تلك الحركة العلوية ، ولم تستمر الا فترة قصيرة من الزمن قد لاتتجاوز العامين ، ومما قد يؤكد ذلك أن امارة مكة المكرمة قد عادت مرة أخرى الى النفوذ العباسي ، وأخذ يفد اليها الأمراء المعينون من قبل الخلافة العباسية فقد كان الأمير عج بن حاج ، وهو من موالي الأتراك المقربين في البلاط العباسي أميرا على مكة قبيل وفاته سنة ٣٠٦هـ/٩١٨م ، فلما توفي عين أخوه بدلا منه[(٢)] ، وقد ذكر ابن الأثير أن الفضل بن عبد الملك الهاشمي العباسي أمير مكة والموسم قد توفي سنة ٣٠٧هـ/٩١٩م وعين ابنه عمر مكانه[(٣)] ، كما أن نصرا الحاجب قد حج الى مكة سنة ٣١٠هـ/٩٢٢م وأمر بعزل وتنحية نزار بن محمد عن امارة الحرمين وتعيين ابن ملاحظ بدلا منه[(٤)] ، وقد ذكر ابن كثير أيضا أن أحمد بن عبيد الله الخطيب الحصيبي وزير الخليفة العباسي المقتدر قد أصدر في عام ٣١٣هـ/٩٢٥م أوامره الى أمير مكة علي بن عيسى بأن يكون مشرفا على ديار مصر وبلاد الشام[(٥)] . كما أن بعض المصادر قد ذكرت أن أمراء

---

(١) أحمد السباعي : تاريخ مكة ، ط ٦ ، مكة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ١٦٨/١ ؛ الزيلعي : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ٢٤ .
(٢) عريب بن سعد القرطبي : صلة تاريخ الطبري ، بيروت ، ص ٧١ ؛ الفاسي : شفاء الغرام ، ٣٠٣/٢ .
(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٦٥/٦ .
(٤) عريب بن سعد : المصدر السابق ، ص ٢٢٧ .
(٥) عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي : البداية والنهاية ، ط ١ ، القاهرة ١٣٥١هـ / ١٩٣٢م ، ١٥٣/١١ .

الحج العراقى أخذوا يتتابعون على مكة طيلة تلك الفترة دون انقطاع أو توقف يذكر [١]. فكل ذلك يؤكد عدم نجاح محمد بن سليمان في ثورته [٢] التى قام بها بمكة والتى لم تستمر طويلا .

الا أن امارة مكة المكرمة قد خرجت عن طاعة ونفوذ العباسيين مرة أخرى وذلك في الوقت الذى دخل فيه القرامطة مكة واستولوا عليها سنة ٣١٧هـ / ٩٢٩م [٣]. ولكن العباسيين استطاعوا بعد فترة وجيزة أن يعيدوا نفوذهم وسيادتهم على مكة المكرمة اذ أقيمت الخطبة على منابرها للخليفة العباسى القاهر وذلك فى اليوم السابع من ذى الحجة لعام ٣٢٠هـ / ٩٣٢م [٤].

ثم أقيمت الخطبة بعد ذلك للخليفة العباسى الراضى بالله وذلك فى عام ٣٢٧هـ / ٩٣٨م [٥]. وبعد وفاته خطب بمكة لأخيه [٦] الخليفة العباسى المتقى لله سنة ٣٢٩هـ / ٩٤٠م .

ولكى يضمن العباسيون بقاء نفوذهم وسيادتهم على مكة المكرمة فقد أسندوا امارتها الى الوالى الاخشيدى محمد بن طغج [٧] القائم بولاية مصر والشام فى سنة ٣٣٢هـ / ٩٤٣م ، وأخذ

---

(١) ابن الأثير : المصدر السابق نفسه ، ٦/١٥٠،١٥٢،١٦٧،١٧٢؛ المالكى : بلاد الحجاز ، ص ٢٥ .

(٢) لقد ذكر محمد سرور خلاف ذلك حيث قال ان السليمانيين لم يستطيعوا حماية الحجاج من هجمات القرامطة المتكررة على مكة ، فهو بذلك يبرهن على أن حركة محمد بن سليمان قد نجحت واستمرت حتى استولى القرامطة على مكة سنة ٣١٧هـ/٩٢٩م .
أنظر : محمد سرور : النفوذ الفاطمي فى جزيرة العرب ، ص ١٠ ؛ الزيلعى : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ٢٥ .

(٣) ابن خلدون : العبر ، ٤/١٠٠ .

(٤) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٢/٣٨٢ ـ ٣٨٣ .

(٥) القلقشندى : صبح الأعشي ، ٤/٦٨ ؛ مورتيل : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة فى العصر المملوكي ، ص ١٣ .

(٦) ابن خلدون : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها ؛ العصامى : سمط النجوم العوالى ، ٤/١٩٤ .

(٧) الفاسى : شفاء الغرام ، ٢/٣٠٥ .

الاخشيديون يعينون عليها أمراء من قبلهم ومن هؤلاء الأمراء الذين حفظت لنا المصادر أسماءهم الأمير أبو جعفر محمد بن الحسن بن عبد العزيز العباسي الذى كان أميرا عليها سنة ٣٣٨هـ / ٩٤٩م (١) ، وأصبح اسم الاخشيديين يذكر فى الخطبة مع اسم الخليفة العباسي لاينافسهم على ذلك أى منافس حتى ظهر البويهيون على مسرح الأحداث السياسية وخاصة بعد استيلائهم على مدينة بغداد فى عام ٣٣٤هـ / ٩٤٥م (٢) فبدءوا منذ تلك الفترة فى منافسة الأخشيديين على الخطبة بمكة فتذكر المصادر أن الخطبة بمكة فى ذلك العام قد أقيمت للخليفة العباسي المطيع لله ولمعز الدولة بن بويه (٣) .

وأصبحت مكة المكرمة بعد ذلك مسرحا للنزاع القائم بين البويهيين والاخشيديين وذلك مما أدى الى قيام عدة معارك بينهما حيث كان أمير الحج المصرى يحرص على أن تقام الخطبة للاخشيديين ، بينما حرص أمير الحج العراقي على ذكر اسم البويهيين بجانب اسم العباسيين (٤) . وقد انتهى ذلك النزاع بتلك الاتفاقية التى ابرمت بين الطرفين سنة ٣٤٨هـ / ٩٥٩م على أن تكون الخطبة بمكة خاصة للخليفة العباسي وحده (٥) . الا أن السيادة الاخشيدية على مكة قد عادت من جديد وذلك فى عهد كافور الاخشيدى الذى أصبحت الخطبة تقام له على منابر مكة (٦)

---

(١) الفاسي : المصدر السابق ، ٣٠٦/٢ ; الزيلعي : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ٣٣ .
(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ٣١٦/٦ .
(٣) ابن فهد : المصدر السابق ، ٣٩٢/٢ .
(٤) ابن خلدون : العبر ، ١٠٠/٤ .
(٥) ابن فهد : المصدر السابق ، ٤٠٠/٢ .
(٦) حكم كافور ولاية مصر من سنة ٣٥٥هـ / ٩٦٥م الى سنة ٣٥٧هـ / ٩٦٧م .

وبلاد الحجاز ، واستمرت تلك السيادة على مكة حتى نهاية[1] النفوذ الاخشيدى على مصر سنة ٣٥٨هـ / ٩٦٨م .[2]

---

(١) الفاسي : شفاء الغرام ، ٢/٣٥٠ - ٣٥١ ؛ مورتيل : الأحوال السياسية بمكة ، ص ١٤ .

(٢) جمال الدين محمد جار الله بن ظهيرة : الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف ، ط ٢ ، القاهرة ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨م ، ص ٣٠٥ .

امارة الموسويين على مكة المكرمة :

لقد دخلت مكة المكرمة مرحلة جديدة في علاقاتها الخارجية اذ برزت امارة علوية جديدة في أواخر العهد الاخشيدي ، وهذه الامارة هي امتداد بلاشك للمحاولات والثورات العلوية السابقة التي ظهرت بمكة المكرمة ، وقد عرفت هذه الامارة باسم امارة الموسويين أو بني موسى .(١)

ولقد عرفوا بذلك نسبة الى جدهم موسى بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ،(٢) كما أنهم عرفوا أيضا باسم الجعافرة وذلك نسبة الى أول من تولى امارة مكة منهم وهو جعفر بن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب .(٣)

ولقد استطاع هذا الأمير أن يؤسس له امارة بمكة المكرمة وذلك في عام ٣٥٨هـ / ٩٦٨م وهي الفترة التي أعقبت

---

(١) جمال الدين أحمد بن علي الحسيني المعروف بابن عنبة : عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب ، مجموعة الرسائل الكمالية (٨) في الأنساب ، القاهرة ، ص ٢٢٥ ؛ دحلان : أمراء البلد الحرام ، ص ٢٨ .

(٢) أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي : جمهرة أنساب العرب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، ط ٥ ، القاهرة ، ٤٧/١ ؛ ابن عنبة : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها .

(٣) ابن عنبة : المصدر نفسه ، ص ٢٣٢ ؛ مورتيل : الأحوال السياسية بمكة ، ص ١٦ .
وقد اختلف المؤرخون حول اسم جد جعفر هذا فذكر بعضهم كابن حزم الأندلسي في كتابه جمهرة أنساب العرب ٤٧/١ ، والفاسي : العقد الثمين ٤٢٩/٣ ، وابن ظهيرة في كتابه الجامع اللطيف ص ٣٠٥ ، أن اسمه الحسن. ولكن المقريزي في كتابه اتعاظ الحنفاء ٢٢٥/١ ، وابن عنبة في كتابه عمدة الطالب ص ٢٣٢ ، وزامباور في كتابه معجم الأنساب والأسرات الحاكمة ص ٣٠ ، وأيوب صبري باشا في كتابه مرآة جزيرة العرب ١١٢/١ . ذكروا أن اسمه الحسين وليس الحسن .

وفاة كافور الاخشيدي[(١)] ولعله أدرك قوة كافور الاخشيدى فلم يجرؤ على اعلان قيام امارته في تلك الفترة السابقة لوفاته وانما فضل التريث حتى سنحت له الفرصة سنة ٣٥٨هـ / ٩٦٨م وذلك حينما استطاع القائد الفاطمي جوهر الصقلي أن يدخل مصر ويعلن قيام الخلافة الفاطمية بها فانتهز الأمير جعفر هذه الفرصة وقدم من المدينة مسرعا واستولى على مكة المكرمة في ذلك العام ، هذا وكان للفتنة الكبيرة التي حدثت بين بني الحسن وبني جعفر بالمدينة ، وماأعقبها من قلاقل واضطرابات ، أثر كبير في عزمه على مغادرة المدينة والتوجه الى مكة للاستيلاء عليها[(٢)] . والغريب في الأمر أن هذه الحركة العلوية الجديدة قد جاءت متزامنة مع الوقت الذى دخل فيه الفاطميون مصر واستولوا عليها[(٣)] وكان جعفر بن محمد قد أراد أن يستغل هذه الظروف المتمثلة في تدهور الأوضاع الداخلية بمصر في أواخر العهد الاخشيدى ومانتج عن ذلك من سقوط الدولة الاخشيدية واستيلاء الفاطميين على مصر فبادر فور دخوله الى مكة باقامة الخطبة للخليفة الفاطمي المعز لدين الله[(٤)] فمنذ تلك الفترة دخلت علاقات مكة الخارجية مرحلة

---

(١) الفاسي : شفاء الغرام ، ٣٠٦/٢ .

(٢) ابن حزم : المصدر السابق ، ٦٩/١ ؛ ابن خلدون : العبر ١٠١/٤ ؛ تقي الدين أحمد بن علي المقريزى : اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م ، ١٠١/١ ؛ أيوب صبرى باشا : مرآة جزيرة العرب ، تقديم وترجمة أحمد فؤاد متولي وآخر ، ط ١ ، الرياض ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، ٨٧/١ – ٨٨ ؛ دحلان : أمراء البلد الحرام ص ٢٨ .

(٣) القلقشندى : صبح الأعشى ، ٢٦٩/٤ .

(٤) تقي الدين محمد بن أحمد بن علي الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الامين ، تحقيق محمد حامد فقي ، القاهرة ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م ، ١٨٦/١ ؛ المقريزى : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها .

جديدة حيث كان ذلك ايذانا ببدء حلقة طويلة من الصراع والتنافس بين الخلافتين العباسية والفاطمية على السيادة والخطبة بمكة المكرمة والمشاعر المقدسة وذلك طوال عهد[1] امارة الموسويين ومن تلاهم من الحكومات العلوية الأخرى .

ولكن السؤال الذى قد يتبادر الى الذهن هو ما السبب الذي جعل ذلك الأمير العلوى يعلن ولاءه وتبعيته للخلافة الفاطمية فور استيلائه على الامارة ؟

يمكن القول بأن ثمة عوامل قد جعلت الأمير جعفر بن محمد يبادر باقامة الخطبة للفاطميين وهى : خوفه من الخلافة العباسية التى أخذت على عاتقها محاربة أى ثورة علوية والعمل دون نجاحها وتوسعها[2] فأراد أن يضع بجانبه قوة يمكن الاعتماد عليها فى حالة تعرضه لأى هجوم خارجى قد يقع على بلاده ، كما أنه قد ادرك أن العباسيين لايمكن أن يعترفوا به ويباركوا له استقلاله بأى حال من الأحوال لذلك اتجهت أنظاره الى الفاطميين الذين كانوا لايهمهم الا أن تقام الخطبة باسمهم فى الحرمين الشريفين وذلك ليكسبوا خلافتهم قوة أمام العالم الاسلامى ويضعفوا[3] من شأن الخلافة العباسية .

هذا بالاضافة الى أن ذلك الأمير الموسوى قد ادرك أن انضمامه الى الخلافة الفاطمية سيحقق لمكة وأهلها مكاسب سياسية واقتصادية[4] ، وقد صدقت توقعاته فما أن علم الخليفة

---

(١) الزيلعى : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ٤١ .

(٢) محمد لبيب البتنونى : الرحلة الحجازية ، ط ٣ ، ص ٧٣ ، ٧٤ ؛ الزيلعى : المرجع السابق ، ص ٤٢ .

(٣) محمد جمال الدين سرور : النفوذ الفاطمى فى جزيرة العرب ، ص ١٤ .

(٤) الزيلعى : المرجع السابق نفسه والصفحة نفسها .

المعز لدين الله بحسن ولاء أمير مكة تجاهه حتى بادر بارسال سجل له يقضى بتقليده مكة والمناطق التابعة لها ، كما قام بارسال مبعوث من قبله وكلفه بتفريق عشرين حملا من الاموال على أمراء مكة وأهلها (١) ، وهناك عامل آخر ربما يكون سببا فى ميل الأمير جعفر بن محمد للفاطميين وهو ذلك الموقف ، الذى بدر من الخليفة الفاطمى المعز أثناء اقامته بالمغرب اذ أكد للحسنيين حسن نواياه تجاههم وعزمه على الوقوف بجانبهم حيث قد بلغه خبر الحرب التى وقعت بين بنى الحسن وبنى جعفر بن أبى طالب بالمدينة سنة ٣٤٨هـ / ٩٥٩م (٢) فصمم المعز على انهاء ذلك النزاع القائم بين الطرفين بالحسنى واللين فأرسل اليهم وفدا للتباحث مع رؤسائهم فى أسباب ذلك النزاع والعمل على حله بشتى الوسائل الممكنة وقد وُفِّقَ ذلك الوفد فى ازالة هذا الخلاف فأصلح بينهما وتكفل المعز بدفع دية قتلى الطرفين من ماله الخاص (٣) ، فسر بنو الحسن بذلك الصلح وأخذوا يكنون للخليفة الفاطمى المعز كل محبة وولاء وامتنان

ولكن سرعان ما اختلت تلك العلاقة الفاطمية المكية وذلك سنة ٣٥٩هـ / ٩٦٩م حينما استطاع أمير الحج العراقى أبو أحمد الحسين بن موسى الحسينى ومعه الحسين بن أحمد

---

(١) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ١٠١/١ ؛ الزيلعى : المرجع السابق نفسه والصفحة نفسها .

(٢) ابن حزم الأندلسى : جمهرة أنساب العرب ، ٦٩/١ ؛ العصامى : سمط النجوم العوالى ، ١٩٥/٤ ؛ يوسف ابن أحمد : المحمل والحج ، القاهرة ١٣٥٦هـ / ١٩٣٧م ، ٢٢١/١ .

(٣) المقريزى : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها ؛ العصامى المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها .

القرمطى أن يقيما الخطبة على منابر مكة للخليفة العباسى المطيع لله وللقرامطة الهجريين الذين كانوا قد ساءت علاقتهم بالفاطميين فى تلك الفترة ومالوا الى جانب العباسيين (١). ولكن الخليفة الفاطمى المعز لم يقف مكتوف الايدى أمام تلك التحركات العباسية فقد جهز قوة عسكرية كبيرة وأمر حلفاءه بنى الحسين حكام المدينة بمرافقة ومساندة تلك القوة المتجهة الى مكة المكرمة وذلك لاعادة السيادة الفاطمية عليها من جديد ولكن هذه الحملة العسكرية قد منيت بالفشل اذ استطاع القرامطة الذين ساندوا أمير مكة أن يلحقوا بالقوات الفاطمية هزيمة قاسية وذلك ما أجبرهم على الهروب الى المدينة ومنها الى القاهرة (٢). هذا وقد استمرت الخطبة بمكة تقام للخليفة العباسى المطيع لله حتى سنة ٣٦٣هـ / ٩٧٣م (٣) عندئذ لجأ المعز الى سياسة حكيمة أدرك نجاحها خلفاؤه من بعده فساروا عليها وهى الاحالة دون وصول أمير الحج العراقى وأتباعه الى مكة وذلك بتحريض القبائل القاطنة على طريق الحج العراقى على الاعتداء على الحجاج العراقيين ومنعهم من التوجه الى مكة المكرمة (٤) وذلك لكى لايتمكن أميرهم من اقامة الخطبة بها للخليفة العباسى وهكذا تحقق للخليفة الفاطمى المعز ماكان يريده وينشده حيث أقيمت

---

(١) عماد الدين اسماعيل أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ، بيروت ، ١١١/٢ ؛ الفاسى : العقد الثمين ، ١٨٦/١ ؛ الزيلعى : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ٤٣ .

(٢) العصامى : سمط النجوم العوالى ، ١٩٥/٤ .

(٣) الفاسى : شفاء الغرام ، ٣٥٢/٢ .

(٤) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٤١٠/٢ ؛ عبد القادر بن محمد بن عبدالقادر بن ابراهيم الأنصارى الجزيرى : الدرر الفرائد المنظمة فى أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة ، تحقيق حمد الجاسر ، ط ١ ، الرياض ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣ ، ٥٢٤/١ ؛ الزيلعى : المرجع السابق نفسه ، ص ٤٤ .

له الخطبة على منابر الحرمين الشريفين[1] فاحس بعد ذلك بقوة نفوذه على مكة وبدأ بالتدخل فى شئونها الداخلية ورأى أن تلك الرابطة السياسية التى تربط بينه وبين امراء مكة وأهلها لابد أن تعزز وتقوى وذلك لايتم الا بوجود رابطة دينية وروحية تجمع بينهما فشرع يعمل على نشر المذهب الاسماعيلى فى مكة المكرمة[2] ، فأصدر أوامره بزيادة عبارة "حى على خير العمل" فى الاذان بمكة المكرمة[3] .

وقد نجحت تلك السياسة واستمر الدعاء له على منابر الحرمين الشريفين حتى وفاته سنة ٣٦٥هـ / ٩٧٥م[4] ، ثم تولى الخلافة من بعده ابنه العزيز بالله ، وقد توفى فى ذلك العام أيضا أمير مكة جعفر بن محمد فتولى امارة مكة بعده ابنه عيسى الذى يبدوا أنه كان مخالفا لسياسة والده فى تبعيته للفاطميين فقد أمر فور توليه الامارة بأن تقطع الخطبة عن الفاطميين[5] ، ولم توضح لنا المصادر التى بين أيدينا أسباب ذلك التحول فى العلاقات ولكن ربما يكون ذلك بسبب انخفاض النيل الأمر الذى أدى الى توقف المعونات المصرية عن مكة ولكن الخليفة الفاطمى الجديد ساءه ذلك الخبر وعزم على اعادة سيادته على مكة بالقوة فبادر بارسال قوة عظيمة يتزعمها القائد باديس بن زيرى المنهاجى[6] ويبدو أن أمير مكة قد منعه من الدخول مما اضطره الى فرض

---

(١) ابن الاثير : الكامل ، ٥٨/٧ .
(٢) جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، القاهرة ، ١٩٦٣م ، ١٤١/٤ – ٢١٤ .
(٣) أحمد السباعى : تاريخ مكة ، ١٩٣/١ ؛ الزيلعى : المرجع السابق نفسه ، ص ٤٤ .
(٤) ابن كثير : البداية والنهاية ، ٢٨٠/١١ .
(٥) الفاسى : شفاء الغرام ، ٣٠٧/٢ .
(٦) ابن تغرى بردى : المصدر السابق نفسه ، ١١٠/٤ ؛ مالكى : بلاد الحجاز ، ص ٣١-٣٢ .

حصار عليها مدة لم تحددها المصادر، فظهر أثر ذلك الحصار على الأوضاع الداخلية بمكة حيث انعدمت المؤن بها وغلت الأسعار في أسواقها فسارع أهالي مكة الى الاستنجاد بأميرهم عيسى وطلبوا (١) منه تحقيق مطالب الفاطميين واقامة الخطبة للخليفة العزيز بالله فحينما رأى أمير مكة رغبة قومه وأدرك أن الأمور تجري لغير صالحه سمح باقامة الخطبة للخليفة الفاطمي وحده على منابر مكة فأحس العزيز بعد ذلك بقوة موقفه فبدأ بالتدخل في شئون مكة الداخلية حيث قام بتعيين علي بن النعمان بن محمد بن منصور بن حيون قاضيا على الحرمين وذلك سنة ٣٦٦هـ / ٩٧٦م (٢)، واستمرت الخطبة بعد ذلك من نصيب الخليفة الفاطمي وحده حتى سنة ٣٦٨هـ / ٩٧٨م (٣). ففي موسم حج ذلك العام أقيمت الخطبة بمكة للخليفة العباسي الطائع لله ولعضد الدولة بن بويه الذي استطاع أن يجبر أمير مكة على أن يقيم الخطبة له وللخليفة العباسي على منابر مكة (٤)، وكانت هذه آخر خطبة تقام للعباسيين بمكة في عهد الامارة الموسوية (٥) والسبب في ذلك ربما يكون راجعا الى انتظام الحكومة المصرية في ارسال النفقات والأعطيات الى أمراء مكة الذين بدأوا يخلصون، بل

---

(١) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٤١٣/٢ ؛ الجزيري : الدرر الفرائد ، ٥٢٨/١ .

(٢) شمس الدين السخاوي : التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ، ٢٦٦/٣ ، ٢٦٧ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، ٩٠/٧ — ٩٣ .

(٤) الجزيري : المصدر السابق ، ٥٢٩/١ ؛ العصامي : سمط النجوم العوالي ، ١٩٥/٤ ؛ الزيلعي : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ٤٥ .

(٥) ابن دقماق : الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين ، ص ١٥٠ ؛ ابن فهد : المصدر السابق ، ٤١٦/٢ ؛ مورتيل : الأحوال السياسية بمكة ، ص ١٧ .

ويظهرون ولاءهم التام والمطلق للخلفاء الفاطميين وتجلى ذلك فى رفض ولى عهد أمير مكة الأمير أبى الفتوح الحسن بن جعفر الذى عظم أمره فى عهد أخيه عيسى (١)، ذلك العرض الذى قدمه له الخليفة العباسى القادر بالله سنة ٣٨١هـ / ٩٩١م والذى تمثل فى ضمان امارة مكة له ولأسرته من بعده لقاء اقامة الخطبة للعباسيين (٢). ولم يقابل أبو الفتوح ذلك العرض بالرفض فقط بل انه أرسل الى الخليفة الفاطمى العزيز بالله يطلعه على تلك العروض والاغراءات العباسية فتأكد العزيز بذلك من حسن نوايا أمراء مكة تجاهه واستمر فى مواصلة ارسال النفقات والأموال اليهم كل عام (٣)، وذلك مما قوى الترابط والعلاقات بينهما حتى ان أمير مكة عيسى بن جعفر قام بنفسه بزيارة الى مصر وذلك لمقابلة الخليفة الفاطمى والتباحث معه فى مستقبل العلاقات المكية الفاطمية وذلك فى محرم سنة ٣٨٤هـ / ٩٩٤م ولم يكن استقبال الخليفة الفاطمى العزيز لأمير مكة استقبالا عاديا وانما استقبله أحسن استقبال وأكرمه وأحسن اليه وعندما أراد العودة الى مكة فى جمادى الآخرة من العام نفسه أرسل معه الجوائز والخلع والأموال (٤) فسر أمير مكة بذلك الاكرام وعاد الى بلاده وقد أكن له كل محبة وولاء واخلاص . فأدرك الفاطميون بعد ذلك حسن نوايا أمراء الموسويين تجاههم فقاموا بمكافأتهم على ذلك الولاء اذ أرسلت كميات كبيرة من المواد الغذائية كالقمح

---

(١) ابن فهد : المصدر السابق نفسه ، ٢/٤٢١ .
(٢) الجزيرى : المصدر السابق نفسه ، ١/٥٣٠ .
(٣) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ١/٢٥٢ ؛ ابن فهد : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها .
(٤) المقريزى : المصدر السابق نفسه ، ١/٢٨١ .

والشعير وسائر الحبوب الى أهالى مكة ، وارسل أيضا محراب مذهب أمر بوضعه داخل الحرم المكى الشريف[(١)] ولعل الفاطميين كانوا يهدفون من ارسال ذلك المنبر الى أن يظهروا لكافة المسلمين فى شتى بقاع الأرض أن الفاطميين هم وحدهم الذين يقومون بخدمة الحرمين الشريفين أو لعلهم كانوا يهدفون من ذلك أيضا الى تثبيت السيادة الفاطمية بمكة وضمان اقامة الخطبة لهم بالحرم المكى على ذلك المنبر .

كما رصدت الخلافة الفاطمية بعد ذلك مبالغ طائلة خصصت للانفاق على أمراء مكة وأهلها وقد بلغت هذه الاموال مائة الف دينار وأخذت تزداد عاما بعد عام حتى بلغت ثلثمائة الف دينار وذلك فى عام ٣٨٢هـ / ٩٩٣م[(٢)] .

واستمرت العلاقات الودية بين الطرفين حتى توفى الأمير عيسى بن جعفر سنة ٣٨٤هـ / ٩٩٤م فخلفه فى امارة مكة أخوه الحسن بن جعفر الملقب بأبى الفتوح[(٣)] ذلك الذى كان يتصف بالقوة والشجاعة ، ولقد مكنته تلك الصفة من توسيع رقعة امارته حتى وصلت المدينة المنورة شمالا ، وحدود اليمن جنوبا[(٤)] .

---

(١) المقريزى : المصدر السابق ، ٢٤٦/١ .

(٢) المصدر نفسه ، ٢٥٢/١ ؛ مورتيل : الأحوال السياسية ، ص ١٨

(٣) أبو العباس أحمد القلقشندى : مآثر الانافة فى معالم الخلافة ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٦٤م ، ٣٢٦/١ ؛ ابن فهد : اتحاف الورى ، ٤٢٣/٢ .

(٤) أبو عبيد الله البكرى : جزيرة العرب من كتاب الممالك والمسالك ، تحقيق عبد الله يوسف الغنيم ، ط ١ ، الكويت ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م ، ص ٤٩ .

وقد سار أبو الفتوح في بداية عهده على نهج سياسة أخيه عيسى في علاقته بالخلافتين العباسية والفاطمية فقد رفض جميع المحاولات العباسية التي تدور حول اقامة الخطبة لهم على منابر مكة (١)، واستمر مواليا للفاطميين ومخلصا لهم فقد أمر بأن تقام الخطبة على منابر مكة والمشاعر المقدسة للخليفة الفاطمي الجديد الحاكم بأمر الله (٢) الذي حرص هو الآخر على مواصلة ارسال النفقات المقررة لأمراء مكة وأهلها (٣).

هذا وقد ساءت العلاقات المكية الفاطمية سنة ٤٠١هـ / ١٠١٠م (٤) وذلك بسبب خروج أبي الفتوح عن طاعة الفاطميين واعلان نفسه خليفة على المسلمين ولم يكن قرار أبي الفتوح هذا الابتحريض واغراء من الوزير أبي القاسم حسين بن علي المغربي الذي كان ناقما على الخليفة الحاكم وذلك بسبب قتله اباه واخاه وأعمامه وأراد قتله هو الآخر ولكنه تمكن من الفرار الى بني (٥) الجراح في الرملة بفلسطين ، وكان آل الجراح يشجعون

---

(١) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٤٢٤/٢ ؛ الجزيري : الدرر الفرائد ، ٥٣٠/١ - ٥٣١ .

(٢) ابن فهد : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها .

(٣) المقريزي : اتعاظ الحنفا ، ٨/٢، ١٥، ٢٠، ٢٤ .

(٤) لقد اختلف المؤرخون في تاريخ اعلان أبي الفتوح للخلافة فذكر القلقشندي في كتابه مآثر الانافة ٣٢٦/١ ، والصباغ في كتابه تحصيل المرام ص ٢١٦ - ٢١٧ ، وابن خلدون في كتابه العبر ١٠١/٤ - ١٠٢ أن ذلك الاعلان كان سنة ٤٠٢هـ / ١٠١١م . بينما انفرد ابن الأثير في كتابه الكامل ١٥٧/٧ برواية ذكر فيها أن ذلك الحدث قد تم سنة ٣٨٢هـ / ٩٩٢م ، ولكن أكثرية المؤرخين كابن كثير في كتابه البداية والنهاية ٣٤٤/١١ ، وابن عنبة في كتابه عمدة الطالب ص ٢٣٣ ، والجزيري في كتابه الدرر ٥٣٦/١ ، والمقريزي في كتابه اتعاظ الحنفا ٨٧/٢ - ٩٥ والرشيدي في كتابه حسن الصفا والابتهاج ص ١١٢ ، وابن فهد في كتابه اتحاف الورى ٤٣٦/٢ جميع هؤلاء قد ذكروا وأجمعوا على أن أبي الفتوح قد أعلن الخلافة سنة ٤٠١هـ / ١٠١٠م .

(٥) ابن خلدون : العبر ، ١٠١/٤ - ١٠٢ .

الثائرين على الخلافة الفاطمية ويؤيدونهم وذلك بسبب سوء علاقتهم بالفاطميين فى تلك الفترة لأنهم كانوا يطمعون فى تكوين حكومة مستقلة لهم (١)، فحينما رأى الوزير رغبتهم فى تحقيق ذلك أشار عليهم باستدعاء أمير مكة أبى الفتوح ومبايعته بالخلافة ليستطيعوا تحقيق جميع أهدافهم التى يرمون اليها (٢) فوافقه حسان بن مفرج بن دغفل الطائى ، زعيم آل الجراح ، على ذلك الرأى وكلفه بالمسير الى مكة لتحريض أبى الفتوح على اعلان الخلافة وتقديم كافة الاغراءات له للخروج على الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله (٣) فسافر أبو القاسم الى مكة وعرض الأمر على أبى الفتوح (٤) الذى لم يبد أى اعتراض على ذلك الرأى وخاصة بعد مشاورته لكبار الحسنيين الذين شجعوه على تنفيذ هذه الفكرة (٥) لأنهم هم وجميع أهالى مكة المكرمة كانوا ساخطين كل السخط على الحكومة الفاطمية وذلك بسبب تلك الأوامر الفاطمية التى أصدرها الحاكم والتى تتضمن اجبار أبى الفتوح على التوجه الى المدينة المنورة لنبش قبر الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبيه أبى بكر وعمر رضى الله عنهما وارسالهما الى مصر (٦). كما أمره أيضا بقراءة السجل الذى أرسله له والذى انتقص فيه بعض أصحاب رسول الله

---

(١) أمينة بيطار : موقف أمراء العرب بالشام والعراق من الفاطميين حتى أواخر القرن الخامس الهجرى ، ط ١ ، بيروت ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ، ص ٨٣ — ٨٥ .

(٢) العصامى : سمط النجوم العوالى ، ١٩٦/٤ ؛ الزيلعى : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ٥٢ .

(٣) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٤٣٦/٢ .

(٤) جمال الدين على بن ظافر : أخبار الدول المنقطعة ، ضمن مطبوعات المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة ، ص ٤٨ — ٤٩ .

(٥) أمينة بيطار : المرجع السابق نفسه ، ص ٨٥ — ٨٦ .

(٦) الجزيرى : الدرر الفرائد ، ٥٣٢/١ — ٥٣٣ .

لقد جاءت هذه الأوامر الفاطمية محققة لآمال الأمير أبو الفتوح الذى استغل هذه الاوامر وقام بازالة بنى الحسين حكام المدينة عن الامارة ، ولكن ابو الفتوح لم ينفذ أوامر الحاكم بنبش قبر الرسول صلى الله عليه وسلم بسبب الرياح الشديدة التى اجتاحت المدينة فى تلك الفترة فعاد ابو الفتوح الى مكة المكرمة ، وعاد بنو الحسين الى امارة المدينة من جديد . أنظر ابن فهد : اتحاف الورى ٢ج ، ص ٤٢٧ .

صلى الله عليه وسلم ، وجرح بعض أزواجه عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم (١) ، كما أنه قد أجبر أهالى مكة على القيام له عند ذكر اسمه والسجود له (٢) . وبدهى أن تثير هذه الأوامر مشاعر وقلوب جميع المسلمين لذلك فلاغرابة اذن أن يعلن أبو الفتوح وكبار الحسنيين وجميع أهالى الحرمين خروجهم عن طاعة الدولة الفاطمية (٣) .

ولم تبق بعد ذلك أمام أبي الفتوح أي مشكلة تحول بينه وبين تنفيذ مخططه الجديد سوى قلة الامكانات المادية التى تكفل له نجاحه فاقترح عليه الوزير أبو القاسم أخذ مافى الكعبة (٤) من ذهب وفضة وتحويلها الى دراهم ودنانير كما جرأه أيضا على الاستيلاء على تركة أحد تجار جدة ويدعى المطوعى وهو الذى عهد لأبى الفتوح قبيل وفاته بالمحافظة على تركته وتسليمها لورثته من بعده (٥) . وبعدما رأى أمير مكة أبو الفتوح أن كل الأمور تجرى لصالحه أعلن نفسه خليفة وتلقب بالراشد بالله (٦) ، وسار الى الرملة ومعه الوزير أبو القاسم فحين وصوله اليها استقبله جميع آل الجراح أحسن استقبال وبايعوه بالخلافة وخطب له على منابر كثير من مساجد بلاد

---

(١) البكرى : جزيرة العرب من كتاب الممالك والمسالك ، ص ٦٩ — ٧٠ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ٢٣١/٧ ؛ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ٢٤١/٤ .

(٣) ابن خلدون : العبر ، ١٠١/٤ — ١٠٢ ؛ القلقشندى : صبح الأعشى ، ٢٦٩/٤ ؛ ابن فهد : اتحاف الورى ، ٤٣٧/٢ — ٤٣٨ .

(٤) ابن عنبة : عمدة الطالب ، ص ٢٣٣ .

(٥) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٤٣٧/٢ .

(٦) ابن الأثير : المصدر السابق ، ١٥٧/٧ .

الشام .[1]

وحينما سمع الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله بهذه الأخبار السيئة أدرك خطورة الموقف وعزم على حل تلك المشكلة قبل تفاقمها وأيقن أنه لايمكن حلها الا بالسياسة واستخدام المكر والحيل وذلك لقوة شوكة آل الجراح الذين ناصروا أبا الفتوح في حركته[2] ، فركز الحاكم على كسر جناحي أبي الفتوح والقضاء على الأسس التي يعتمد عليها ويعتبرها مصدرا لقوته وهي قوة نفوذه بمكة وتأييد أهلها وعرب الحجاز له[3] ، بالاضافة الى اعتماده على قوة آل الجراح ونفوذهم القوى ، فأمر الحاكم بفرض حصار اقتصادي على مكة ومنع ارسال المعونات اليها[4] حتى يتخلى المكيون عن أبي الفتوح ويسلبوا ولاءهم عنه فأصدر سجلا في شعبان سنة ٤٠٢هـ /١٠١١م يقضي بمنع السفر الى مكة لأى غرض كان سواء أكان تجاريا أم دينيا[5] . أضف الى ذلك قراره بعزل أبي الفتوح عن امارة مكة وتعيين أبي الطيب داودبن عبدالرحمن بن قاسم بن أبي الفاتك المسمى عبدالله بن داود بن سليمان بن عبدالله بن موسى بن عبدالله ابن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب بدلا منه[6] . ولم يكتف الحاكم بذلك بل أرسل الى أمير مكة الجديد اموالا كثيرة وأمره بأن يقوم بتوزيعها على القبائل ليصرفهم عن طاعة أبي الفتوح

---

(١) الجزيري : الدرر الفرائد ، ٥٣٧/١ ; المالكي : بلاد الحجاز ، ص ٣٣ .
(٢) العصامي : سمط النجوم ، ١٩٦/٤ – ١٩٧ ; الزيلعي : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ٥٤ .
(٣) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٤٣٧/٢ – ٤٣٨ .
(٤) القلقشندي : صبح الأعشى ، ٢٦٩/٤ .
(٥) المقريزي : اتعاظ الحنفا ، ٩٠/٢ .
(٦) الفاسي : شفاء الغرام ، ٣٠٩/٢ ; العصامي : المصدر السابق ، ١٩٧/٤ .

ويدعوهم الى الدخول في طاعته[1] ، ونجح أبو الطيب في تحقيق مطالب الحاكم فقد استطاع أن يصرف القبائل عن طاعة أبى الفتوح وبذلك ضعف شأن أبى الفتوح ومما زاد في اضعافه أيضا[2] ذلك الخطاب الذى بعثه الحاكم الى زعيم آل الجراح يطلب فيه التخلى عن أبى الفتوح ويغريه بالأموال والخلع الكثيرة اذا حقق له مايريد فتغيرت نياتهم على أبى الفتوح[3] الذى أيقن بخطورة الموقف وأدرك أن تخليهم عنه سيجعله في موقف حرج قد يسبب له أسوأ العواقب فأراد انقاذ الأمر قبل فوات الأوان فذهب الى الوزير أبى القاسم وأخبره بالأمر وقال له :"أنت أوقعتنى وأغويتنى وأخرجتنى الى هؤلاء القوم الغدارين ، وأخرجتنى من بلدى ونعمتى وامرتى ، وجعلتنى في أيدى هؤلاء ينفقون سوقهم بى عند الحاكم ويبيعوننى بيعا بالدراهم ، فيجب عليك أن تخلصنى كما أوقعتنى ، وتسهل سبيلى بالعودة الى الحجاز "[4] ، فلم يجد أى مساعدة من الوزير أبى القاسم فذهب الى مفرج الطائى والد حسان واستنجد به وطلب منه مساعدته في ايصاله الى مكة[5] ، والتوسط له عند الحاكم ليعيده لامارة مكة من جديد فكتب مفرج الى الحاكم يخبره بندم أبى الفتوح على مافعله ويعده بعدم تكرار ذلك منه[6] ، وهذا ماأسر الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله كثيرا وفرح

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، ١٥٧/٧ ؛ حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، ط ٢ ، القاهرة ١٩٥٨م ، ص ٢٣٨ – ٢٣٩ .

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق والصفحة نفسها ؛ الزيلعى : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ٥٦ .

(٣) ابن فهد : غاية المرام ، ٤٨٥/١ – ٤٨٦ .

(٤) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٤٣٩/٢ – ٤٤٠ .

(٥) الجزيرى : الدرر الفرائد ، ٥٣٧/١ – ٥٣٨ .

(٦) الفاسى : شفاء الغرام ، ٣٠٨/٢ .

بنجاح خطته فاستجاب لمطالب مفرج الطائي حيث عفا عن أبي الفتوح وسمح له بعودته الى امارة مكة من جديد[(١)] بشرط عدم الخروج عن طاعة الفاطميين مرة أخرى والحرص على اقامة الخطبة لهم على منابر مكة ، فأمر مفرج بعض رجاله بأن يقوموا بايصال أبي الفتوح الى مكة[(٢)] ، وبوصوله اليها هرب بنو أبي الطيب عنها[(٣)] ، وتولى أبو الفتوح امارتها من جديد وفور توليه الامارة أعلن ولاءه التام والمطلق للخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله كما أمر بنقش اسمه على العملة المتداولة بمكة المكرمة[(٤)] .

ومما هو جدير بالذكر أن علاقة أبي الفتوح بالخلافة الفاطمية قد تحسنت كثيرا وبات ولاؤه واخلاصه للفاطميين واضحا وخاصة بعد عودته من بلاد الشام فربما يكون قد أدرك أن الخلافة الفاطمية هي وحدها القوة المسيطرة على العالم الاسلامي في تلك الفترة ومما قد يؤكد ذلك أنه حينما خذله بنو الجراح لم تتطلع أنظاره الى الدولة العباسية لتخلصه من تلك الأزمة التي وقع فيها بل انه توسل بزعيم آل الجراح ليصلح بينه وبين الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله .

واستمر أبو الفتوح بعد ذلك مخلصا للفاطميين فلم يفكر لحظة واحدة في الخروج عن طاعتهم[(٥)] ، بل أخذ يخطب للخليفة الفاطمي الحاكم ثم لابنه الظاهر ثم للمستنصر حتى توفي

---

(١) دحلان : أمراء البلد الحرام ، ص ٢٩ .
(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ٤/٧٤ .
(٣) العصامي : سمط النجوم العوالي ، ٤/١٩٧ .
(٤) المقريزي : اتعاظ الحنفا ، ٢/٩٥ ؛ عطية القوصي : تجارة مصر في البحر الأحمر منذ فجر الاسلام حتى سقوط الخلافة العباسية ، القاهرة ١٩٧٦م ، ص ١١٢ — ١١٣ .
(٥) القوصي : المرجع السابق نفسه والصفحة نفسها .

سنة ٤٣٠هـ / ١٠٣٨م[1] وبلغت مدة امارته على مكة المكرمة ستا وأربعين سنة كان خلالها مواليا للفاطميين ومخلصا[2] لهم الافى فترات قليلة وذلك وقت اعلانه للخلافة سنة ٤٠١هـ / ١٠١٠م .

ثم تولى امارة مكة من بعده ابنه تاج المعالي محمد شكر بن أبي الفتوح الحسن بن جعفر[3] وقد تميز هذا الأمير الجديد عن غيره من الامراء الموسويين بتاييده للفاطميين وولائه واخلاصه لهم منذ توليه الامارة حتى وفاته فلم يلاحظ طوال عهده أى اتصال جرى بينه وبين العباسيين ببغداد[4] والدليل على سوء علاقته بهم انقطاع ركب الحج العراقى من القدوم الى مكة طوال عهده وكان الأمير شكربن أبى الفتوح من العلويين المتعصبين لعداوة العباسيين ويظهر ذلك من قصيدة بعثها الى أبناء عمومته بنى الحسين حكام المدينة يحثهم فيها على موالاة الفاطميين والاخلاص لهم حيث يبدو أنهم كانوا قد خلعوا طاعة الفاطميين فى تلك الفترة وأقاموا الخطبة على منابر المسجد النبوى الشريف للخليفة العباسي القائم لذلك فقد كتب اليهم الأمير شكر[5] هذه القصيدة :

---

(١) عبد الرحمن بن على بن محمد بن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، ط ١ ، حيدر أباد ، الدكن ١٣٥٩هـ ، ١٦/٨ ؛ القلقشندى : صبح الأعشى ، ٢٦٩/٤ ، يحيى بن الحسين بن القاسم : غاية الأماني فى أخبار القطر اليماني ، ٢٤٥/١ .

(٢) القلقشندى : مآثر الاناقة ، ٣٤٥/١ — ٣٤٦ .

(٣) ابن عنبه : عمدة الطالب ، ص ٢٣٣ .

(٤) الفاسى : شفاء الغرام ، ٣٦٠/٢ — ٣٦١ ؛ السباعى : تاريخ مكة ، ٢٠١/١ .

(٥) ابن فضل الله العمرى : مسالك الأبصار ، مخطوط المكتبة السليمانية رقم ٣٤٣٦ اسطنبول ، ١٢/٢٤ ؛ الزيلعى : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ٥٩ .

بنى عمنا الادنيين قوموا تأملوا
غرائب مايأتى به البغى فى الأهل

نسيتم دماء بالمدينة أهدرت
وماكان فى فخ من الأسر والقتل

فميلوا لهم لادر لله دركم
وعاطوهم كأس المودة والوصل

وخلوا بنى بنت النبى بجانب
ولاتقصروا حتى تروا فرقة الشمل

وتأخذكم أيدى الشتات وتخرجوا
من الحرم الشامى والحرم القبلى

وأما أنا مادام للسيف قائم
فلاأشترى عز العشيرة بالذل

فلاأرتقى الاذرى كل منبر
ولاأرتضى الا الذى يرتضى مثلى

أمهد للأبناء مايرتضونه
وأتبع آبائى الذين مضوا قبلى

ويبدو أن الأمير شكر بن أبى الفتوح لم يجد أذنا صاغية من حكام المدينة لتحقيق رغبته فى موالاتهم للفاطميين والخطبة لهم فقد أخذوا يدينون بالولاء لبنى العباس هذا بالاضافة الى أنهم قد قاموا بتأييد ومناصرة الفرقة الخارجة على سياسة شكر فى موالاته للفاطميين لأن أهالى مكة المكرمة فى تلك الفترة قد انقسموا الى فرقتين احداهما تؤيد الأمير شكر فى موالاته وعلاقته بالفاطميين ، والفرقة الأخرى تعارض ذلك وتطالب باقامة الخطبة للعباسيين على منابر

مكة[1] وهذه الفرقة كانت تساندها وتشجعها حكومة بنى الحسين بالمدينة المنورة ، لذلك فقد أصبح الأمير شكر بن أبى الفتوح فى موقف لايحسد عليه وخاصة أنه فى ظل تلك الظروف المتردية صدر محضر من ديوان الخليفة العباسى القائم بأمرالله سنة ٤٤٤هـ/١٠٥٢م وهذا المحضر فيه قدح فى أنساب الفاطميين حيث يذكر أنهم ديصانية[2] خارجون عن الاسلام . فزاد ذلك المحضر من اضعاف موقف الأمير شكر بن أبى الفتوح واتباعه بمكة المكرمة ، ولكنه مع ذلك عقد العزم على الاستمرار فى موالاته للفاطميين والاخلاص لهم[3] ، ولقد قدر له الخليفة الفاطمى المستنصر بالله ذلك الموقف فقام بارسال المعونات والصلات اليه وذلك تشجيعا له فقد بلغ ماكان يرسله الى مكة ثلاثة آلاف دينار شهريا عدا الخيول والخلع التى كان يرسلها الى مكة مرتين فى العام الواحد[4] .

ويبدو أن الخليفة الفاطمى المستنصر بالله كان له دور كبير فى حل تلك الأزمة السياسية التى عانى منها أمير مكة فى تلك الفترة فربما أنه قام بامداد الأمير شكر بكل مايحتاجه من لوازم الحرب حتى تغلب على الحسينيين حكام المدينة وأتباعهم وبالتالى تمكن من الاستيلاء على المدينة والجمع بين الحرمين الشريفين[5] وذلك فى

---

(١) العمرى : مسالك الأبصار ، ١٢/٢٤ ؛ الزيلعى : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ٥٩ .

(٢) الديصانية : أصحاب ديصان وهم طائفة من طوائف المجوس أنظر : ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، ٥٣/٥ .

(٣) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٢٣٩ .

(٤) ناصر خسرو : سفرنامه ، ترجمة يحيى الخشاب ، ط ٢ ، بيروت ١٩٧٠م ، ص ١١٢ .

(٥) ابن خلدون : العبر ، ١٠٢/٤ ؛ شمس الدين السخاوى : التحفة اللطيفة فى تاريخ المدينة الشريفة ، ٢٦٦/٣٠ - ٢٦٧

عام ٤٤٠هـ / ١٠٤٨م بدليل قول ناصر خسرو وهو من معاصرى تلك الفترة انه قد دخل جدة في ذلك العام وهي تابعة لأمير مكة شكر الذى هو أمير المدينة أيضا (١). ونتيجة لولاء الأمير شكر بن أبي الفتوح للدولة الفاطمية فاننا نرى كيف يمم أهالى مكة وجوههم صوب الأراضي المصرية حينما حلت بهم الأزمة الاقتصادية وانتشر القحط والغلاء في بلادهم فهلك أناس كثيرون (٢) وذلك سنة ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م (٣). فهذا يدل دلالة واضحة على عمق الروابط المكية الفاطمية في تلك الفترة الأمر الذى انعكس بصورة ايجابية على موقف أهالى مكة من الفاطميين الذين نظروا الى الخليفة الفاطمي نظرة تقدير واحترام وتأييد، وخاصة بعد ما أمر باكرامهم وتوفير جميع متطلباتهم (٤)، فاستطاع الخليفة الفاطمي المستنصر بالله أن يستغل تلك الفرصة في جذب ولاء أهالى مكة للخلافة الفاطمية وهذا ماكان ينشده أمير مكة أيضا فاستقرت بذلك الأمور للأمير شكر بن أبي الفتوح الذى استمر مواليا ومخلصا للفاطميين حتى وفاته سنة ٤٥٣هـ / ١٠٦١م (٥) وكانت وفاته ايذانا بنهاية امارة أسرة الموسويين على مكة لأن الأمير شكر لم ينجب أولادا يخلفونه في امارة مكة المكرمة (٦).

---

(١) خسرو : سفر نامه ، ص ١٢٠ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١١٠ – ١١١ .
(٣) الفاسى : شفاء الغرام ، ٤٣٠/٢ .
(٤) خسرو : المصدر السابق نفسه ، ص ١٢٣ .
(٥) أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ، ١٨١/٢ ؛ الفاسى : العقد الثمين ، ١٧١/١ .
(٦) ابن فهد : غاية المرام ، ٤٩٧/١ ؛ مورتيل : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة ، ص ٢٣ .

الفصل الأول

قيام أسرة الهواشم بمكة المكرمة

(أ) بداية نفوذ الهواشم بمكة المكرمة .

(ب) أمراء الهواشم وسياستهم الداخلية .

(ج) التنظيمات الادارية بمكة في عهد الهواشم .

(د) الصراع بين أمراء الهواشم وأثر ذلك في التدخل الخارجي .

(أ) بداية نفوذ الهواشم بمكة المكرمة

لقد كانت وفاة أمير مكة شكر بن أبي الفتوح سنة ٤٥٣هـ / ١٠٦١م ايذانا بنهاية الامارة الموسوية على مكة تلك الامارة التي استمرت خمسة وتسعين عاما فقد انقرضت هذه الأسرة بوفاة الأمير شكر حيث لم يكن هناك وريث يتولى امارة مكة من بعده [(١)]. فاضطربت الأحوال الداخلية بها وظلت الامارة شاغرة بدون أمير فترة من الزمن [(٢)] وذلك مما شجع بعض الطامحين على الاستيلاء عليها فقد تمكن احد اتباع الأمير شكر وهو عبد له يدعى طراد بن أحمد [(٣)]، من الاستيلاء على امارة مكة مستغلا تلك الظروف المتدهورة بها والمتمثلة في انقسام الأشراف وتفرق كلمتهم [(٤)]، ولكن الأمور بمكة لم تتحسن في عهد ذلك الأمير بل ازدادت حدة الفوضى والاضطرابات فيها وذلك بسبب تلك المعارك والمنازعات التي دارت بين عبد شكر وأتباعه من جهة وبين بني أبي الطيب الأشراف وأتباعهم من جهة أخرى [(٥)] فقد عارض هؤلاء امارة طراد حيث اعتبروه مغتصبا لتلك الامارة التي يرون أنها حق لهم وحدهم ، لذلك فقد ظهر عزمهم الواضح والأكيد على استرداد حكم بني عمومتهم على مكة من جديد فوقفوا جميعا في وجه ذلك العبد حتى استطاعوا التغلب عليه وعلى اتباعه فقاموا باقصائه وابعاده عن امارة مكة [(٦)] فتولى احدهم

---

(١) الفاسي : شفاء الغرام ، ٣٠٩/٢ ـ ٣١٠ ؛ العصامي : سمط النجوم العوالي ، ١٩٨/٤ .

(٢) محمد بن أحمد بن سالم بن محمد الصباغ : تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ، مخطوط ، مصور بمركز البحث العلمي في جامعة أم القرى ،رقم ٢١٧ ص ٢١٦ ـ ٢١٧ .

(٣) ابن خلدون : العبر ، ١٠٢/٤ ؛ مورتيل : الأحوال السياسية بمكة ، ص ٢٣ .

(٤) السباعي : تاريخ مكة ، ٢٠١/١ .

(٥) دحلان : أمراء البلد الحرام ، ص ٣٠ .

(٦) ابن فهد : غاية المرام ، ٥٠٠/١ ؛ الزيلعي : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ٦٣ .

الامارة ويدعى حمزة بن وهاس بن أبى الطيب داود بن عبد الرحمن بن قاسم بن أبى الفاتك عبد الله بن داود بن سليمان ابن عبدالله بن موسى الجون بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ابن على بن أبى طالب الحسنى، (١) وقد عرفت هذه الأسرة باسم بنى أبى الطيب، (٢) نسبة الى جدهم أبى الطيب داود بن عبد الرحمن الذى عينه الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله اميرا على مكة فى الوقت الذى اعلن فيه أبو الفتوح خروجه عن طاعة الفاطميين سنة ٤٠١هـ / ١٠١٠م، (٣) كما أن بعض المؤرخين قد أطلق عليهم اسم السليمانيين وذلك نسبة الى داود بن سليمان ابن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب. (٤)

وقد استبشر أهالى مكة خيرا حينما تولت هذه الأسرة امارة مكة فقد كانوا يأملون أن تنقضى تلك الاضطرابات والقلاقل التى اعقبت وفاة الأمير شكر ويعود الأمن والاستقرار الى بلادهم فى ظل حكم تلك الأسرة الجديدة . ولكن الأمور جاءت بعكس ماكان يتوقعه أهالى مكة المكرمة حيث زادت بها حدة الفوضى والاضطرابات بسبب سوء السياسة التى

---

(١) ابن عنبة : عمدة الطالب ، ص ٢٢٤ ـ ٢٢٥ ؛ مورتيل : الأحوال السياسية بمكة ، ص ٢٣ .

(٢) الصباغ : تحصيل المرام ، ص ٢١٧ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ، ٣٤٤/١١ ؛ الشيخ أحمد الرشيدى : حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولى امارة الحاج ، تحقيق ليلى عبد اللطيف أحمد ، القاهرة ١٩٨٠م ١١٢/٢ ؛ مساعد بن منصور بن سرور : جداول أمراء مكة وحكامها منذ فتحت الى الوقت الحاضر ، ط ١ ، مكة ١٣٨٨ ١٩٦٨م ، ص ١٨ .

(٤) ابن خلدون : العبر ، ١١٣/٤ ؛ أبو العباس أحمد القلقشندى : نهاية الارب فى معرفة أنساب العرب ، تحقيق ابراهيم الابيارى ، ط ١ ، القاهرة ١٩٥٩م ، ص ١٣٨ .

انتهجها حكام تلك الأسرة الذين اتصفوا بالجور والظلم [١] ، فلم يهتموا بمصلحة البلد المقدس وأهله بقدر ماكانوا يحرصون على جمع الأموال والثروات بالطرق غير المشروعة سواء كان ذلك عن طريق الرسوم والضرائب التى فرضوها على الحجاج والتجار القادمين الى مكة والتى اثقلت عاتقهم [٢] ، أو عن طريق التعدى على خزائن وموارد الكعبة المشرفة ونهب مافيها من أموال وثروات وخلع ماكان عليها من كسوة وميازيب [٣] . هذا بالاضافة الى انهم جعلوا مكة فى عزلة سياسية عن بقية الدول الاسلامية الأخرى اذ أن المصادر التى بين أيدينا لم تذكر أى اتصال تم بين تلك الأسرة وبين الدولتين العباسية والفاطمية ولكن المؤكد هو أن تلك الأسرة قد قطعت الخطبة عن الفاطميين وهذا مما دفع الخلافة الفاطمية الى التحرك لاقصاء تلك الأسرة عن الامارة واعادة سيادتها على مكة المكرمة من جديد [٤] ، ومما شجع الفاطميين على تحركهم الى مكة ادراكهم استياء أهالى مكة من ذلك الظلم الذى عانوه من أمراء تلك الأسرة كما ادركوا أن أهالى مكة المكرمة سيقومون بمناصرة وتأييد أى تحرك فاطمى طالما أنه سيخلصهم من نفوذ تلك الأسرة ويعيد اليهم الأمن والرخاء والاستقرار الذى فقدوه .

---

(١) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٢/٤٦٨ .
(٢) يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ١/٢٥٤ .
(٣) ابن الأثير : الكامل ، ٨/٩٦ ، يوسف بن أحمد : المحمل والحج ، ١/٨٥ – ٨٦ .
(٤) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ٢/٢٦٨ .
ولكن السباعى فى كتابه تاريخ مكة ١/٢٠٢ قد ذكر بأن تلك الأسرة قد أقامت الخطبة للعباسيين ، الا أنه لم يشر الى مصدره فى ذلك . وهذا يجعلنا لانستطيع أن نجزم به طالما أنه لم يوجد أى مصدر يؤكد ذلك الخبر .

دور الأمير المليحي في اعادة النفوذ الفاطمي على مكة المكرمة وقيام أسرة الهواشم .

لقد رأى الخليفة الفاطمي المستنصر بالله (٤٢٧-٤٨٧هـ-١٠٣٥-١٠٩٤م) ضرورة التحرك لمجابهة أمراء بني أبي الطيب والعمل على اعادة سيادة الخلافة الفاطمية على مكة واقامة الخطبة باسمه على منابر المسجد الحرام والمشاعر المقدسة ،فكان طبيعيا أن يسند الخليفة الفاطمي تلك المهمة الى داعية الفاطميين في بلاد اليمن الأميرعلي بن محمد المليحي (١) الذي تلقى الأوامر من الحكومة الفاطمية سنة ٤٥٥هـ / ١٠٦٣م بسرعة التوجه الى مكة المكرمة لاقرار الأمور بها واعادة السيادة الفاطمية عليها (٢) ، والحقيقة أن الأمير المليحي قد سر كثيرا بتلك المهمة التي أسندت اليه لأنها جاءت محققة لآماله وتطلعاته وأحلامه المنصبة على توسيع رقعة امارته حتى

---

(١) علي بن محمد المليحي هو مؤسس الدولة المليحية التي قامت في اليمن ، فكان أبوه قاضيا باليمن وكان شافعي المذهب مطاعا في قومه وعشيرته فقد كان يتردد عليه أحد الدعاة الفاطميين ويدعى عامر بن عبد الله الرواحي فوجد عنده ابنه علي هذا والذي كان على مذهب والده فأعجبه بعد أن رأى به علامات الذكاء والنباهة وأيقن أنه يمكن الاعتماد عليه في نشر المذهب الشيعي فأطلعه على كتب ذلك المذهب فعكف على دراستها بعد موت الرواحي ثم أخذ يحج بالناس دليلا لهم مدة خمس عشرة عاما حتى كثر أتباعه ومؤيديه فلم تحل سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٣م حتى ملك بلاد اليمن كلها وأصبحت صنعاء عاصمة لملكه .
أنظر : ابن العماد الحنبلي :شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، بيروت ، ٣٤٦/٣ - ٣٤٧ ؛ يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ٢٤٧/١ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، ٢٣٢/٨ محمد جمال الدين سرور : النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب ، ص ٧٩ .

تشمل أكبر جزء من الأراضى اليمنية والحجازية[1] وذلك لكى يتسنى له الاقتراب من مقر الخلافة الفاطمية فى مصر . بحيث يصبح فى وسعه الاتصال بها عن طريق البر بالاضافة الى البحر[2]

لذلك كله سارع الأمير المليحى فى تنفيذ الأوامر الفاطمية فأعد جيشا كبيرا غادر به بلاد اليمن متوجها الى مكة[3] ولم تذكر لنا المصادر التى بين أيدينا أى مقاومة تذكر من جانب بنى أبى الطيب أمراء مكة الذين أدركوا عدم استطاعتهم مجابهة القوات اليمنية لذلك فقد فضلوا الهرب من مكة خوفا على أنفسهم ونجاة بأرواحهم[4] . فدخل المليحى وقواته مكة المكرمة فى السادس من ذى الحجة لعام ٤٥٥هـ / ١٠٦٣م[5] وفور دخوله اليها بادر باقامة الخطبة على منابرها للخليفة الفاطمى المستنصر بالله[6] وبذلك عادت امارة

---

(١) أبو محمد عبد الله الطيب بن عبد الله بن أحمد أبى مخرمة : تاريخ ثغر عدن ، ليدن ١٩٣٦م ، ٢/١٦٠ - ١٦١ ؛ الزيلعى : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ٦٤ - ٦٥ .

(٢) محمد بن أحمد العقيلى : تاريخ المخلاف السليمانى ،ط ٢ ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، ١/١٠٢ - ١٥٤ .

(٣) كان للأمير المليحى محاولات سابقة للاستيلاء على مكة وذلك فى عهد الأمير شكر بن أبى الفتوح الذى وقف بكل حزم وقوة أمام التحركات المليحية حيث أرسل له عدة قصائد ورسائل تتضمن التهديد والوعيد له اذا حاول الاقتراب من مكة وقد جاء فى مطلعها :

لتفليق الجماجم والرؤوس　　　واقحامى خميسا فى خميس

وبعد ذلك أرسل اليه المليحى أيضا قصائد فيها تهديد ووعيد له وقد تضمنت هذه القصائد العزيمة والاصرار على محاربته فور موافقة الخليفة الفاطمى المستنصر له ولكن المستنصر قد خذل تلك العزيمة وحبط معنويات المليحى فلم يسمح له بذلك ، وأصدر سجلا يمنعه فيه من التعرض لأمير مكة ويحثه على مساعدته والاهتمام بشئون الحرم المكى الشريف . انظر : عبد المنعم ماجد : السجلات المستنصرية ، القاهرة ، سجل رقم ١٢، ص ٥٥-٥٦، الزيلعى : المرجع السابق ، ص ٦٤؛ المالكى : بلاد الحجاز ، ص ٣٥ .

(٤) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٢/٤٦٩ .

(٥) ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٢/٩٠ ؛ الفاسى : شفاء الغرام ، ٢/٣٦١ .

(٦) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ٢/٢٦٨ .

مكة من جديد تحت نفوذ وسيادة الخلافة الفاطمية, والحقيقة أن خبر دخول الأمير المليحي الى مكة لم يسعد الخلافة الفاطمية وحدها وانما سعد به أيضا أهالي مكة المكرمة وذلك بسبب حسن معاملته لهم وحرصه الشديد على استتباب الأمن والاستقرار في ذلك البلد المقدس حيث قام بمحاربة المفسدين والمجرمين وتتبع الأعراب الذين كانوا يقومون بغارات على حجاج بيت الله فقام بمعاقبتهم والتصدى لهم فأمن حجاج بيت الله الحرام أمنا لم يعهدوه من قبل (١) ، كما نعم بهذا الامن أيضا جموع التجار القادمين الى مكة حيث أصبحوا يمارسون أعمالهم التجارية داخل أسواق مكة وطرقاتها وهم آمنون ، وأموالهم محفوظة ورحالهم محروسة (٢) . اضافة الى توفير الأمن فقد اهتم المليحي أيضا بالنهوض بالحركة الاقتصادية داخل مكة المكرمة فقد قام بجلب الأقوات والأرزاق اليها من بلاد اليمن (٣) حيث يبدو أنه قد شجع القبائل اليمنية التى تعمل في المجال الزراعى على تصدير منتجاتهم الزراعية الى مكة لبيعها هناك،وبدهى أن يظهر أثر ذلك في انتعاش الأحوال الاقتصادية بمكة حيث يذكر الفاسي أن جميع أنواع السلع قد رخصت بها طوال تلك الفترة (٤) . هذا وقد ظهر اهتمام الأمير المليحي أيضا بأمور الحرم المكي الشريف اذ أنه أعاد جميع أموال وحلى الكعبة التى أخذها بنو أبي الطيب قبيل هروبهم من مكة فقد ابتاعها

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ٩٦/٨ ؛ ابن فهد : المصدر السابق ، ٤٦٨/٢ .
(٢) الجزيرى : الدرر الفرائد المنظمة ، ٥٤٨/١ .
(٣) ابن الأثير : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها ؛ يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ٢٥٤/١ .
(٤) الفاسي : العقد الثمين ، ١٨٧/١ .

منهم وأعادها الى مكانها فى الكعبة المشرفة كما كانت عليه من قبل [1]، كما أنه قام أيضا بكسوة الكعبة بالحرير الأبيض الذى كان شعار الفاطميين فى تلك الفترة [2].

---

(١) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ٢٦٨/٢ ؛ يوسف أحمد : المحمل والحج ، ٨٥/١ – ٨٦ .

(٢) المقريزى : الذهب المسبوك فى ذكر من حج من الخلفاء والملوك ، تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٥٥م ، ص ٦٦ .

وحينما استتبت الأمور بمكة للمليحى لم يبق أمامه سوى اتخاذ التدابير اللازمة للعمل على تثبيت السيادة الفاطمية على مكة المكرمة ، وقد رأى أن ذلك لايتم الا فى البحث عن حكومة شرعية جديدة تدين بالولاء للفاطميين وتحرص على توفير الأمن والعدل فى البلاد (١) . وكانت هناك عدة عوامل قد أجبرت الأمير المليحى على مغادرة مكة والاسراع فى تعيين أمير عليها يكون تحت اشرافه وتوجيهاته ، فمن هذه العوامل خوفه من زوال ملكه فى بلاد اليمن على يد الثائر الذى أخذ يجمع حوله القبائل ويبنى الحصون وذلك بغية الاستيلاء على بلاد اليمن (٢) فاصبح هذا الثائر مصدر قلق للمليحى الذى أراد أن يتدارك الأمر قبل فوات الأوان ، هذا بالاضافة الى أنه علم أن أشراف مكة قد أخذوا يعدون العدة لمواجهته فقد طلبوا منه الخروج من بلادهم وتعيين أحدهم أميرا على مكة المكرمة (٣) ، فلم يمانع المليحى فى تنفيذ ذلك الطلب وخاصة حينما علم بذلك المرض الذى انتشر وتفشى بين قواته وأدى الى موت عدد كثير منهم (٤) ، فقام المليحى بتعيين محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن أبى هاشم محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن

---

(١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ٧٢/٥ .
(٢) عبد المنعم ماجد : السجلات المستنصرية سجل رقم ٤،ص ٣٩ وهذا الثائر ربما يكون أحد أبناء نجاح زعيم دولة بنى نجاح الذى قضى عليها المليحىعند تكوينه لمملكته .
(٣) الفاسى : العقد الثمين ، ٢٣٩/٦ - ٢٤٠ ؛ دحلان : امراء البلد الحرام ، ص ٣٠
(٤) الفاسى : المصدر السابق نفسه ، ٤٤٠/١ ، ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص ٣٠٦ - ٣٠٧ .

ابن الحسن بن علي بن أبي طالب [1]، أميرا على مكة المكرمة ثم غادر بعد ذلك مكة متوجها الى بلاد اليمن في العاشر من المحرم لعام ٤٥٦هـ / ١٠٦٤م وقيل في ربيع الأول من العام نفسه [2]. وكان المليحى قبيل مغادرته مكة قد قام بامداد الأمير محمد بن جعفر بجميع مايحتاجه من مؤن ومال وسلاح كما أنه قد زوده بحامية عسكرية مجهزة بالسلاح وذلك ليتغلب بها على جميع معارضيه وأعدائه [3].

ولكن السؤال الذي قد يتبادر الى الذهن هو ماهي الأسباب التي جعلت الأمير المليحى يقوم بتعيين الأمير محمد بن جعفر أميرا على مكة دون غيره من الأشراف ؟ واذا كان الجواب على ذلك السؤال قد أهملته المصادر التي بين أيدينا فان هناك بعض الاشارات الصريحة التي توحي بأن الدافع لاختيار محمد بن جعفر أميرا على مكة هو مدى ماتمتع به ذلك الأمير من صفات أهلته لتولي الامارة فقد اشتهر عند أشراف مكة وأهالي الحجاز بالشجاعة والاقدام [5]، كما أنه كان رئيسا وزعيما لقومه الذين رشحوه لرئاستهم [6]. فهذه الصفات وهذه المكانة التي كان يتمتع بها الأمير محمد بن جعفر عند أشراف مكة وعرب الحجاز هي التي جعلت المليحى يقوم بتعيينه أميرا

---

(١) الفاسي : المصدر السابق نفسه ، ٤٤٤/١ ؛ ابن ظهيرة : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها .
(٢) ابن فهد : غاية المرام ، ٥٠١/١ .
(٣) الفاسي : شفاء الغرام ، ٣٦١/٢ .
(٤) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٤٦٩/٢ ؛ العقيلي : تاريخ المخلاف السليماني ، ١٥٥/١ ـ ١٥٦ .
(٥) العصامي : سمط النجوم العوالي ، ١٩٩/٤ ؛ الزيلعي : مكة وعلاقاتها الخارجية ،ص ٦٦ .
(٦) ابن خلدون : العبر ، ١٠٢/٤ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٢٧٠/٤ .

على مكة المكرمة كما أن الصليحى قد أراد أن يضع حدا لتلك المنازعات والحروب التى كانت قائمة بين أسرتين من أسر الأشراف وهما الموسويون أتباع وأقارب الأمير شكر بن أبى الفتوح والسليمانيون أو بنو أبى الطيب الذين كانت لهم الامارة فى تلك الفترة (١) ، ولقد أدرك أن امارة مكة لو عين لها أمير من احدى هاتين الأسرتين فان ذلك قد يساعد على اتساع نطاق الحرب القائمة بينهما لذلك رأى أن الطريقة المثلى فى انهاء ذلك النزاع هى تعيين أمير عليها من أسرة جديدة غير هاتين الأسرتين المتنازعتين . كما أن الصليحى كان يحرص كل الحرص على أن تكون امارة مكة من نصيب الأمير الذى يظهر اخلاصه وولاءه للفاطميين ، ويبدو أنه قد رأى فى ابن جعفر ذلك الشعور ، ولعل الأمير ابن جعفر قد عرف رغبة الصليحى هذه فأظهر موالاته للفاطميين . لذلك كله فقد وقع اختيار الصليحى على الأمير محمد بن جعفر وهو من أسرة جديدة من الأشراف يسمون بالهواشم (٢) ، وان كانت بعض المراجع تسميهم بنى فليته (٣) وذلك نسبة الى أحد أمرائهم ويدعى فليته بن القاسم (٤) وهو الذى تولى امارة مكة سنة ٥١٧هـ / ١١٢٣م .

والهواشم ينتسبون الى أبى هاشم محمد بن الحسين بن

---

(١) ابن عنبة : عمدة الطالب ، ص ٢٣٥ ؛ الصباغ : تحصيل المرام ، ص ٢١٧ ؛ الزيلعى : المرجع السابق نفسه والصفحة نفسها .

(٢) ابن خلدون : العبر ، ١٠٢/٤ ؛ القلقشندى : مآثر الانافة ٣٤٦/١ – ٣٤٧ .

(٣) أيوب صبرى باشا : مرآة جزيرة العرب ، ٩١/١ ؛ محمد بن منصور بن هاشم بن سرور : قبائل الطائف وأشراف الحجاز ط ١ ، الطائف ، ١٤٠١هـ ، ص ٦١ .

(٤) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ٣١٤/٨ ؛ زامباور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الاسلامى ، القاهرة ١٩٥١م ، ٣٠/١ – ٣١ .

محمد بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه (١). هذا وقد اختلف المؤرخون حول اسم والد أبي هاشم محمد ، فابن حزم ، وابن خلدون ، والقلقشندى ، والعصامي ، ذكروا أن اسمه الحسن بن محمد بن موسى (٢).

أما النسابه ابن عنبه ، والفاسي ، وابن ظهيرة وغيرهم من المؤرخين فقد خالفوا ذلك وذكروا أن اسمه الحسين بن محمد بن موسى وليس الحسن بن محمد (٣).

بل ان المؤرخ تقي الدين الفاسي قد أكد على أن ابن خلدون قد أخطأ في تسميته بالحسن (٤) ويصححه بالحسين وذلك هو القول الأرجح (٥).

وبذلك يلتقي الهواشم والموسويون أمراء مكة السابقون في جدهم الحسين بن محمد (٦). وقد ذكرت بعض المصادر أن الهواشم كانوا قبيل امارتهم على مكة يسكنون بمنطقة ينبع (٧)

---

(١) ابن عنبة : عمدة الطالب ، ص ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥ ؛ ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص ٣٠٦ — ٣٠٧ .

(٢) أنظر : ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ٤٧/١ ؛ ابن خلدون : العبر ، ١١٣/٤ ؛ القلقشندى : صبح الأعشى ، ٢٧٠/٤ ؛ العصامي : سمط النجوم العوالي ، ١٩٩/٤ .

(٣) ابن عنبة : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها ؛ الفاسي : العقد الثمين ، ١٧١/١ — ١٧٢ ؛ ابن ظهيرة : المصدر السابق ، ص ٣٠٦ ؛ ابن فهد : غاية المرام ، ٥٠٩/١ ؛ دحلان : أمراء البلد الحرام ، ص ٣١ ؛ السباعي تاريخ مكة ، ١/ ١٩٢ ؛ مساعد بن منصور : جداول أمراء مكة ، ص ١٩ .

(٤) الفاسي : المصدر السابق ، ١٤٤/١ .

(٥) مورتيل : الأحوال السياسية بمكة ، ص ١٥ .

(٦) ابن عنبة : المصدر السابق ، ص ٢٣٢ — ٢٣٥ .

(٧) المصدر نفسه ، ص ٢٣٦ .
ينبع : قرية كبيرة تقع غرب المدينة المنورة بميل نحو الشمال ، وتبعد عنها بمسافة تقدر بـ ١٥٠ كيلو متر ، وسميت بذلك الاسم لكثرة ينابيعها وعيونها ، ويوجد بها حصن لبني الحسن وماء وزرع ونخيل . =

بينما ذكرت المصادر الأخرى أنهم كانوا يسكنون ببطن مر أحد (١) المناطق التابعة لامارة مكة المكرمة فى تلك الفترة وهو القول الأرجح .

= أنظر : عبد الله بن عبد العزيز البكرى : معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، بيروت ، ١٤٠٢/٢، شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت الحموى :معجم البلدان بيروت ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ، ٤٥٠/٥ ، اسماعيل الحامدى : الرحلة الحامدية (مجلة العرب جـ ٥ ـ ٦ س ١٣ / ذى القعدة ـ ذى الحجة ١٣٩٨هـ) ص ٣٥٢ ، حمد الجاسر : بلاد ينبع ، الرياض ، ص ١٠ .

(١) المباغ : تحصيل المرام ، ص ٢١٨ .
بطن مر : ويسمى مر الظهران وهو من أكبر الأودية بمكة بينه وبين مكة خمسة أميال وسمى بذلك الاسم لمرارة مياهه ، وأكثر سكانه من الأشراف من بنى الحسن ، ويعرف اليوم بوادى فاطمة ومركزه الجموم ومر هى القرية والظهران الوادى .
أنظر : عزام بن الاصبع السلمى :كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، القاهرة ١٣٧٣هـ ، ص ٣٨ ، الحموى : المصدر السابق نفسه ، ١٠٤/٥ ، عاتق بن غيث البلادى : معالم مكة التاريخية والأثرية ، ط ٢ ، مكة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، ص ٢٥٨ ـ ٢٦١ .

الصراع بين الهواشم وبني أبي الطيب على الامارة .

سبق أن ذكرنا أن المليحي قد قام قبيل مغادرته مكة المكرمة بتعيين الأمير محمد بن جعفر بن أبي هاشم ليكون نائبا عنه في امارة مكة ، وقد وافق على ذلك التعيين بقية الأشراف الموجودين بمكة المكرمة في تلك الفترة (١) ، ولكن تلك الموافقة لم تكن عن اقتناع من بعض الاشراف وخاصة بني أبي الطيب الذين اعتبروا أن تلك الموافقة ماهي الا وقتية تنتهي بخروج المليحي من مكة كما انهم قد اعتبروا تلك الموافقة فرصة لهم لاعادة ملكهم الذي كان المليحي قد سلبه منهم فقد كانوا يدركون أن محاربتهم للأمير محمد بن جعفر وحده أسهل بكثير من محاربتهم للمليحي . ومما يؤكد ذلك أنه بمجرد مغادرة المليحي للأراضي المكية ثار هؤلاء الأشراف الذين يتزعمهم حمزة بن وهاس السليماني وأعلنوا خروجهم عن طاعة الأمير محمد بن جعفر وعدم تأييدهم له (٢) ، وأخذوا يخططون للاطاحة به وابعاده عن الامارة اذ جهزوا قوة كبيرة تفوق قوة الأمير محمد بن جعفر عددا وعدة (٣) ، وانضمت لهم مجموعة كبيرة من قبائل حرب (٤) ، وعلى الرغم من أن الأمير محمد بن جعفر قد أدرك أنه لاطاقة له بهم الا أنه قد دخل معهم في مناوشات عديدة وذلك في محاولة منه للانتصار عليهم (٥) . وعلى الرغم من أن تلك المناوشات قد باءت بالفشل الا أنه قد تجلى خلالها

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ٢٣٩/٦-٢٤٠ .
(٢) الفاسي : شفاء الغرام ، ٣١١/٢ .
(٣) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٤٦٩/٢ .
(٤) المالكي : بلاد الحجاز ، ص ٦٤ .
(٥) دحلان : أمراء البلد الحرام ، ص ٣٢ .

مدى ماكان يتمتع به الأمير محمد بن جعفر من قوة وشجاعة .[1]

بعد ذلك فضل الأمير محمد بن جعفر مغادرة مكة فاتجه الى ينبع وذلك ليرتب أموره وليستنهض عشيرته وأقاربه حتى[2] يقفوا معه في حربه مع بني أبي الطيب ، ولكن بعض المصادر ذكرت أن ابن جعفر قد اتجه الى بلاد اليمن ،[3] ويبدو ان صحت هذه الرواية أن سبب اتجاهه الى بلاد اليمن هو الاستنجاد بالأمير المليحي والتباحث معه في أنجح السبل للقضاء على معارضيه وأعدائه . ثم عاد ابن جعفر الى الأراضي المكية وهو عازم على محاربة بني سليمان واعادة امارته على مكة من جديد فقام بمحاربتهم على مرحلتين ، أولا محاربتهم اقتصاديا حيث فرض حصارا شديدا على مكة المكرمة ، وثانيا محاربتهم عسكريا حيث قام بتقسيم قواته ورجاله الى عدة فرق وكلفهم بقطع الطريق عن مكة المكرمة والحيلولة دون وصول القوافل التجارية المحملة بالمؤن والغلال اليها .[4] ومما زاد الأمر سوءا أن الأمير المليحي قد أصدر في تلك الفترة - أي في عام ٤٥٦هـ/١٠٦٣م .[5] قرارا يقضي بعدم الذهاب الى مكة للحج ، ويبدو أن ذلك المنع اجراء متفق عليه مسبقا بين ابن جعفر والأمير المليحي لعلمهما أن مكة المكرمة تعتمد على قبائل

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ٤٤٠/١ .
(٢) ابن فهد : المصدر السابق ، ص ٤٧٠ .
(٣) محيي الدين علي عبد القادر بن يحيى بن مجير الدين الطبري الحسيني : الأرج المسكي في التاريخ المكي ، مخطوط مصور بجامعة أم القرى رقم ٣٤ ، ص ٩٣ .
(٤) الفاسي : المصدر السابق والصفحة ؛ ابن فهد : غاية المرام ، ٥١٠/١ .
(٥) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٤٦٩/٢-٤٧٠ .

السرو اليمنية في جلب الاقوات اليها كل عام[1]. فتوقف بذلك[2] وصول المواد الغذائية والغلال الى مكة وذلك مما أدى الى تدهور الأوضاع الاقتصادية بها كما أدى الى غلاء أسعار جميع السلع الموجودة بها[3]. فضعف بذلك موقف بنى أبى الطيب وانهارت قوتهم وأصبحوا لقمة سائغة فى فم الأمير محمد بن جعفر الذى قدم الى مكة واستطاع بما أوتى من قوة أن ينتصر عليهم ويقصيهم عن امارة مكة وذلك مما أجبرهم على مغادرتها حيث اتجهوا الى بلاد اليمن[4] واستطاعوا فيما بعد أن يكونوا لهم ملكا هناك وذلك برئاسة الأمير أبى غانم يحيى بن حمزة بن وهاس[5]، ودانت بذلك امارة مكة كلها للأمير محمد بن جعفر وحده وذلك مما شجعه على أن يقوم باتخاذ التدابير اللازمة للعمل على التخلص من تبعيته للأمير الصليحى حيث بدأت تطلعاته تظهر نحو الاستقلال بامارته وتكوين ملك خاص به

---

(١) قبائل السرو : سموا بذلك الاسم نسبة الى البلاد التي يسكنون فيها وهى جبال حصينة باليمن تعرف بالسراة ، وهم مجموعة من القبائل كبجيلة وغامد وزهران وغيرهم . وقد اشتهرت بلادهم بخصوبة التربة والزراعة فكانوا ينقلون معهم الى مكة أثناء الحج جميع أنواع المواد الغذائية كالحبوب والفواكه والخضروات والسمن والعسل والزبيب .... الخ .
انظر : أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير : رحلة ابن جبير ، بيروت ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ، ص ١١٠ ؛ محمد بن عبد الله الطنجي المعروف بابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة بيروت ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م ، ص ١٦٠ ؛ صفى الدين عبد المؤمن ابن عبد الحق :مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع تحقيق على محمد البجاوى ، ط١ ، حلب ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م ، ٧١١/٢ .

(٢) ابن جبير : المصدر السابق نفسه ، الصفحة نفسها .

(٣) الفاسي : شفاء الغرام ، ٣١١/٢ .

(٤) ابن خلدون : العبر ، ١٠٢/٤ .

(٥) ابن عنبه : عمدة الطالب ، ص ٢٢٤-٢٢٥ ؛ يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ٣١٦/١ ؛ زامبارو :معجم الانساب ١٧٨/١ .

ولأبنائه من بعده في منطقة الحجاز . لقد أعلن استقلاله وخروجه عن طاعة المليحيين ولم يكتف بذلك بل انه أخذ يعمل على توسيع رقعة امارته حتى تشمل أكبر جزء من الأراضي الحجازية حيث قام بالاستيلاء على المدينة بعد أن أجلى عنها حكامها بنو مهنى ، وهم من بني الحسين بن علي بن أبي طالب فاستطاع بذلك أن يجمع بين امارة الحرمين الشريفين ، وأصبح صاحب السيادة على الأراضي المقدسة ببلاد الحجاز . (١)

كما أنه قام أيضا في عام ٤٥٦هـ/١٠٦٣م بمهاجمة منطقة حلي بن يعقوب (٢) وهي احدى المناطق التابعة للأمير المليحي فقام بالاستيلاء عليها بعد أن طرد نائب الأمير المليحي (٣) الموجود بها ، وذلك مما أظهر استياء وغضب الأمير على المليحي الذي استأذن الخليفة الفاطمي المستنصر بالله (٤٢٧ - ٤٨٧هـ) في أن يسمح له بمحاربة أمير مكة محمد بن جعفر والقضاء عليه ولكن المستنصر بالله رفض ذلك ، فأخذ

---

(١) ابن خلدون : العبر ، ١٠٣/٤ ؛ سرور : النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب ، ص ٢١ ؛ ولمزيد من التفاصيل راجع الفصل الثاني ص١٥٦- ١٥٧.

(٢) حلي بن يعقوب : وهي مدينة تقع على ساحل البحر الأحمر وتبعد عن القنفذة التابعة لامارة مكة (٦٠) كيلو مترا سميت بذلك الاسم نسبة الى ابن يعقوب مؤسس الأسرة الحاكمة بتلك المدينة وتعرف اليوم باسم حلي قديم ، وقد هاجر أكثر سكانها اليوم الى القنفذة وسكنوا بها أنظر : ابن عبد الحق : مراصد الاطلاع ، ٢٠/١ ؛ عاتق البلادي : بين مكة واليمن ، ط١ ، مكة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ، ص١٧٦؛ أحمد الزيلعي : المواقع الاسلامية المندثرة في وادي حلي (حوليات كلية الآداب جامعة الكويت ، الحولية السابعة ، الرسالة ٣٩ ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م) ، ص ١٦-٢٠ ، انظر الملحق رقم ٢.

(٣) ماجد : السجلات المستنصرية ، ص ٤٠ ؛ الزيلعي : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ٦٧-٦٨ • ولمزيد من المعلومات حول استيلاء ابن جعفر على تلك المنطقة وموقف المليحي من ذلك الاستيلاء ، انظر ق٢، ص١٢٤- ١٢٥.

المليحي ينتظر الوقت الذى تسمح فيه الخلافة الفاطمية له بغزو مكة وقد حان له ذلك حينما قام الأمير محمد بن جعفر بقطع الخطبة عن الفاطميين وأقامها للعباسيين وذلك سنة ٤٥٨هـ/١٠٦٥م (١) عندئذ غضب الخليفة المستنصر وأمر المليحي بأن يتوجه الى مكة لمحاربة الأمير محمد بن جعفر واعادة السيادة الفاطمية عليها من جديد وذلك فى عام ٤٥٩هـ/١٠٦٦م (٢) ، فسار المليحي من اليمن متوجها الى مكة فى ذلك العام ولكنه قتل فى الطريق (٣) ، فحينما علم الأمير محمد بن جعفر بمقتله استراح باله من ذلك الخطر الذى كاد أن يقضى على امارته فأيقن أن الوقت قد حان له والظروف قد تهيأت له لكى يحقق طموحاته وأحلامه التى تتركز فى تكوين حكومة مستقلة له ولأبنائه من بعده فأخذ يرتب أموره ويوطد دعائم امارته ويعمل على الدخول فى علاقات سياسية مع القوى الكبرى المحيطة به والمتمثلة فى الدولة العباسية والفاطمية وذلك ليكسب امارته التى عمل على تكوينها له ولأبنائه من بعده الصفة الشرعية .

---

(١) ابن خلدون : العبر ، ١٠٣/٤ ; القلقشندى : صبح الأعشى ٢٧٠/٤ .

(٢) عمارة اليمنى : تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد ، تحقيق محمد على الأكوع ، ط٢ ، القاهرة ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م ، ص ١٢٦-١٢٧ .

(٣) يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ٢٥٦/١-٢٥٧ . ولمزيد من التفاصيل راجع الفصل الثانى ص١٢٥-١٢٨ .

(ب) أمراء الهواشم وسياستهم الداخلية

مؤسس امارة الهواشم الأمير محمد بن جعفر بن أبى هاشم .

يعتبر الأمير محمد بن جعفر بن أبى هاشم (٤٥٦ - ٤٨٧هـ/ ١٠٦٣ - ١٠٩٤م) المؤسس الحقيقى لامارة الهواشم تلك الامارة التى استمرت حوالى قرن ونصف من الزمن ، حيث توارث هذه الامارة عدد من أبناء الهواشم الذين خلفوا محمد بن جعفر على امارة مكة المكرمة .

وسبق أن ذكرنا(١) أن ابن جعفر قد استطاع الوصول الى دفة الحكم بمعاونة ومساعدة الأمير على الصليحى الذى عينه نائبا عنه بمكة ثم استطاع ابن جعفر بفضل قوته وشجاعته أن يعلن قيام امارته المستقلة بمكة المكرمة تلك التى امتدت فى عهده الى المدينة المنورة شمالا والى منطقة حلى بن يعقوب على حدود اليمن جنوبا(٢)، واقتصرت على مكة فى عهد من تلاه من أمراء الهواشم . وقد كانت امارة الهواشم تعتمد كل الاعتماد فى مواردها المالية على الأعطيات والنفقات التى كانت ترد اليها من الخلافتين العباسية والفاطمية ومن سلاطين وأمراء وتجار البلدان الاسلامية الأخرى(٣)، هذا وقد كان أمراء الهواشم يعينون نائبا عنهم يقوم بجمع تلك الأموال والنفقات من خلفاء وملوك وسلاطين الدول الاسلامية ، وقد تولى جعفر بن

---

(١) انظر ص ٦٠ من هذا الفصل .
على السنجارى : منائح الكرم فى أخبار مكة والبيت وولاة الحرم ، مخطوط بجامعة أم القرى رقم ٤٥٠ ، ٢٦٧/١

(٢) ابن خلدون : العبر ، ١٠٣/٤ ،
ماجد : السجلات المستنصرية ، ص ٤٠ .

(٣) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان ، ط١، حيدر أباد الدكن ١٣٧١هـ/١٩٥٢م ، ٥١٣/٨ ؛ سرور : النفوذ الفاطمى فى جزيرة العرب ، ص ٢٢ .

يحيى التميمي المعروف بابن الحكاك (١) القيام بتلك المهمة في عهد الأمير محمد بن جعفر الا انه مما يؤخذ على ابن جعفر أنه لم يوظف هذه الأموال التي كانت ترد اليه في تنظيم الأمور الادارية والاقتصادية بمكة المكرمة (٢). وقد عرف الأمير محمد بن جعفر بشدة البأس والقوة مع كل من حاول ان يثير الفتن والقلاقل في بلاده ، فحينما حدثت الفتنة بين اهل السنة والشيعة سنة ٤٧٢هـ/١٠٧٩م (٣) قبض الأمير محمد بن جعفر على زعماء هذه الفتنة ومدبريها واستخدم معهم اقصى اساليب الشدة والقوة وذلك لتاديبهم وردعهم (٤) حيث قبض على هياج بن عبيد الحطيني (٥) وبعض اصحابه الذين اشتركوا معه في هذه الفتنة (٦) وضربهم ضربا شديدا أدى الى موت أكثرهم . هذا وقد انتقدت المصادر التاريخية الأمير محمد بن جعفر ، حيث ذكر المؤرخ ابن الاثير أنه لم يقم بأي أعمال خيرية تذكر ولايوجد شيء يمدح به (٧) .

---

(١) جعفر بن يحيى التميمي : من أهالي مكة المكرمة وقد ولد سنة ٤١٦هـ/١٠٢٥م وكان اديبا ثقة اشتهر بالصدق ووصف بالحفظ والمعرفة والاتقان ورحل الى كثير من البلدان الاسلامية وذلك لطلب العلم والمعرفة ، وقد توفى سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م .
انظر : الفاسي : العقد الثمين ، ٤٣٣/٣ ؛ ابن الجوزي المنتظم ، ٦٤/٩ .

(٢) سرور : المرجع السابق ، ص ٢٢ .

(٣) الاسنوي : طبقات الشافعية ، الرياض ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، ٤٢٧/١-٤٢٨ .

(٤) السنجاري : المصدر السابق ، ٢٦٧/١ .

(٥) هياج الحطيني : وهو من مجاوري مكة المكرمة واحد علمائها وفقهائها وممن ساهم في حركتها العلمية حيث شارك في اعطاء الدروس للطلاب وكان قد اشتهر بالزهد والورع والتقوى . انظر :
ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ٣٤٢/٣-٣٤٣ ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ١٠٩/٥ .

(٦) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، ٣٦٢/٨

(٧) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ١٧٣/٨ .

وقد دلل على نقده لابن جعفر بقمة اعتدائه على الحجاج الشاميين سنة ٤٨٦هـ/١٠٩٣م وذلك حينما سلط رجاله وعبيده على نهب هؤلاء الحجاج وسلب ما معهم من أموال [(١)].

كما أن المؤرخ ابن تغرى بردى قد وصفه بأنه كان ظالما جبارا فاتكا سفاكا للدماء كما وصفه بالتلون والتأرجح فى علاقته بالخلافتين العباسية والفاطمية [(٢)].

وحينما يوصف بالتلون والتأرجح فى علاقته بالخلافتين يمكننا أن نقول ان ذلك الاسلوب الذى انتهجه الأمير محمد بن جعفر انما هو أسلوب انتهجه اكثر امراء الهواشم [(٣)]، فابن جعفر أراد بذلك الأسلوب أن يخرج امارة مكة من تلك العزلة السياسية التى عاشتها قبيل امرته عليها وذلك ابان حكم بنى أبى الطيب الذين قطعوا علاقتهم بجميع القوى الخارجية لأن المصادر التى بين أيدينا لم تذكر أى اتصال تم بين أمراء بنى أبى الطيب وبين الخلافتين العباسية والفاطمية ، كما أن الأمير محمد بن جعفر اضطر لذلك التصرف لكى يحقق مصالحه ومصالح بلاده الاقتصادية ، وقد استطاع بتلك السياسة أن يحقق كثيرا من أحلامه التى كان يصبو اليها حيث

---

(١) ابن الأثير : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها ، ابن فهد : اتحاف الورى ، ٤٨٦/٢ .
لمعرفة أسباب ذلك الاعتداء وقصته انظر الفصل الثانى ص ١٦٩ ، والفصل الثالث ص ٢٣٤-٢٣٥ .
(٢) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ١٤٠/٥ .
(٣) انظر الفصل الثانى من هذا البحث فى مواقع متعددة .

استطاع الوصول الى دفة الحكم بمعاونة الفاطميين كما استطاع الاستيلاء على امارة المدينة المنورة وذلك بمساعدة العباسيين[(١)] . كما انه كان له الفضل الأكبر في انتشال بلاده من تلك الأزمة الاقتصادية التي حلت بها على اثر الشدة العظمى التي عانت منها بلاد مصر ابان حكم الخليفة الفاطمي المستنصر بالله[(٢)] ، اذ توقفت المعونات الفاطمية في عهده عن مكة وذلك مما جعل الأمير محمد بن جعفر يعلن ولاءه للخلافة العباسية[(٣)] . وازاء ذلك الموقف بدأت الأعطيات والنفقات ترد الى مكة من حكومة بغداد[(٤)] ، وهذا ماكان يسعى اليه الأمير محمد بن جعفر ويتطلع اليه . فلعل ذلك كان الدافع لهذا التلون الذى ذكره ابن تغرى بردى[(٥)] وذلك بسبب ضعف موارد بلاده الاقتصادية وحاجتها للمساعدات والمعونات الخارجية .

---

(١) انظر الفصل الثاني ١٥٦- ١٥٧ .
(٢) المقريزى : اتعاظ الحنفاء ، ٢/٢٩٦-٢٩٧ ؛ ماجد : السجلات المستنصرية ، ص ٢٠٣ .
(٣) ابن خلدون : العبر ، ٤/١٠٣ ؛ الرشيدى : حسن الصفا والابتهاج ، ص ١١٤ .
(٤) ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٢/٩٩ .
(٥) الزيلعى : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ٧٧ .

الأمير قاسم بن محمد بن جعفر بن أبى هاشم وامارته على مكة (٤٨٧ – ٥١٧هـ / ١٠٩٤ – ١١٢٣م) :

استمر محمد بن جعفر أميرا على مكة المكرمة حتى وفاته سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م (١) وكان عمره آنذاك قد تجاوز السبعين عاما (٢) وقد أنجب من الأبناء ثلاثة هم شميلة، وفضل، وقاسم (٣).

وكان ابنه شميلة من رجال العلم والفكر بمكة المكرمة وممن برع فى علم الحديث بها،وكان يقوم برحلات علمية عديدة الى كثير من البلدان الاسلامية وذلك لتلقى العلم بها (٤)، فهو بذلك لم يتطلع أو يطمع فى تولى الامارة بعد وفاة والده. أما ابنه الآخر فضل فلم تذكر لنا المصادر عنه أى شىء يذكر ويبدو أنه لم يكن له دور بارز فى التاريخ يستحق الذكر، أما ابنه القاسم فقد بادر فور وفاة والده الى تولى امارة مكة اذ أعلن نفسه أميرا عليها (٥). فمن المحتمل أن يكون الأمير محمد بن جعفر قد أوصى له بالامارة قبيل وفاته.

---

(١) القلقشندى : مآثر الانافة، ٢١/٢ ؛ ابن ظهيرة : الجامع اللطيف، ص ٣٠٧.

(٢) أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر، ٢٠٥/٢.

(٣) ابن عنبه : عمدة الطالب، ص ٢٣٦.

(٤) ابن عنبه : المصدر نفسه والصفحة نفسها ؛ الفاسى : العقد الثمين، ١٧/٥-١٨.

(٥) ابن فهد : اتحاف الورى، ٤٨٧/٢.

أحداث مكة الداخلية في عهد الأمير قاسم بن محمد .

سبق أن ذكرنا أن الأمير محمد بن جعفر قد استطاع أن يوطد الأمور وينشر الأمن والعدل والهدوء بمكة المكرمة وذلك بفضل قوته وشدته التي اتخذها مع كل من حاول الاخلال بأمن البلاد الا أن ذلك الأمن والاستقرار قد زال بولاية قاسم على مكة حيث اضطربت الأمور بها طوال امارته عليها وذلك بسبب عجزه عن اقرار الامن والعمل على اصلاح شؤون امارته (١) . ولاشك أن ذلك العجز قد شجع الكثير من قبائل بلاد الحجاز على الاعتداء على حجاج بيت الله واشاعة السلب والنهب في أرجاء البلاد ، وذلك مما أدى الى اشاعة الرعب والخوف في قلوب كثير من الحجاج الذين توقف قدومهم الى مكة في تلك الفترة (٢) .

وكانت امارة مكة قد خرجت عن طوع الأمير قاسم بن محمد عدة شهور وذلك في بداية امارته عليها حيث هاجمه أحد القواد العباسيين ويدعى اصبهبذ بن سارتكين (٣) ، ودخل مكة بقوة كبيرة تفوق قوة الأمير قاسم الذي لم يستطع مواجهته ففضل الهرب منها حتى يتمكن من تكوين قوة كبيرة يستطيع بها الوقوف أمام تلك القوة العباسية . وبعد فترة قصيرة استطاع الأمير قاسم أن يجمع حوله عددا كبيرا من المؤيدين له والمعارضين للتدخل الخارجي في بلادهم حيث انضمت له أعداد كبيرة من القبائل المجاورة لمكة المكرمة (٤)

---

(١) ابن خلدون : العبر ، ١٠٤/٤ ؛ سرور : النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب ، ص ٢٣ .

(٢) الفاسي : شفاء الغرام ، ٣٦٤/٢-٣٦٥ ؛ السباعي : تاريخ مكة ، ٢٠٧/١ ؛ المالكي : بلاد الحجاز ، ص ٦٤ .

(٣) الفاسي : العقد الثمين ، ٣١٩/٣ ؛ ريتشارد مورتيل : الاحوال السياسية ، ص ٢٧ .

(٤) جميل حرب محمود حسين : الحجاز واليمن في العصر الايوبي ، ط١ ، جدة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ، ص ٢٦ .

فأعلنت مساندتها ووقوفها بكامل رجالها وعتادها مع الأمير قاسم بن محمد الذى أدرك أن الوقت قد حان لمواجهة تلك القوة [١] ، فسار متوجها الى مكة فى شوال سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م وكان القائد اصبهبذ يراقب جميع تحركات الأمير قاسم فقد نصب له قوة كبيرة برئاسته فى منطقة عسفان [٢] ، ولكن الأمير قاسم استطاع أن يهاجم معسكر القائد اصبهبذ وهم فى غفلة من أمرهم [٣] فدارت بين الطرفين معركة قوية كان النصر فيها للأمير قاسم بن محمد واتباعه الذين واصلوا مسيرهم بعد ذلك الى مكة وقاموا بطرد جميع بقايا وأتباع اصبهبذ الذى هرب من مكة خوفا على نفسه [٤] ، واتجه الى الشام ومنها الى بغداد فدانت امارة مكة بعد ذلك للأمير قاسم بن محمد وعاد نفوذ الهواشم اليها من جديد .

ولعلنا نتساءل عن أسباب تلك الحملة العباسية على مكة المكرمة ولماذا جاءت متزامنة مع بداية عهد ذلك الأمير ؟ وقد أهملت المصادر القاء الضوء على ذلك التساؤل الا انه يمكن القول بأن الخليفة العباسى المستظهر (٤٨٧-٥١٢هـ/١٠٩٤-١١١٨م) قد ساءه تغير ولاء الأمير قاسم للدولة العباسية واقامته الخطبة [٥] على منابر مكة للخليفة الفاطمى المستعلى (٤٨٧-٤٩٥) (١٠٩٤-١١٠١م) فأراد أن يعيد السيادة العباسية على مكة من

(١) الفاسى : العقد الثمين ، ٢٨/٧ .
(٢) عسفان : بضم أوله واسكان ثانيه ، وهى قرية تقع على بعد ثمانين كيلا ، شمال مكة على طريق المدينة المنورة وقد سميت بذلك الاسم لتعسف السيل فيها . انظر : الحموى : معجم البلدان ، ١٢١/٤-١٢٢ ; عاتق بن غيث البلادى : معالم مكة التاريخية والأثرية ، ص ١٨٨ .
(٣) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٤٨٧/٢ .
(٤) الجزيرى : الدرر الفرائد ، ٥٥٤/١ .
(٥) السباعى : تاريخ مكة ، ٢٠٦/١ .

جديد [١] . كما أنه يبدو أن الخليفة العباسي المستظهر قد أراد أن يضع حدا لتلك الممارسات الاجرامية التي يقوم بها الأعراب ضد الحجاج العراقيين وذلك على مرأى من الأمير قاسم الذي لم يحرك ساكنا، ولم يقف أمام تلك الاعتداءات، ولم يوفر الأمن والاطمئنان للحجاج القادمين من بلاد العراق [٢] . وهكذا انتهت تلك المحنة التي عانى منها الأمير قاسم والتي كاد بسببها أن يفقد نفوذه ونفوذ آبائه على مكة المكرمة .

ولكن الأوضاع بمكة لم تهدأ بعد ذلك بسبب تسامح الأمير قاسم بن محمد وتساهله وتشجيعه لتلك الاعتداءات والغارات التي يقوم بها الأعراب ضد الحجاج القادمين الى مكة المكرمة [٣] مما أدى الى اضطراب الأمن في ربوع تلك البلاد طوال امارته عليها [٤] ، كما أدى الى استياء وغضب أهل مكة المكرمة على هذا الأمير مما جعلهم يتطلعون الى القضاء عليه والتخلص من حكمه، ولاشك أن ذلك الشعور قد شجع بعض الطامعين في السلطة على التحرك لتحقيق أحلامه وطموحاته حيث قام رجل علوى من فقهاء النظامية ببغداد [٥] ، لم تسعفنا المصادر التي بين أيدينا

---

(١) انظر ف ٢ ، ص ١٧١ - ١٧٢ .

(٢) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٤٨٨/٢ ؛ المالكى : بلاد الحجاز ص ٦٤

(٣) الرشيدى : حسن الصفاء والابتهاج ، ص ١١٥ .

(٤) ابن خلدون : العبر ، ١٠٤/٤ ؛ ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص ٣٠٧-٣٠٨ .

(٥) السنجارى : منائح الكرم ، مخطوط ، ٢٧٠/١ . والنظامية المقصود بها هى المدرسة النظامية ببغداد وسميت بذلك نسبة الى الوزير نظام الملك أبو على الحسن بن على بن اسحاق وزير السلطان ملكشاه السلجوقى الذى بناها فى بغداد سنة ٤٥٧هـ ، وقام باجراء المخصصات المالية عليها، وأوقف عليها الأوقاف الكثيرة وقد درس فى تلك المدرسة عدد كثير من علماء المسلمين انظر : ابن الأثير : الكامل ، ١٠٥/٨-١٠٦ ؛ حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى ، ط١ ، القاهرة ١٩٦٧م ، ٤٢٥/٤ .

بذكر اسمه ، بثورة على أمير مكة القاسم بن محمد سنة ٥١٥هـ/١١٢١م ، وكان هذا العلوى قد قدم الى مكة المكرمة قبل ثورته واخذ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فانضم اليه عدد كثير من اهالى مكة المكرمة الذين وجدوا فيه الأمل لانقاذهم من تلك الفوضى والاضطرابات التى يعيشون فيها فى عهد الأمير قاسم ويبدو أن أهل مكة قد شجعوه وأيدوه على ثورته التى يخطط للقيام بها ، فقوى أمره وعزم على اقصاء الأمير قاسم بن محمد عن الامارة ، واقامة الخطبة لنفسه على منابر المسجد الحرام (١) ، ولكن الأمير قاسم قد تنبه لخطر تلك الثورة فأراد القضاء على زعيمها قبل أن يستفحل أمره فتحقق له ما أراد حيث استطاع ان يخمد هذه الثورة ويقضى عليها فقبض على زعيمها وأبعده عن مكة .

فتوجه بعد ذلك الى البحرين (٢) فتخلص الأمير قاسم من تلك الثورة واستمر فى امارة مكة حتى وفاته فى صفر سنة ٥١٧هـ/١١٢٣م (٣) .

---

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ٣٠٥/٨ ؛
ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٨٨/١٢ ؛
ابن فهد : اتحاف الورى ، ٤٩٧/٢ .

(٢) السنجارى : منائح الكرم ، ٢٧٠/١ .
البحرين : اسم جامع لبلاد على ساحل بحر الهند بين البصرة وعمان قيل هى قصبة هجر وقيل هجر قصبة البحرين وفيها عيون ومياه وبلاد واسعة ، ويدخل تحت كلمة البحرين الجزيرة المشهورة بهذا الاسم وجميع قراها كالقطيف وهجر ودارين والسابورويبنونه والغابة . انظر الحموى : معجم البلدان ، ٣٤٧/١-٣٤٨ ، محمد بن عبد الله بن بليهد : صحيح الأخبار عما فى بلاد العرب من الاثار ، ط٢ ، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م ، ٢٣٨/١ .

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، ٣١٤/٨ ، ابن فهد : المصدر السابق ٤٩٨/٢-٤٩٩ .

وقيل سنة ٥١٨هـ/١١٢٤م [1] . وقد أنجب أربعة أبناء هم فليته ، ومحمد ، ويحيى ، وعيسى [2] .

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ١٧٢/١ ؛ ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص ٣٠٧-٣٠٨ ؛ العصامي : سمط النجوم العوالي ٢٠٤/٤ .

(٢) ابن عنبه : عمدة الطالب ،ص ٢٣٦ .

الأمير فليته بن القاسم بن محمد بن جعفر وامارته على مكة المكرمة (٥١٧ – ٥٢٧هـ/١١٢٣ – ١١٣٢م) .

تولى الأمير فليته امارة مكة بعد وفاة والده مباشرة (١)، وهناك بعض المصادر تطلق عليه اسم أبو فليته بدلا من فليته (٢)، ولكن هذه المصادر وغيرها لم تتوسع في ذكر الأحداث الداخلية بمكة المكرمة في عهد ذلك الأمير فربما يعود ذلك الى الهدوء والأمن والاستقرار الذى شهدته المنطقة في عهده وذلك بفضل سياسته الحكيمة وحسن تصريفه للأمور (٣)، فقد اشتهر ذلك الأمير بعدله وتسامحه وحسن معاملته للناس (٤)،حيث كرّس معظم وقته وكل جهده في توفير الأمن ورفع الظلم عن الناس ذلك الظلم الذى وجده أهل مكة والوافدون اليها في عهد والده القاسم ، ومما أثلج صدور أهل مكة والحجاج والتجار القادمين اليها ذلك القرار الذى أصدره الأمير فليته بالغاء واسقاط جميع المكوس المفروضة على الحجاج والتجار القادمين الى مكة ،تلك المكوس التى كان قد فرضها آباؤه وأجداده من قبل (٥). وهكذا استطاع هذا الأمير خلال مدة امارته على مكة التى لم تتجاوز عشر سنوات (٦) أن ينشر العدل ويوطد

---

(١) الجزيرى : الدرر الفرائد المنظمة ، ٥٥٨/١ ؛ الصباغ : تحصيل المرام ، مخطوط ، ص ٢١٨ .

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٣١٤/٨ ؛ أبو الفداء المختصر في أخبار البشر ، ٨/٣ ؛ دحلان : أمراء البلد الحرام ، ص ٣٣ .

(٣) الرشيدى : حسن الصفا والابتهاج ،ص ١١٥ .

(٤) ابن الأثير : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها ؛ ابن فهد : اتحاف الورى ، ٤٩٩/٢ .

(٥) الفاسى : العقد الثمين ، ٢٠/٧ ، لمزيد من الايضاح عن المكوس انظر ف ٤ ، ص٢٧٣.

(٦) العصامى : سمط النجوم العوالى ، ٢٠٤/٤ .

الأمن والاستقرار في ربوع مكة المكرمة والمشاعر المقدسة (١) ولم يكن نجاح ذلك الأمير قد برز في الساحة الداخلية فقط وانما ظهر نجاحه أيضا في سياسته الخارجية حيث تخلص من سياسة التذبذب والتأرجح في العلاقات بين الخلافتين العباسية والفاطمية التي انتهجها آباؤه وأبناؤه من بعده ، وأدى ذلك الى صلاح الأمور بمكة المكرمة طوال عهده (٢) .

واستمر الأمير فليته أميرا على مكة حتى وفاته في يوم السبت الحادي والعشرين من شعبان لعام ٥٢٧هـ/١١٣٢م (٣) .

---

(١) ابن خلدون : العبر ، ١٠٤/٤ .
(٢) انظر ف ٢ ، ص ١٨٠ .
(٣) أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ، ٨/٣ ؛ الفاسي المصدر السابق ، ٢٠/٧ .

الأمير هاشم بن فليته وسياسته الداخلية

(٥٢٧ - ٥٤٩هـ/١١٣٢ - ١١٥٤م) .

تولى الأمير هاشم بن فليتة امارة مكة المكرمة بعد وفاة والده مباشرة[١] الذى يبدو انه تجاهل او غفل عن قضية ترشيح او تعيين احد ابنائه فى امارة مكة من بعده . وقد ترتب على ذلك ظهور الخلاف والشقاق بين الاخوة وهو أول خلاف ونزاع يتم بين أبناء أسرة الهواشم لأن عبد الله ويحيى أخوى هاشم عارضا فكرة تولى أخيهما هاشم امارة مكة فقاما بمحاولات عديدة للاطاحة به ولكنهما لم يتمكنا من ذلك[٢] .

أما عن سياسة الأمير هاشم الداخلية فانه يمكن القول بانه قد خالف سياسة والده اذ فرض الضرائب والمكوس على الحجاج والتجار القادمين الى مكة والتى كان أبطلها والده من قبل وقام بعمل ترتيبات جديدة من أجل تحصيلها عن طريق بناء الحصون على جميع مداخل مكة لمراقبة القوافل التجارية القادمة الى مكة والزامها بدفع جميع الرسوم المقررة عليها[٣] .

والملاحظ فى عهد ذلك الأمير اهتمامه الكبير

---

(١) العصامي : سمط النجوم العوالي ، ٢٠٤/٤ .

(٢) ابن عنبه : عمدة الطالب ، ص ٢٣٦ ؛ الصباغ : تحصيل المرام ، ص ٢١٨ ؛ الفاسي : العقد الثمين ، ٣٦٢/٧ ؛ ابن فهد : اتحاف الورى ، ٥٠٣/٢ . لمزيد من التفاصيل انظر ص ١٠٧ ومابعدها من هذا الفصل.

(٣) جمال الدين ابو الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد المعروف بابن المجاور : صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المعروف باسم تاريخ المستبصر ، صححه أوسكر لوفغرين ، ليدن ١٩٥١م ، ص ٤١ .

بتشييد وبناء الحصون العسكرية وتجهيزها بكامل الاستعدادات العسكرية . فتذكر المصادر أنه قام ببناء حصن بمنطقة حداء (١) على أرض مرتفعة بها ، وبنى به ثلاثة عشر برجا وذلك لمراقبة جميع الاتجاهات المحيطة بالحصن ، وقام أيضا بحفر بئر لسقاية الحامية العسكرية الموجودة بذلك الحصن (٢) . ويبدو أن الأمير هاشم قد قام ببناء تلك الحصون والأبراج العسكرية لحماية بلاده من أى اعتداء قد يقع عليها سواء كان من اخوته وعمومته المنافسين له أو من أى قوة خارجية أخرى (٣) . كما أن الأمير هاشم قد قام بخطوة جديدة وفريدة لم يسبقه اليها أى أمير من أمراء الهواشم ، فقد بنى له مدينة خارج مكة المكرمة فيما بين درب الثنيه (٤) والمسفلة (٥) جنوبا وقد سميت هذه

---

(١) حداء : وهى قرية تقع على طريق مكة جدة القديم وتبعد عن مكة ٢٩ كيلاءوهى فيما بين منطقة الحديبية (الشميسى) ومنطقة بحره كانت فى السابق منطقة زراعية ولكنها تأثرت كثيرا بانقطاع العين التى تمر بها فانعدمت بها الزراعة ، يوجد بها اليوم عدة أحياء يسكنها الموال ، والعمايده الحضارم ، وبعض من الحروب الذين قدموا اليها في الأزمنة المتأخرة ، وفى حداء اليوم عدد من المدارس والمساجد والأسواق وتعرف اليوم بنفس الاسم . انظر :
الحموى : معجم البلدان ، ٢٢٩/٢ ; ابن عبد الحق : مراصد الاطلاع ، ٣٨٤/١ ; البلادى : معجم معالم الحجاز ، ط١ ، مكة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ، ٢٤١/٢ .

(٢) الحموى :المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها ; ابن المجاور :صفة بلاد اليمن ومكة ، ص ٤١-٤٢ .

(٣) الصباغ : تحصيل المرام ، ص ٢١٨ .

(٤) درب الثنية : المقصود بها ثنية كدى وهى الثنية التى بأسفل مكة من جهة منطقة أجياد وقد فتح بها حاليا طريق يؤدى الى المشاعر المقدسة وجبل ثور وقد أنشىء على جوانبها حى الهجرة ويوجد بها الآن مواقف سيارات لحجاج البر . انظر : عبد العزيز صقر الغامدى وآخرين : مكة المكرمة فى شذرات الذهب ، مكة ١٤٠٥هـ ، ص ١٣٤ .

(٥) المسفلة : حى من أحياء جنوب مكة وهى مشتقة من السفل وهو الانحدار عن المسجد الحرام وتقع حاليا على الطريق المؤدى الى الليث ويصب فيها سيل وادى ابراهيم . انظر البلادى : معجم معالم الحجاز ، ١٥٤/٦ .

المدينة باسم مربعة الأمير .[١]

ثم قام الأمير هاشم بتعمير تلك المدينة حيث بنى بها بيوتا عديدة جعلها مقرا لجنده وخدمه الذين أمر بنقلهم من مكة واسكانهم بهذه المدينة الجديدة .[٢]

والحقيقة أن تلك الخطوة التى خطاها الأمير هاشم تدل دلالة واضحة على حسن سياسته وبعد نظره لأنه قد استطاع بفكرته هذه أن يوفر الأمن لبلاده وأن يخلص مكة وأهلها من حوادث النهب والسلب التى عادة مايقوم بها هؤلاء الجنود والعبيد على أهل مكة والوافدين اليها[٣]،وقد أدى ذلك الى انعدام الأمن والاستقرار بمكة حتى أصبح الحجاج لايأمنون على أموالهم وأنفسهم[٤].فعزم الأمير هاشم على تنفيذ تلك الفكرة الجديدة،وابعاد هؤلاء المفسدين عن أهل مكة وحجاج بيت الله الحرام ، وقد تحقق له ما أراد حيث استطاع

---

(١) ابن المجاور : المصدر السابق، ص ٩ . انظر الملحق رقم ٤.
ربما يكون قد سميت بذلك الاسم نسبة الى بنائها الذى يبدو أنه كان مربع الشكل أو نسبة الى المكان الموجودة به حيث ذكر الزبيدى فى كتابه تاج العروس بأن مربع هو جبل قرب مكة ، قال الأشج بن مرة أخو أبى خراش :
عليك بنو معاوية بن صخر   فأنت بمربع وهو بضيم
كما ذكر البلادى بأن مربع : ريع جنوب مكة بين ضيم وملكان يجاوره جبلا يسمى الأشيب وأهله دعد من هذيل .
انظر :
محمد مرتضى الزبيدى : تاج العروس ، بيروت ، ٥/٣٣٨-٣٣٩ ؛ البلادى : معالم مكة التاريخية ، ص ٢٥٧ .

(٢) ابن المجاور : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها .

(٣) الفاسى : شفاء الغرام ، ٢/٣٦٥ .

(٤) الرشيدى : حسن الصفا والابتهاج ، ص ١١٦ .

أن يوفر الأمن والاستقرار في بلاده .

وقد وصف ابن المجاور حالة مكة بعد انتقال الجند الى مربعة الأمير بقوله : "وبنى الأمير مدينة ظاهر مكة مابين درب الثنية والمسفلة تسمى مربعة الأمير فكان يسكن بها جنده وخدمه وحشمه وبقى البلد عامرا" (١) .

واستمر الأمير هاشم بن فليته بعد ذلك في امارة مكة حتى وفاته في ذى الحجة سنة ٥٤٩هـ/١١٥٤م (٢) .

---

(١) ابن المجاور : المصدر السابق ، ص ٩ .
(٢) نجم الدين ابن محمد عمارة بن أبي الحسن الحكمي اليمني : النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية ، صححه هرتويغ درنبرغ ، باريس ١٨٩٧م ، ص ٣٢ ؛ الفاسي : العقد الثمين ، ٣٢/٧ .

الأمير قاسم بن هاشم بن فليته وامارته على مكة (٥٤٩ - ٥٥٦هـ/١١٥٤ - ١١٦٠م) .

بعد وفاة الأمير هاشم بن فليته تولى ابنه قاسم امارة مكة المكرمة[(١)] . غير أن أهالى مكة المكرمة لم يستبشروا بخبر تعيينه فى امارة مكة وذلك بسبب سوء سيرته معهم ولما عرف عنه من قسوة وشدة مع رعاياه[(٢)] . وبدلا من حرصه على توفير الأمن والاستقرار فى بلاده نراه يعمل على نشر الفوضى والاضطرابات بين السكان ، ومما يؤكد ذلك أن المصادر قد ذكرت أن الأمير قاسم قام فى عام ٥٥٦هـ/١١٦٠م بمهاجمة أعيان مكة والتجار[(٣)] والمجاورين بها وسلب مامعهم من أموال بالقوة والشدة[(٤)] ، ولكن مما لاشك فيه أن هذه التصرفات وتلك السياسة التى انتهجها الأمير قاسم قد شجعت الكثير من اللصوص وقطاع الطرق على أن يقوموا بأعمالهم الاجرامية ضد الآمنين من السكان وحجاج بيت الله الحرام[(٥)] ، وذلك مما أدى الى اضطراب الأمور بمكة المكرمة ، ومما زاد الوضع سوءا فى عهد هذا الأمير تلك الخلافات والمنازعات الدائرة بينه وبين عمه عيسى بن فليته والتى دارت رحاها على أرض مكة المكرمة[(٦)] ، والتى انتهت بمقتل الأمير قاسم سنة ٥٥٦هـ/١١٦٠م وتولية عمه عيسى بن فليته امارة مكة[(٧)] .

---

(١) الفاسى : العقد الثمين ، ١٧٢/١ .
(٢) ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص ٣٠٨ ؛ السباعى : تاريخ مكة ، ٢٠٩/١ .
(٣) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٥٢٣/٢ .
(٤) ابن الأثير : الكامل ، ٧٧/٩ ؛ الرشيدى : حسن الصفا والابتهاج ، ص ١١٧ .
(٥) ابن فهد : غاية المرام ، ٥٢٥/١ ؛ السنجارى : منائح الكرم ، ٢٧٢/١ .
(٦) وللمزيد من المعلومات حول تلك الخلافات انظر ص١٠٨ ومابعدها فى هذا المبحث .
(٧) أبو الفداء : المختصر فى أخبار البشر ، ٣٩/٣ ؛ القلقشندى : صبح الأعشى ، ٢٧١/٤ ؛العصامى :سمط النجوم العوالى ، ٢٠٤/٤ .

الأمير عيسى بن فليته وامارته على مكة المكرمة
(٥٥٦ – ٥٧٠هـ/١١٦٠ – ١١٧٤م) .

تولى الأمير عيسى بن فليته امارة مكة المكرمة فور مقتل ابن اخيه قاسم بن هاشم سنة ٥٥٦هـ/١١٦٠م (١) ، وكان الأمير عيسى يطمع فى امارة مكة منذ وفاة أخيه هاشم بن فليته الا أن ولاية قاسم قد أحبطت معنوياته وتطلعاته ولكنه مع ذلك صمم على الدخول مع قاسم فى مناوشات بغية الاستيلاء على مكة واقصائه عن امارتها (٢) واستطاع بعد ذلك أن يحقق ماكان يرجوه ويتمناه اذ تولى امارة مكة المكرمة .

وقد أشادت المصادر التى بين أيدينا بحسن سيرة الأمير عيسى ووصفته بأنه كان كريم النفس ، واسع الصدر كثير الحلم والعطف (٣) ، كما اشتهر بحبه لمجالسة أهل الخير والعلماء والأدباء والشعراء (٤) والاجتماع بهم وذلك مما يؤدى بالطبع الى تشجيع العلماء والأدباء على القدوم الى مكة طالما أنهم يجدون الاحترام والتقدير من الأمير عيسى .

وتزامنت امارة الأمير عيسى لمكة المكرمة مع الأيام الأخيرة للعصر الفاطمى وقيام الدولة الأيوبية التى كانت السبب فى اسقاط الخلافة الفاطمية بمصر سنة ٥٦٧هـ/١١٧٢م (٥) .

---

(١) ابن الأثير : المصدر السابق نفسه ، ٧٧/٩ ، الفاسى : العقد الثمين ، ٣٥/٧-٣٦ .
(٢) القلقشندى : صبح الأعشى ، ٢٧١/٤ .
(٣) ابن فهد : غاية المرام ، ٥٣٠/١ .
(٤) الفاسى : العقد الثمين ، ٤٨٦/٤ ؛ الجزيرى : الدرر الفرائد ، ٥٥٦/١ .
(٥) القلقشندى : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها .

فكان لزاما على الأمير عيسى أن يفتح صفحة جديدة في تاريخ علاقات مكة الخارجية منذ تلك الفترة فدخل في علاقات مع تلك الدولة الجديدة التي حكمت بلاد مصر (١).

ولم تكن الأمور الداخلية بمكة هادئة ومستقرة في عهد الأمير عيسى ، ولعل ذلك راجع الى تسامحه وضعف شخصيته مما جعل جنده وعبيده يستغلون ذلك التسامح ليثيروا الاضطرابات بمكة ويقوموا بالتعرض لحجاج بيت الله الحرام ، وذلك مما أدى الى وقوع كثير من الحروب والمناوشات بين حجاج بيت الله وبين هؤلاء الجنود في مكة والمشاعر المقدسة (٢) ، وأدى ذلك بدوره الى فقدان الأمن والاستقرار بمكة المكرمة طوال عهد الأمير عيسى الذي لم يكن له أي دور واضح في تهدئة الأمور والقضاء على هذه الفتن (٣).

كما أنه في عهد ذلك الأمير شهدت مكة المكرمة أزمة اقتصادية حادة وذلك سنة ٥٦٩هـ/١١٧٣م وقد عانى منها أهل مكة والحجاج القادمون اليها كثيرا اذ غلت أسعار السلع في أسواق مكة وخاصة المواد الغذائية التي تعذر وجودها (٤) وأشرف كثير من الناس على الهلاك حتى اضطروا الى أكل الدم والجلود والعظام، وقد أدت هذه المجاعة الى موت عدد غير قليل من الناس (٥) ، فلم يكن للأمير عيسى حول ولاقوة ازاء تلك الأزمة الا بالاستنجاد (٦) بكل من الخليفة العباسي المستضيء بالله

---

(١) انظر الفصل الثالث ، ص١٠٢-٢١٢.
(٢) الفاسي : شفاء الغرام ، ٣٦٥/٢-٣٦٦ .
(٣) أنظر الفصل الثالث ، ص ٢٠٨.
(٤) الفاسي : العقد الثمين ، ٢٠٩/١ .
(٥) الجزيري : الدرر الفرائد ، ٥٧٠/١ .
(٦) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٥٣٤/٢ .

والسلطان صلاح الدين الايوبى اللذين لم يتوانيا لحظة واحدة فى ارسال المعونات والصدقات الى أهالى مكة المكرمة (١) .

واستمر الأمير عيسى بن فليته أميرا على مكة حتى وفاته فى اليوم الثانى من شعبان لعام ٥٧٠هـ/١١٧٤م (٢) .وكان قبيل وفاته قد أوصى بامارة مكة من بعده لابنه داود وكتب عهدا بذلك (٣) ، وتعتبر هذه الخطوة جديدة فى تاريخ أمراء الهواشم وقد انفرد بها الأمير عيسى بن فليته عن غيره من أمراء الهواشم السابقين له ، حيث أدرك أن جميع الخلافات والمنازعات التى وقعت بين أمراء الهواشم والتى أعقبت موت أخيه هاشم كانت بسبب الصراع على الامارة (٤) ، لذلك فمن المحتمل أن الأمير عيسى قد قام بهذه الخطوة ليضع حدا لتلك المنازعات والخلافات الدائرة بين أمراء الهواشم .

---

(١) الفاسى : شفاء الغرام ، ٤٣١/٢ ؛ الجزيرى : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها .

(٢) ابن فهد : غاية المرام ، ٥٣٢/١ .

(٣) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٥٣٦/٢ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، ٧٧/٩ .

الأمير داود بن عيسى وامارته على مكة المكرمة

(٥٧٠ - ٥٨٧هـ/١١٧٤ - ١١٩١م) .

لقد تولى الأمير داود امارة مكة بعهد من والده سنة ٥٧٠هـ/١١٧٤م [١] ، ولكن الأمير داود لم يكن مستقرا في امارته على مكة وذلك بسبب خلافه ومنازعاته مع أخيه مكثر [٢] . وعلى الرغم مما اشتهر به الأمير داود من عدل وحسن سيرة ومعاملة للناس [٣] ، الا أن بعض أهالي مكة قد خرجوا عليه وقاموا بثورة ضده في منتصف رجب لعام ٥٧١هـ/١١٧٥م [٤] ، وعلى الرغم من أن المصادر التي بين أيدينا لم توضح لنا أسباب تلك الثورة الا أنه من المؤكد أن الأمير مكثر كان وراءهذه الثورة التي يبدو أنهاكانت بتحريض من الخليفة العباسي المستضيء [٥] ،وقدنجحت هذه الثورة واستطاع الأمير مكثر أن يتولى امارة مكة بعد أن هرب داود منها الى وادي نخله [٦] ، وبعد ذلك أخذ مكثر يرتب الأمور ويعد الجيوش ويبني الحصون وذلك استعدادا لأي هجوم عباسي قد

---

(١) الفاسي : شفاء الغرام ، ٣١٤/٢ .
(٢) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٥٣٦/٢ .
(٣) ابن فهد : غاية المرام ، ٥٣٩/١ .
(٤) الجزيري : الدرر الفرائد ، ٥٧٠/١ .
(٥) الفاسي : العقد الثمين ، ٣٥٤/٤ ؛ العصامي : سمط النجوم العوالي ، ٢٠٥/٤ ؛ المالكي : بلاد الحجاز ص ٥٤ .
لمزيد من المعلومات انظر ص١١٣-١١٤من هذا المبحث .
(٦) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٥٣٦/٢ .
وهما نخلتان نخلة الشامية ونخلة اليمانية وهما واديان يصبان في وادي فاطمة والمقصود هنا نخلة اليمانية وهي على طريق الطائف السيل ويعرف طريقها باسم طريق اليمانية وكان ذلك الطريق قد سلكه الرسول صلى الله عليه وسلم حينما غزا الطائف .
انظر : الحموي : معجم البلدان ، ٢٧٧/٥-٢٧٨ ؛ البلادي معالم مكة ، ص ٢٩٩-٣٠٠ .

يقع عليه ، وتفاديا للتدخلات العباسية في شؤون امارته[1]، ولكن مكثر لم ينجح بهذه الترتيبات التى عملها فقد استطاع أمير الحج العراقى طاشتكين[2] أن يهزمه ويحبط جميع تحركاته[3] ، وذلك سنة ٥٧١هـ/١١٧٥م ، ثم قام بعد ذلك بابعاده عن امارة مكة[4] لأنه رأى فيه عدم الاخلاص للعباسيين ، وعين مكانه الأمير قاسم بن مهنا الحسينى[5] الذى كان بصحبته ، واستمر الأمير قاسم فى امارة مكة المكرمة ثلاثة أيام ثم رأى فى نفسه العجز عن القيام بأعباء الامارة[6] فطلب من أمير الحج العراقى طاشتكين أن يعفيه من تلك المهمة التى أسندت اليه ، فقام طاشتكين باعادة الأمير داود بن عيسى الى امارة مكة من جديد واشترط عليه أن يسقط جميع المكوس المفروضة على الحجاج

---

(١) الجزيرى : الدرر الفرائد ، ٥٧١/١ .

(٢) هو الأمير مجير الدين طاشتكين بن عبد الله المستنجدى أمير الحاج وزعيم بلاد خوزستان ، كان شيخا خيرا حسن السيرة كثير العبادة غاليا فى التشيع شجاعا جوادا سمحا قليل الكلام ، يمضى عليه الاسبوع ولايتكلم ، توفى فى جمادى الآخرة سنة ٦٠٢هـ/١٢٠٥م . انظر :
ابن كثير : البداية والنهاية ، ٤٥/١٣ ؛ الفاسى : العقد الثمين ، ٥٦/٥ ؛ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ١٩٠/٦ .

(٣) ابن فهد : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها .

(٤) لمزيد من التفاصيل حول ذلك الخلاف العباسى المكى فى عهد الأمير مكثر انظر الفصل الثانى ص١٩٧-١٩٩.

(٥) قاسم بن مهنا الحسينى : كان أميرا على المدينة زمن الخليفة العباسى المستضىء (٥٦٦ - ٥٧٥هـ) واستمر فى امارتها خمسا وعشرين عاما ، وكان السلطان صلاح الدين محبا له يصطحبه معه فى غزواته وحروبه ، قدم الى مكة مع أمير الحج العراقى طاشتكين قادما من بغداد ، فتولى امارتها ثلاثة أيام ثم رجع الى المدينة واستمر أميرا عليها حتى توفى وخلفه فى الامارة ابنه جماز . انظر :
الفاسى : العقد الثمين ، ٣١/٧-٣٢ ؛ السخاوى : التحفة اللطيفة ، ٤٠٤/٣ .

(٦) الفاسى : شفاء الغرام ، ٣١٤/٢ .

ويحرص على اقامة العدل بين الناس .[١]

واستمر الأمير داود بعد ذلك في امارة مكة واخذ يتناوب امارتها هو وأخوه مكثر عدة سنوات حتى سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م[٢] وهي السنة التي قام فيها الأمير داود بنهب أموال الكعبة وانتزاع طوق الحجر الأسود[٣] ، وذلك مما اغضب الخليفة العباسي الناصر الذي أمر بعزله وتعيين أخيه مكثر بدلا منه[٤] ، فحينما علم داود بتلك الأخبار هرب من مكة الى وادي نخلة خوفا على نفسه[٥] فاقام هناك حتى وفاته في شهر رجب لعام ٥٨٩هـ/١١٩٣م .

---

(١) العصامي : سمط النجوم ، ٤/٢٠٥-٢٠٦ .

(٢) أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ، ٣/٨٩ ؛ ابن فهد : اتحاف الورى ، ٢/٥٥٩ ؛ ابن فهد : غاية المرام ، ١/٥٣٦-٥٣٧ .

(٣) الجزيري : الدرر ، ١/٥٧٦ ؛ السنجاري : منائح الكرم ، ١/٢٧٨ .

(٤) ابن خلدون : العبر ، ٤/١٠٤ . ولمزيد من المعلومات حول ذلك العزل انظر ص ـــ في الفصل الثاني .

(٥) ابن الاثير : الكامل ، ٩/٢٢٩ ؛ اليافعي : مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، ط٢ ، بيروت ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م ، ٣/٤٣٨ ؛ ابن فهد : غاية المرام ، ١/٥٣٦-٥٣٧ .

امارة مكثر بن عيسى الثانية على مكة المكرمة (٥٨٧ – ٥٩٧هـ/١١٩١ – ١٢٠٠م) .

لقد تولى الأمير مكثر امارة مكة المكرمة للمرة الثانية بعد أن عزل أخوه داود بن عيسى من الامارة ، الا أنه لم يحس بالراحة والاستقرار الا بعد وفاة داود فقد أصبح يحكم مكة دون أى منافس لاسيما أن داود كان مصدر قلق له حيث كان يهاجمه بين الحين والآخر ويعكر صفو امارته[1] وبوفاته استراح مكثر من ذلك الخطر الذى كان يهدده .

هذا ولم تكن الأمور بمكة فى عهد ذلك الأمير هادئة بل كانت مضطربة وذلك بسبب تلك الاعتداءات التى يشنها عادة عبيد واتباع الأمير مكثر ضد حجاج بيت الله الحرام[2] ، ولم يكن للأمير مكثر أى دور فى تهدئة الأمور والقضاء على تلك الاضطرابات بل انه كان أيضا يعامل الحجاج معاملة غير حسنة فقد ذكر ابن جبير الذى كان معاصرا للأمير مكثر أنه أصدر أوامره الى على بن موفق نائبه على جدة بأن يقوم بتعذيب كل من يتأخر فى دفع الرسوم المقررة عليه[3] ، وذلك مما جعل الأمير سيف الاسلام طغتكين بن أيوب[4] يبدى عزمه واصراره على

---

(١) جميل حرب : الحجاز واليمن ، ص ٣٣ .
(٢) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، قسم ١، ٣٨٨/٨ ، ابن فهد : اتحاف الورى ، ٥٥١/٢ .
(٣) ابن جبير : الرحلة ، ص ٥٢،٥٤،٥٧ .
(٤) الملك العزيز سيف الاسلام طغتكين بن أيوب بن شاذى صاحب اليمن هو أخو السلطان صلاح الدين الأيوبى ، وقد جهزه الى اليمن سنة ثمان وسبعين وقيل سنة تسع وسبعين وخمسمائة فتسلمها من نواب أخيه المعظم توران شاه وكان شجاعا مقداما شهما ، قدم الى مكة واستولى عليها ثم عاد الى اليمن ومات بها فى شوال سنة ٥٩٣هـ/١١٩٦م انظر : شهاب الدين بن محمد عبد الرحمن بن اسماعيل المعروف بأبى شامة : الذيل على الروضتين ، صححه محمد الكوثرى ، ط٢ ، بيروت ١٩٧٤م ص ١١ ، الفاسى : العقد الثمين ، ٦٢/٥،٦٣،٦٤ .

التوجه الى مكة والقضاء على جميع المفسدين الذين يثيرون الاضطرابات بها (١) .

هذا بالاضافة الى أن الأمير مكثر لم تعد تهمه مصلحة الحرم المكى الشريف والاهتمام به بقدر ماكان يهمه الحصول على الأموال فتذكر المصادر التى بين أيدينا أن الامير مكثر قد أصدر أوامره فى يوم الجمعة ٢٤ من ذى القعدة سنة ٥٧٩هـ/١١٨٣م بعزل محمد بن اسماعيل الشيبى عن حجابة الكعبة المشرفة (٢) وذلك بسبب تهمة وجناية قد نسبت اليه وثبتت عليه (٣) يبدو أنها كانت بسبب حصوله على أموال بطرق غير مشروعة مستغلا بذلك عمله ومنصبه للحصول على تلك الأموال . ولكن محمد بن اسماعيل هذا سرعان مارجع الى منصبه ووظيفته ليس لتوبته وتعهده بعدم الرجوع الى أية مخالفات بل لأنه قد دفع للأمير مكثر خمسمائة دينار مكية وذلك مقابل رجوعه الى منصبه من جديد (٤) .

ثم استمر الأمير مكثر بن عيسى بعد ذلك أميرا على مكة حتى قدم قتادة بن ادريس الحسنى الى مكة واستولى عليها سنة ٥٩٧هـ/١٢٠٠م (٥) ، وانتهى بذلك نفوذ الهواشم حيث هرب الأمير مكثر الى وادى نخلة خوفا على نفسه من قتادة وأتباعه

---

(١) الفاسى : شفاء الغرام ، ٣١٤/٢-٣١٥ ؛ ابن فهد : المصدر السابق نفسه ، ص ٥٥٣ . ولمزيد من التفاصيل انظر الفصل الثالث من هذا البحث ص٢٥١ .
(٢) ابن جبير : المصدر السابق نفسه ، ص ١٤٢ .
(٣) جميل حرب : الحجاز واليمن ، ص ٣٤ .
(٤) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٥٤٨/٢ .
(٥) انظر الفصل الثالث ، ص٢٤٦-٢٤٧ .

وتوفي هناك سنة ٦٠٠هـ/١٢٠٣م[1] .

وكان له أبناء وبنات وهم : أحمد ، ومحمد ، وهنيده ، وحسنه ، وكرامة ، وشميل[2] ...

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ٢٧٨/٧ .
(٢) ابن فهد : غاية المرام ، ٥٤٤/١ .

(ج) التنظيمات الادارية بمكة في عهد الهواشم

ومما تقدم فى هذا الباب يمكن تحديد أوضاع مكة الداخلية ، والتنظيمات الادارية الموجودة بها فى عهد أسرة الهواشم وأثر امارة الهواشم على الأوضاع العامة بمكة .

ويمكن أن نقول ان أسرة الهواشم هى أسرة من أسرات الأشراف التى حكمت مكة المكرمة واستمرت هذه الأسرة تحكم مكة قرابة قرن ونصف من الزمان ، ولكن الدارس لتاريخ تلك الأسرة لايرى طيلة عهدهم أى اصلاح وتنظيم لأمور مكة الداخلية (١) وذلك على الرغم مما يصل أمراء تلك الأسرة من أموال واعانات وهدايا من ملوك وأمراء وسلاطين الدول الاسلامية (٢) .

وكما أن العمران بمكة لم يتسع فى عهد الهواشم وذلك بسبب انشغال أهل مكة بالفتن والاضطرابات التى شهدوها ابان حكم تلك الأسرة ، هذا بالاضافة الى أن أمراء الهواشم ومن سبقهم بالامارة قد اعتنوا بتحصينها أكثر من اعتنائهم بعمرانها (٣) ، فقاموا بسد الثغرات الموجودة بين الجبال بالأسوار القوية وذلك استعدادا لأى هجوم قد يقع عليهم (٤) ، كما أن الأمير هاشم بن فليته قد أنفق جزءا كبيرا من أمواله على بناء حصن حداء الكبير الذى بناه لمراقبة أعدائه المتربصين به (٥) ، هذا بالاضافة الى ذلك الحصن الذى بناه الأمير مكثر بن عيسى على جبل أبى قبيس وقام بتزويده بكافة الاستعدادات العسكرية وذلك للتصدى للقوات العباسية القادمة الى مكة (٦) .

---

(١) محمد جمال الدين سرور : النفوذ الفاطمى فى جزيرة العرب ، ص ٢٢ .
(٢) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، قسم ٢ ، ٥١٣/٨ ؛ ابن فهد : اتحاف الورى ، ٤٧٦/٢ .
(٣) السباعى : تاريخ مكة ، ٢١٤/١ .
(٤) ناصر خسرو : سفر نامه ، ص ١٢١ .
(٥) ابن المجاور : صفة بلاد اليمن ، ص ٤١-٤٢ .
(٦) ابن الاثير : الكامل ، ١٣٧/٩ .

أما عن امارة مكة في عهد الهواشم فيمكن أن توصف بأنها كانت امارة أعرابية تسير على قاعدة أمراء العشائر والقبائل[(١)]، فولاية العهد فيها كانت تقوم على أساس وراثي حيث يوصي الأمير في الغالب لأحد أبنائه بتولي الامارة من بعده[(٢)].

كما كان من سياستهم تقريب القواد الكبار في الامارة الى مجالسهم وذلك ليبحثوا ويتدارسوا معهم في الأمور العسكرية[(٣)].

أما عن الموارد الاقتصادية للدولة فقد كانوا يعتمدون على المكوس المفروضة على الحجاج القادمين لأداء فريضة الحج[(٤)] كما يعتمدون أيضا على الضرائب المفروضة على التجار القادمين الى بلادهم من الهند واليمن وغيرها من الدول الأخرى[(٥)]. هذا بالاضافة الى اعتمادهم على تلك الأموال والنفقات التي يرسلها اليهم خلفاء وأمراء وسلاطين الدول الاسلامية وذلك لأغراض سياسية حتى أصبحت تلك الأموال طرفا أساسيا في علاقات أمراء الهواشم الخارجية.

كما أنه من الملاحظ في عهد تلك الأسرة أن أمراءها لم يستغلوا الأموال التي كانت تصلهم من الدول الاسلامية في توفير الأمن لحجاج بيت الله وتهيئة سبل الراحة لهم، بل ان بعضهم قد شجع الأعراب والعبيد التابعين لهم على أن يقوموا بالاعتداء على الحجاج والقيام بسلب اموالهم[(٦)].

---

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ، ٢٧٦/٤ .
(٢) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٥٣٦/٢ .
(٣) القلقشندي : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها .
(٤) انظر الفصل الرابع ، ص ٢٧٣.
(٥) القلقشندي : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها .
(٦) ابن فهد : المصدر السابق ، ٥٢٠/٢؛ انظر الفصل الثالث ص ٢٣٤- ٢٣٥.

أما عن المناصب والوظائف الادارية في عهد أمراء الهواشم كالقضاء ، والافتاء ، والاشراف على الحرم المكى فلايشترط لتوليها أن يكون من الأسرة نفسها بل كان منصب القضاء محصورا في البيوت المشهورة بالعلم بمكة المكرمة كالطبريين ، والنويريين وغيرهم[١] .

أما منصب الافتاء فقد كان يتولاه من يستحقه ومن يرى أنه قادر على الاجابة على الاستفسارات الدينية الموجهة له ولم يكن لأمراء الهواشم أى تدخل فى ذلك المنصب[٢] .

أما سدنة الكعبة فقد فرض عليهم أمراء الهواشم دفع ستة آلاف درهم كل عام[٣] وذلك مقابل بقائهم فى منصبهم. كما أن أمراء الهواشم كانوا طوال امارتهم على مكة عائقا لمن كان يريد التجديد والاصلاح فى الحرم المكى الشريف وليس هناك من سبب لتصرف الهواشم هذا الا طمعهم فى الحصول على الأموال ، لأنه لايمكن لأى انسان أن يقوم بأى اصلاح أو ترميم فى المسجد الحرام الا بعد الحصول على موافقتهم وأخذ الاذن منهم وذلك لايتم الا باعطائهم مالا كثيرا يوازى المال الذى سيصرف على المشروع[٤] ، وذلك مما يضطر البعض الى استخدام الحيل للحصول على موافقتهم ، فتذكر المصادر أن أحد الأعاجم أراد أن يقوم بطى بئر زمزم وتجديد قبته فعرض على الأمير فليته ذلك المشروع فأظهر رفضه لذلك ولكن هذا الرجل قام باغرائه

---

(١) الطبرى : الارج المسكى ، مخطوط ، ص ١١٣ .
(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها .
(٣) يوسف بن أحمد : المحمل والحج ، ٢٨٤/١ .
(٤) ابن جبير : الرحلة ، ص ١٠٤ .

بمال كبير يعادل ماسينفق على المشروع فوافق الأمير طمعا في ذلك المبلغ ، وشرع الرجل في البناء حتى انتهى وأكمل مشروعه عندئذ غادر مكة متوجها الى بلاده دون أن يعلم به الأمير أو يحصل منه على أي مبلغ من المال .[(١)]

(١) المصدر السابق نفسه ، ص ١٠٤-١٠٥ .

(د) الصراع بين أمراء الهواشم وأثر ذلك في التدخل الخارجي

ان من العوامل التي تؤدى الى سرعة سقوط الدول أحيانا تلك الخلافات والمنازعات التي تكون بين حكام تلك الدول ، ولاشك في أن تلك الخلافات تشجع الكثير من الطامعين في تلك الدول على تحقيق مخططاتهم التي يسعون اليها .

فامارة الهواشم واحدة من هذه الدول التي أصيبت بداء الفرقة والمنازعات بين حكامها حتى أصبحت مطمعا لكثير من أعدائها المتربصين بها . بل كانت عاملا أساسيا في سقوط امارتهم فيما بعد .

فالشرارة الوحيدة التي أشعلت نار الفرقة والخلافات بين أمراء الهواشم هي تلك المنافسات الشديدة على تولى الحكم بمكة المكرمة (١) . فأول ظهور تلك الخلافات كان في عهد الأمير هاشم بن فليتة الذى ثار عليه اخوته عبد الله ، ويحيى اللذين يريان أحقيتهما في امارة مكة المكرمة (٢) ، فقد قام عبد الله بن فليتة بتجهيز قوة عسكرية كبيرة وذلك للاطاحة بأخيه هاشم واقصائه عن الامارة ، وقد اتخذ عبد الله منطقة عسفان مقرا لتحركاته التي أربكت أخاه هاشم وجعلته يصمم على محاربة عبد الله والقضاء عليه ، فدارت بين الطرفين موقعة جرت أحداثها بعسفان وذلك في يوم الأحد الثاني والعشرين من ذى الحجة لعام ٥٢٧هـ/١١٣٢م (٣) وكان النصر فيها حليف الأمير هاشم بن فليتة الذى استطاع أن يهزم أخاه عبد الله ويشتت قواته (٤). فدانت بعد ذلك امارة مكة للأمير هاشم

---

(١) الجزيرى : الدرر الفرائد ، ٥٦٨/١ .
(٢) ابن عنبه : عمدة الطالب ، ص ٢٣٦ ؛ الصباغ : تحصيل المرام ، ص ٢١٨ .
(٣) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٥٠٣/٢ .
(٤) ابن فهد : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها .

الذى رجع اليها وأصبح يحكمها دون أى منازع له [١] .

ولقد كان للتدخل الخارجى أثر فى تفاقم النزاع بين أمراء الهواشم واتساعه فقد كان لأمير الحج العراقى أرغش التركى الذى قدم الى مكة سنة ٥٥٦هـ/١١٦٠م [٢] أثر كبير فى تدهور العلاقات بين أمير مكة قاسم بن هاشم وعمه عيسى بن فليتة ، وذلك حينما قام بعزل قاسم عن امارة مكة وعين عمه عيسى بن فليتة مكانه [٣] ، وذلك بسبب سوء سيرة الأمير قاسم مع تجار ومجاورى مكة المكرمة [٤] ، فاشتعل الخلاف والنزاع بين الأميرين حيث هرب الأمير قاسم خارج مكة خوفا من أمير الحج العراقى وأخذ يخطط للاطاحة بعمه عيسى لاقصائه عن الامارة [٥] فقام بالاتصال ببعض قبائل الحجاز وطلب منهم مساندته ومساعدته ووعدهم باعطائهم أموال كثيرة فى حالة تمكينه من اعادته الى امارة مكة من جديد [٦] ، فاستجابت له أعداد كبيرة من القبائل وساروا معه متجهين الى مكة فحينما علم عيسى بتلك القوة الكبيرة القادمة اليه خشى على نفسه وفضل الهرب عن مكة وذلك فى شهر رمضان سنة ٥٥٧هـ/١١٦١م [٧] بعد أن مكث فى امارتها تسعة أشهر ، فاستطاع قاسم أن يدخل مكة من جديد ويعلن امارته عليها [٨] ، بيد أن هناك عوامل قد أدت الى عدم استمراره فى الامارة الا أياما قليلة ، وهى أن رؤساء

---

(١) السنجارى : منائح الكرم ، ٢٧١/١ .
(٢) ابن الأثير : الكامل ، ٧٧/٩ ؛ المالكى : بلاد الحجاز ، ص ٥٤ .
(٣) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٥٢٣/٢ .
(٤) راجع ص ١٨٩ من هذا البحث .
(٥) أبو الفدا : المختصر ، ٣٩/٣ .
(٦) ابن الأثير : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها .
(٧) السنجارى : المصدر السابق نفسه ، ٢٧٢/١ .
(٨) دحلان : أمراء البلد الحرام ، ص ٣٣ .

القبائل الذين ساندوه قد طلبوا منه أن يحقق جميع وعوده السابقة لهم ولكنه رفض ذلك لقلة مابيده من أموال .(١)

هذا بالاضافة الى أنه قد قام باذكاء نار غضبهم وذلك حينما قام بقتل قائد من قواده(٢) لم تذكر المصادر التى بين أيدينا اسمه ولكن يبدو أنه كان من رؤساء هذه القبائل لذلك كله ثار غضبهم على القاسم وصمموا على الانتقام منه حيث قاموا بمراسلة عمه عيسى بن فليتة وقدموا له الضمانات الكفيلة لاعادته الى امارة مكة من جديد واخراج القاسم منها فوجد عيسى بن فليتة ذلك العرض فرصة له يجب عدم اضاعتها فأعلن ترأسه لهم وتأييده التام لهم فقدم الى مكة(٣) ، فوجد الترحيب والاستقبال من رؤساء القبائل بعكس الأمير قاسم الذى وجد كامل الاعراض والتخلى عنه وذلك مما أجبره على أن يقوم بمحاولات للهرب من مكة(٤) ، فحينما علمت هذه القبائل بهرب الأمير قاسم قامت بمطاردته بغية القضاء عليه فتمكنوا من القبض عليه بجبل أبى قبيس(٥) وقاموا بقتله ولكن خبر مقتله قد ساء عمه عيسى كثيرا(٦) وندم لذلك ندما كبيرا لأنه كان لايريد

---

(١) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٢/٥٢٤-٥٢٥ .

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٩/٧٧ ..

(٣) القلقشندى : صبح الأعشي ، ٤/٢٧١ .

(٤) أبو الفدا : المختصر ، ٣/٣٩ .

(٥) جبل أبى قبيس : هو الجبل المشرف على الصفا وهو أحد أخشبى مكة ، وقد سمى بذلك الاسم نسبة الى رجل من جرهم يدعى أبى قبيس حيث قام ببناء منزل له على سفح ذلك الجبل ، وقيل لأنه اقتبس منه الحجر الأسود ، وكان فى الجاهلية يسمى الأمين لأن الحجر الأسود استودعه الله فيه زمن الطوفان ، انظر :
أبى الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقى : أخبار مكة وماجاء فيها من الآثار ، تحقيق رشدى الصالح ملحس ، ط٤ ، مكة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، ٢/٢٦٧ ؛ الصباغ : تحصيل المرام ، ص١٥٠-١٥١ .

(٦) ابن الأثير : المصدر نفسه والصفحة نفسها .

قتله . فقام بغسله ودفنه بمقبرة المعلى[1] .

ولقد حدث أيضا خلاف في عهد امارة الأمير عيسى بن فليتة بينه وبين أخيه مالك وكان هذا الخلاف يدور حول تولى السلطة بمكة لأن مالكا يرى أنه أحق من أخيه عيسى بالامارة[2] لذلك أخذ مالك يعد العدة ويجهز القوات لمواجهة أخيه عيسى وابعاده عن امارة مكة ، فحينما علم الأمير عيسى بتحركات أخيه مالك خشى على نفسه وملكه من الضياع حتى أنه امتنع من الذهاب الى الحج في سنة ٥٦٥هـ/١١٧٠م وذلك خوفا من أخيه مالك وقواته المرافقة له[3] .

عندئذ أحس مالك بقوته وعزم على مهاجمة مكة وطرد أخيه عيسى منها ففي العاشر من محرم سنة ٥٦٦هـ/١١٧٠م[4] استطاع مالك بن فليتة أن يدخل مكة بقوة كبيرة تفوق قوة الأمير عيسى وتمكن من الانتصار عليه والاستيلاء على مكة الا أن استيلاءه هذا لم يدم سوى نصف ذلك اليوم الذى دخل فيه مكة[5] لأن الأمير عيسى قد أعاد صفوفه من جديد وهاجم أخاه مالكا فدارت بين الطرفين موقعة كبيرة استمرت حتى غروب الشمس من

---

(١) ابن فهد : غاية المرام ، ٥٢٨/١ .
مقبرة المعلى : وهى مقبرة تقع عند جبل الحجون بمحاذاة مسجد الجن حاليا ، وهى مقبرة أهل مكة وبها قبور كثير من الصحابة وتمتد هذه المقبرة ملاصقة بالجبل الى ثنية اذاخر بحائط خرمان المعروفة اليوم بالخرمانية . ويروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال :"نعم الشعب ونعم المقبرة هذه" .
الحموى : معجم البلدان ، ٢٢٥/٢ ؛ الفاسى : شفاء الغرام ، ٤٥٣/١ ؛ عبد العزيز الغامدى وآخرين : مكة المكرمة في شذرات الذهب ، ص٨٤-٨٦ .
(٢) الجزيرى : الدرر الفرائد ، ٥٦٨/١ .
(٣) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٥٣١/٢ .
(٤) الفاسى : العقد الثمين ، ١٨٨/١ .
(٥) الطبرى : الأرج المسكي ص ٢٦٣ .

ذلك اليوم وقد انتهت هذه المعركة بانتصار الأمير عيسى واستيلائه على مكة من جديد [١] ، ثم عقد بين الطرفين صلح [٢] اقتضى بموجبه مغادرة الأمير مالك الأراضى الحجازية لذلك توجه فورا الى بلاد الشام [٣] .

ولم يكن خروج مالك من مكة المكرمة خروجا نهائيا بل انه عاد اليها فى نهاية شهر ذى القعدة فى ذلك العام نفسه [٤] بعد أن استكمل قواته وأعد عساكره لمواجهة أخيه عيسى ، واقصائه عن امارة مكة المكرمة ، وكان مالك قبيل هجومه على مكة قد أقام بمنطقة بطن مر عدة أيام [٥] قضاها فى تجهيز قواته واستقبال القبائل المؤيدة له،كما أنه أقام فى ذلك المكان بالذات ليحمل على تأييد ومناصرة الأشراف المقيمين فى ذلك المكان .

وأثناء اقامته هناك أخذ الأمير مالك يرسم الخطط التى تقضى بمحاصرة مكة المكرمة عسكريا واقتصاديا فقام بتقسيم جيشه الى ثلاث سرايا ، السرية الأولى تدخل مكة من جهة المعلاه [٦] ويقودها هو بنفسه ومعه الأشراف المؤيدون له ، والسرية الثانيةوهى مكونة من قبائل هذيل [٧] ويرأسها بعض قواده

---

(١) دحلان : أمراء البلد الحرام ، ص ٣٣ .
(٢) الفاسى : شفاء الغرام ، ٣١٣/٢ .
(٣) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٥٣٢/٢ .
(٤) الفاسى : العقد الثمين ، ١١٥/٧ .
(٥) ابن فهد : المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .
(٦) الطبرى : الارج المسكى ، ص ٢٦٣ .
(٧) وهى قبائل ينتهى نسبها الى هذيل بن مدركه بن الياس ابن عدنان وهى تسكن بجهات مكة الأربع حيث يقطن الفرع الأكبر منها فى جنوب مكة ، وفرع منها قاطن بين مكة ووادى فاطمة شمال مكة ، وفرع منها سكن فى وادى نخلة كبنى عمير والمطارفة وبنى مسعود ، والسعايد ، وفرع منها يقطن بوادى نعمان ، ووادى عرنة على طريق الطائف انظر : شرف بن عبد المحسن البركاتى :الرحلة اليمانية ط٢ ، بيروت ١٣٨٤هـ ، ص ١٣٤ .

وقدقرر أن تدخل هذه السرية من جهة جبل أبى الحارث[(١)]، أما السرية الثالثة فقد أسندت اليها مهمة محاصرة مكة اقتصاديا ومنع وصول أى امدادات تصل اليها .

وقد نجحت هذه السرية نجاحا كبيرا فى تنفيذ مهمتها حيث استولت على كثير من السفن المحملة بالمواد الغذائية ومن بين هذه السفن تلك السفينة المحملة بالامدادات والمواد الغذائية والتى أرسلها شمس الدولة بن أيوب[(٢)] صدقة لأهل مكة المكرمة كما نجح مالك ومن معه فى احكام الحصار العسكرى[(٣)] على مكة ذلك الحصار الذى استمر عدة أيام[(٤)] وذلك مما أجبر الأمير عيسى على التحرك لمواجهة قوات أخيه مالك والعمل على فك الحصار عن مكة فدارت بين الطرفين معركة ضارية انتهت بانتصار الأمير عيسى على أخيه مالك وقتل عددا كثيرا من أتباعه[(٥)] ، فاضطر مالك بعد ذلك الى الهرب من مكة فاتجه الى

---

(١) جبل أبى الحارث : هو أحد أخشبى مكة المقابل لأبى قبيس الى جهة قيقعان والشبيكة بأسفل مكة . أنظر : الفاسى العقد الثمين ، ٤٦٧/٦ .

(٢) هو السلطان الملك المعظم شمس الدولة توران شاه بن أيوب بن شادى بن مروان الملقب بفخر الدولة ، أخو السلطان صلاح الدين الأيوبى ، كان كريما شجاعا حسن الأخلاق عظيم الهيئة واسع النفقة كثير العطاء . توجه الى بلاد اليمن سنة ٥٦٩هـ/١١٧٣م واستولى عليها بأمر من أخيه صلاح الدين فمكث فيها مدة ثم اشتاق للعودة الى بلاد الشام وذلك سنة ٥٧١هـ/١١٧٥م ، فأنابه السلطان صلاح الدين على دمشق ثم على الاسكندرية فتوفى فيها سنة ٥٧٦هـ/١١٨٠م .
انظر : بهاء الدين بن شداد : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، تحقيق جمال الدين الشيال ، ط١ ، القاهرة ١٩٦٤م ، ص ٤٦ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٣٠٦/١٢-٣٠٧ ؛ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ٣٥٣/٥ .

(٣) الفاسى : المصدر السابق نفسه ، ٤٦٦/٦-٤٦٧ .

(٤) ابن فهد : غاية المرام ، ٥٢٨/١-٥٢٩ .

(٥) الفاسى : المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .

خيف بني شديد[1] ، ومنه الى نخله التى مكث بها عدة أيام ثم غادرها الى منطقة الطائف[2] ، ويبدو أن تحركات مالك الى هذه المناطق كان يهدف من ورائها الى استنهاض همم سكان تلك المناطق لمناصرته وتأييده فى حربه مع أخيه عيسى ، ولكنه فشل فى تحركاته تلك لذلك عزم على الرجوع الى بلاد الشام ، وأثناء توجهه اليها مات فى الطريق في منطقة تيماء[3] وذلك سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م[4] ، ونتيجة لتلك الأعمال التى قام بها مالك بن فليتة ضد أخيه عيسى فقد أصدر العباسيون أمرهم بايقاف جميع المعونات والرسوم التى كانت تدفع للأمير مالك ، كما أمروا بانتزاع ومصادرة جميع الاقطاعات الممنوحة له فى بلاد العراق[5] .

وبعد وفاة الأمير عيسى بن فليتة ظهر النزاع على منصب الامارة من جديد فحينما تولى الأمير داود امارة مكة بعد وفاة والده قام أخوه الأمير مكثر بن عيسى بثورة ضده سنة

---

(١) خيف بني شديد : الخيف فى اللغة هو ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء ، ويوجد بمنطقة مكة المكرمة سبع مواضع يطلق عليها الخيف منها خيف بنى كنانة ، وخيف سلام ، وخيف النعم ، وخيف الخيل ، وخيف ذى القبر ، وخيف بني عمير ، وخيف الأشداء أو بني شديد وهو الواقع بأعلى وادى فاطمة شمال شرقى مكة المكرمة على طريق المدينة المنورة وهذا الخيف ينسب الى الأشداء وهم أشراف من بنى الحسن بن على بن أبي طالب . أنظر :
ياقوت الحموى : المشترك وضعا والمفترق صقعا ، جامعة شريغتن ١٨٤٦م ، ص ١٦٥ ؛ مورتيل : الأحوال السياسية بمكة ، ص ١٠١ .

(٢) الطبرى : الأرج المسكي ، ص ٢٦٣ .

(٣) تيماء : هى بلدة فى أطراف الشام ، تقع على طريق حاج الشام ودمشق ، والتيماء هى الأرض القاحلة التى لاماء بها . أنظر : الحموى : معجم البلدان ، ٦٧/٢ .

(٤) ابن فهد : غاية المرام ، ٥٣٤/١ .

(٥) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٥٣٣/٢ .

٥٧١هـ/١١٧٥م تلك التي يبدو أنها كانت بتحريض من الخليفة العباسي المستضيء[1] الذي لم يكن راضيا عن داود[2] ، فاستطاع مكثر أن ينجح في ثورته على أخيه داود الذي أبعد عن امارة مكة فساءت العلاقة بين الاخوين حتى قدم شمس الدولة بن أيوب من بلاد اليمن في الخامس عشر من شعبان لعام ٥٧١هـ/١١٧٥م أثناء توجهه الى الشام[3] فقام بالاجتماع مع الأمير مكثر وأخيه داود بمنطقة الزاهر[4] وتباحث معهما عن أسباب ذلك الخلاف الدائر بينهما وقدم لهما أنجع الوسائل والطرق للاصلاح بينهما فوافقا على ذلك الصلح[5] .

واستمر الأمير مكثر بعد ذلك أميرا ، على مكة حتى عزله أمير الحج العراقي طاشتكين[6] الذي قام باعادة الأمير داود الى امارة مكة من جديد ، واستمر الأخوان بعد ذلك يتداولان امرة مكة ويتنافسان عليها اذ لم يكن أحدهما يشعر بقوته ويجهز أموره حتى يهاجم الآخر ويطرده عن الامارة ويقوم بالاستيلاء عليها[7] حتى سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م[8] وهي السنة التي قام فيها داود بنهب جميع أموال الكعبة الموجودة بها وذلك مما جعل الخليفة العباسي الناصر يأمر بعزله عن امارة مكة فهرب

---

(١) المصدر السابق نفسه ، ص ٥٣٦ .
(٢) العصامي : سمط النجوم العوالي ، ٢٠٥/٤ ؛ المالكي : بلاد الحجاز ، ص ٥٤ .
(٣) الجزيري : الدرر الفرائد ، ٥٧٠/١ .
(٤) الزاهر : هو حي من أحياء مكة الغربية يقع على الطريق المؤدي الى المدينة المنورة والى العمرة ، وهو حي جميل شجير واسع الشوارع المعبدة ، وأغلب سكانه من قبيلة حرب . انظر : البلادي : معجم معالم الحجاز ، ١٢٧/٤ .
(٥) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٥٣٦/٢ .
(٦) راجع ص ٩٦ من هذا البحث ،وص ١٩٨ من الفصل الثاني .
(٧) جميل حرب : الحجاز واليمن ، ص ٣٣ .
(٨) ابن فهد : غاية المرام ، ٥٣٦/١ .

داود الى وادى نخلة ومكث هناك حتى وفاته سنة ٥٨٩هـ/١١٩٣م [(١)] فتولى امارة مكة بعد عزله أخوه مكثر الذى أخذ يحكمها دون أى منازع له واستمر فى امارته عليها حتى تمكن الأمير قتادة من أن ينتزعها منه سنة ٥٩٧هـ/١٢٠٠م [(٢)] مستغلا تلك الخلافات والمنازعات الدائرة بين أمراء الهواشم تلك الخلافات التى أنهكت قواهم وجعلت الدول المتربصة بهم تنظر اليهم نظرة الأسد الى فريسته التى حان الانقضاض عليها .

هذا وقد عانت مكة المكرمة كثيرا من الاضطرابات وذلك من جراء الدمار والخراب الذى سببته تلك الحروب الدائرة بين أمراء الهواشم والتى دارت رحاها على أرض مكة المكرمة [(٣)] كما أن مكة المكرمة قد تعرضت لأخطار جسام طوال مدة هذه الخلافات التى أدت الى افتقار أهل مكة للأمن والاطمئنان [(٤)] حيث عمت بلادهم الفوضى والاضطرابات لأن أميرها كان يركز كل جهده واهتمامه على محاربة خصمه ومحاولة التغلب عليه وينسى بذلك دوره فى توطيد الأمن والاستقرار فى بلاده . وقد عانى أيضا حجاج بيت الله من تلك الخلافات الدائرة بين أمراء الهواشم حيث انهم لم يستطيعوا أن يؤدوا فريضتهم بيسر وسهولة وذلك خوفا على أنفسهم من تلك الاضطرابات [(٥)] .

هذا بالاضافة الى ماوجده التجار القادمون الى مكة من عناء ومشقة حيث تعرضت سفنهم وبضائعهم لكثير من حوادث

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، ٢٢٩/٩ ؛ الجزيرى : الدرر ، ٥٧٦/١ .

(٢) ابن عنبة : عمدة الطالب ، ص ٢٣٩ ؛ الصباغ : تحصيل المرام ، ص ٢١٩ .

(٣) الفاسى : العقد الثمين ، ٤٦٦/٦-٤٦٧ .

(٤) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٥٣٢/٢ .

(٥) ابن الجوزى : المنتظم ، ٢٦٠/١٠ .

النهب والسلب من قبل المتحاربين[(١)] وذلك أدى بدوره الى انعدام المؤن والغلال وكان من نتيجة ذلك غلاء جميع الأسعار الموجودة بأسواق مكة المكرمة[(٢)] .

كما أن هذه الخلافات قد مكنت القوى الخارجية من التدخل في شئون مكة الداخلية حيث قامت بعزل بعض الأمراء وتولية آخرين حتى ولو لم يكونوا من أسرة الهواشم نفسها[(٣)] ، كما ترتب على هذه الخلافات تدخل القبائل المجاورة لمكة في سياسة أمرائها الداخلية وذلك مما أدى الى ازدياد حدتها وخطورتها[(٤)] لأن هذه القبائل كان يهمها استمرار تلك الخلافات والحروب وذلك لكي تحقق مصالحها المادية ، فقد كانوا يقومون بالهجوم على مكة مرات عديدة وخاصة في الأوقات التي يكون فيها أمراء مكة مشغولين بحروبهم مع بعضهم البعض[(٥)]

---

(١) ابن فهد : غاية المرام ، ٥٣٣/١ .
(٢) ابن الأثير : الكامل ، ٩٢/٩ .
(٣) الفاسي : العقد الثمين ، ٣١/٧-٣٢ .
كمثل تعيين الخلافة العباسية للأمير قاسم من مهنا الحسيني أمير المدينة سنة ٥٧١هـ/١١٧٥م حيث عزل الأمير مكثر بن عيسى عن امارة مكة وتولى مكانه الأمير قاسم ابن مهنا وهو من أسرة غير أسرة الهواشم التي تحكم مكة . ولمزيد من التفاصيل راجع ص ١٩٩ .
(٤) ابن الأثير : المصدر السابق ، ٧٧/٩ ، الفاسي : المصدر السابق ١١٥/٧؛ السنجاري : منائح الكرم ، ٢٧٤/١ .
(٥) دحلان : أمراء البلد الحرام ، ص ٣٣ .
ولمزيد من المعلومات حول استغلال تلك القبائل للمنازعات الدائرة بين أمراء الهواشم وهجومهم على مكة . انظر ص ٢٣٢-٢٣٣ .

الفصل الثانى

علاقة أمراء الهواشم الخارجية

(أ) علاقة الهواشم بالدولة الصليحية فى اليمن .

(ب) علاقة الهواشم بالخلافتين العباسية ببغداد والفاطمية بمصر .

(أ) علاقة الهواشم
بالدولة الصليحية في اليمن

قيام الدولة الصليحية في اليمن

(٤٣٩هـ/١٠٤٧م - ٥٣٢هـ/١١٣٧م) .

لقد استطاع الأمير علي بن محمد الصليحي أن يؤسس له دولة في اليمن عرفت باسم الدولة الصليحية وذلك نسبة الى مؤسسها الذي استطاع خلال فترة وجيزة أن يؤسس كيان تلك الدولة الكبيرة التي حكمت بلاد اليمن قرابة قرن من الزمن[١] .

وقد عاش مؤسسها الأمير علي مع والده محمد الصليحي الذي كان قاضيا في بلاد اليمن آنذاك ، وكانت له رئاسة وسؤدد بين قومه في تلك الفترة[٢] ، فقدم عليه الداعي سليمان[٣] بن عبد الله الزواحي أحد دعاة الشيعة في بلاد اليمن[٤] فغرس في قلب الأمير علي الصليحي حب المذهب الشيعي حتى أصبح فيما بعد من أشد المتعصبين لذلك المذهب ، وأخذ الصليحي يستميل الناس اليه ويشجعهم على توطيد أقدام الفاطميين في بلاد اليمن والدعوة لهم[٥] ، فاجتمع عليه نفر كثير من جميع مناطق وقبائل بلاد اليمن[٦] ، فاتخذ بعد ذلك من منطقة مسار نقطة

---

(١) حسين بن أحمد العرشي : بلوغ المرام في شرح مسك الختام فيمن تولي ملك اليمن من ملك وامام ، القاهرة ١٩٣٩م ، ص ٢٥ .

(٢) عمارة اليمني : تاريخ اليمن ، ص ٩٦ .

(٣) وقيل اسمه عامر . انظر ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ٣/٣٤٦-٣٤٧ ؛ يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ١/٢٤٧-٢٤٨ .

(٤) العرشي : المصدر السابق نفسه ، ص ٢٤ .

(٥) محمود كامل : اليمن شماله وجنوبه تاريخه وعلاقاته الدولية ، بيروت ١٩٦٨م ، ص ١٧٦ .

(٦) مسار : جبل عال بأعلاه حصن وبه قرى ومزارع وهو أحد جبال حراز وحراز اقليم من أقاليم اليمن قرب زبيد . انظر : الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني : صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد بن علي الأكوع ، الرياض ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م ، ص ١٠٨ ؛ الحموي : معجم البلدان ، ٢/٢٣٤ .

انطلاق لتحركاته التى أخذت تتوسع تدريجيا حتى لم يبق أمامه أى عائق سوى القضاء على نجاح زعيم دولة بنى نجاح السنية[(١)] فى زبيد وتهامة ، فقام الأمير على الصليحى باهدائه جارية له جميلة الشكل كان قد أوعز اليها بالقيام بدس السم له ، فسارت على خطته وتمكنت من دس السم لنجاح فتوفى سنة ٤٥٢هـ/١٠٦٠م[(٢)] ، واستولى الأمير الصليحى بعد ذلك على زبيد[(٣)] ومنطقة تهامة ثم استولى على مدينة صنعاء التى اتخذها عاصمة لملكه[(٤)] ، كما أنه استولى أيضا على عدن وأرسل قواده الى جميع مناطق بلاد اليمن ، ومخاليفها المتبقية وذلك بغية الاستيلاء عليها مستغلا الظروف السياسية المضطربة بها والمتمثلة فى الفرقة والمنازعات القبلية بين سكانها[(٥)] ، فلم تكن بها وحدة سياسية تجمع شمل البلاد تحت لواء وقيادة واحدة بل كانت السلطة فيها موزعة بين الأمراء والزعماء

---

(١) هو مؤسس الدولة النجاحية التى كان نفوذها يشمل تهامة وزبيد وأعمالها ، وكان نجاح هذا مملوكا لشخص يدعى مرجان أحد عبيد الحسين بن سلامة من دولة بنى زياد فى تهامة اليمن، وقد تمكن مرجان من الاستيلاء على السلطة بعد أن قتل آخر أمراء بنى زياد وبعد فترة دار بين مرجان ونجاح خلاف ونزاع انتهى بمقتل مرجان واستيلاء نجاح على الحكم سنة ٤١٢هـ/١٠٢١م .
أنظر : عمارة اليمنى : تاريخ اليمن ، ص ٨٣-٨٦ ؛ العرشى : بلوغ المرام ، ص ١٤-١٥ .

(٢) محمود كامل : اليمن شماله وجنوبه ، ص ١٧٦ .

(٣) زبيد : مدينة من مدن بلاد اليمن سميت بذلك الاسم نسبة الى الوادى الذى تقع عليه ، أحدثت هذه المدينة فى أيام الخليفة العباسى المأمون . أنظر :
الحموى : معجم البلدان ، ١٣١/٣ .

(٤) المقريزى : الذهب المسبوك ، ص ٦٥ .

(٥) عمارة : المصدر السابق نفسه ، ص ١٢٣ ؛ أحمد حسين شرف الدين : اليمن عبر التاريخ ، ط٣ ، الرياض ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، ص ١٩٣ .

المتباغضين المتنافرين الذين لم يرتبطوا بالخلافة العباسية آنذاك الا برباط واحد هو اقامة الخطبة وضرب السكة باسم الخليفة [١] ، فاستغل المليحي كل هذه الظروف لصالحه واستطاع أن يستولى على جميع مدن ومناطق بلاد اليمن [٢] وأقام الخطبة على منابر مساجد اليمن للخليفة الفاطمي المستنصر بالله [٣] ، وأصبح من دعاة الفاطميين المخلصين لهم والمتحمسين لنشر مذهبهم الشيعي [٤] ، وأدرك الخليفة الفاطمي المستنصر بالله صدق ولاء الأمير المليحي له واخلاصه للخلافة الفاطمية فبعث له الرايات والألقاب وبارك له بولايته على بلاد اليمن [٥] ، وقد بلغ من ثقة الخليفة المستنصر به واطمئنانه لولائه واخلاصه للدولة الفاطمية أن منحه لقب "الأمير الأجل شرف المعالي تاج الدولة سيف الامام المظفر في الدين نظام المؤمنين" [٦] .

ولم يكن اهتمام المليحي مقصورا على بلاد اليمن فحسب بل كان ينظر الى ماوراء حدود بلاده ، وبالأخص الى بلاد الحجاز والأراضي المقدسة أقرب البلاد من اليمن ، وأهمها في نظر المسلمين كافة ، وأحوجها الى استقرار الحكم وحسن

---

(١) حسين بن فيض الله الهمداني ، وحسين سليمان محمود : المليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ، القاهرة ، ١٩٥٥م ، ص ٦٣ .

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ٦/٢٤٢-٢٤٣ .

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٨/٧٣-١٢٩ .

(٤) أبو الفدا : المختصر ، ٢/١٨١-١٨٢ ؛ يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ١/٢٥٣ .

(٥) ابن الحسين : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها ؛ ماجد : السجلات المستنصرية ، سجل رقم ٢ ، ص ٣٢-٣٣ ؛ حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٢٣٩-٢٤٠ ؛ حياة عبد القادر المرسي : دور السيدة الحرة أروى بنت أحمد المليحي في اليمن ، رسالة ماجستير جامعة الملك عبد العزيز ١٣٩٩/١٤٠٠هـ ، ص ٦٤ .

(٦) ماجد : المرجع السابق نفسه ، ص ٣٢ ؛ حسن ابراهيم حسن المرجع السابق نفسه والصفحة نفسها .

الادارة فيهـا [١] ، ولـم يمنعـه من تحقيق ذلك سوى تلقى الأوامر والموافقـة مـن الخلافة الفاطمية ، وقد جاءته تلك الموافقة مـن الخليفـة المستنصر الذى رأى أنه خير عون له فى تثبيت السيادة الفاطمية على بلاد الحجاز ، فحينما تدهورت الأوضاع الداخليـة بمكة عقب سقوط الامارة الموسوية سنة ٤٥٣هـ/١٠٦١م [٢] خشى المستنصر ضياع نفوذ وسيادة الفاطميين على مكة المكرمة ورأى ضرورة الاسراع لاعادة نفوذه الذى كان قد فقده أثناء حكم بنى أبى الطيب بمكة [٣] ، ولقد أدرك الخليفة المستنصر أن أى تحرك عسكرى فاطمى الى مكة يحتاج لفترة طويلة حتى يصل اليهـا ، لذلك عهد الى داعية فى اليمن الأمير على بن محمد الصليحى بالتوجه الى مكة واعادة السيادة الفاطمية عليها مـن جديد ، واقامـة الخطبـة على منابرها باسمه [٤] ، والقيام بتنظيم أمورها الداخلية ، وتعيين أسرة جديدة فى امارتها تكون موالية للفاطميين ومخلصة لهم [٥] ، فسارع الصليحى لتنفيذ تلك الأوامـر الفاطمية بكل تقبل ووفاء ، فاتجه الى مكة فى السادس مـن شـهر ذى الحجة سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٣م [٦] واستطاع أن يدخلهـا دون أن يجد أى مقاومـة تذكـر من أمرائها بنى أبى الطيب وقضى فرض الحج ومعه ملوك اليمن وزعماؤها ، وانتزع

---

(١) الهمدانى ، ومحمود : الصليحيون والحركة الفاطمية ، ص ٨٨ .

(٢) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٤٦٦/٢-٤٦٧ .

(٣) السباعى : تاريخ مكة ، ٢٠٢/١ .

(٤) ابن الجوزى : المنتظم ، ٢٣٢/٨ ؛ أبو محمد عبد الله الطيب أبى مخرمه : تاريخ ثغر عدن ، ٢/ ١٦١ ؛ سرور : النفوذ الفاطمى ، ص ٧٩ ؛ حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٢٤٠-٢٤١ .

(٥) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ٢٦٨/٢ ؛ السباعى : تاريخ مكة ، ٢١٣/١ .

(٦) ابن الجوزى : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها ، ابن كثير : البداية والنهاية ، ٩٠/١٢ .

امارة مكة من بنى أبى الطيب ، وأصلح الأمور المضطربة بها ، وقام بانفاق كثير من الأموال والصدقات على أهالى مكة وأظهر العدل والاحسان ، وعمل على استمالة قلوب أهالى مكة والحجاج الموجودين بها فى تلك الفترة الى جانبه بما امتلك من الأموال [١] ، وقام ببعض الأعمال الخيرية التى عادت على أهالى مكة بالخير والمنفعة [٢] ، ثم أخذ يعمل على تحقيق الهدف الأساسى الذى قدم من أجله فأقام الخطبة على منابر مساجد مكة والمشاعر المقدسة للخليفة الفاطمى المستنصر بالله [٣] ، وضمانا لاستمرارية الخطبة للفاطميين فقد حرص المليحى على أن تتولى امرة مكة أسرة جديدة تكون موالية للخلافة الفاطمية فوقع اختياره على الأمير محمد بن جعفر بن أبى هاشم الذى ينتسب الى أسرة من أسرات الأشراف وتعرف باسم الهواشم ، وعلى الرغم من أن المصادر التى بين أيدينا قد تجاهلت الأسباب التى أودت بالمليحى الى أن يقوم بتعيين تلك الأسرة بالذات فى امارة مكة ، الا أن ذلك ربما يكون بسبب قرابة الأمير محمد بن جعفر للموسويين أمراء الأسرة السابقة التى كانت مخلصة وموالية للفاطميين ، فقد كان زوج ابنة شكر بن أبى الفتوح الذى اشتهر عنه موالاته وحسن علاقته بالفاطميين [٤] فظن المليحى أن الأمير محمد بن جعفر سيرث من الأسرة

---

(١) الفاسى : شفاء الغرام ، ٣٦١/٢ ؛ الجزيرى : الدرر الفرائد ، ٥٤٨/١ ؛ الهمدانى : المليحيون والحركة الفاطمية ، ص ٩١ .

(٢) ولمزيد من المعلومات عن أوضاع مكة الأمنية والاقتصادية فى عهد المليحى راجع الفصل الأول ص ٦٢-٦٣.

(٣) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٤٦٨/٢ .

(٤) الفاسى : العقد الثمين ، ٤٣٩/١-٤٤٠ ؛ الزيلعى : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ٦٦، ولمزيد من الايضاح حول أسباب اختيار المليحى للأمير محمد بن جعفر راجع الفصل الأول ص ٦٥-٦٦.

الموسوية اخلاصها للدولة الفاطمية بمصر .

وعلى الرغم من ذلك فقد اشترط المليحى على الأمير محمد بن جعفر أن يكون مواليا للفاطميين وحريصا على الدعوة لهم على منابر مكة والمشاعر المقدسة طوال عهده (١) ، وقد رحب الأمير محمد بن جعفر بقبول ذلك الشرط ، ولكى يضمن المليحى بقاء تلك الخطبة بمكة فقد قام بتجهيز الأمير محمد بن جعفر بكل مايحتاجه فى شؤون امارته من مال ورجال وخيل وسلاح (٢) وذلك ليصبح مؤهلا للدفاع عن مكة من أى عدوان خارجى ربما قد يستهدف ازالة السيادة الفاطمية عنها ، وعلى الرغم من أن الأمير محمد بن جعفر قد أعلن وتعهد للأمير المليحى بأنه سيظل مواليا ومخلصا للفاطميين والمليحيين الا أنه سرعان مانقض تلك الوعود والعهود ، فبمجرد خروج المليحى من مكة أخذ الأمير محمد بن جعفر يفكر فى توسيع نفوذ امارته حتى تشمل أكبر جزء من الأراضى الحجازية ، فكانت الشرارة الأولى التى أشعلت نار الفرقة والخلاف بين الدولة المليحية فى اليمن وبين امارة مكة فى عهد الهواشم هو ذلك الاعتداء الذى قام به الأمير محمد بن جعفر على بعض الأراضى اليمنية التابعة للحكومة المليحية آنذاك فقد هجم على مدينة حلى بن يعقوب واستولى على مابها من متاع وأملاك للأمير المليحى وصادرها وذلك سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٣م (٣) ، وكان الأمير محمد بن جعفر قد اختار تلك المنطقة بالذات نظرا لما اشتهرت به من خصوبة

---

(١) محمود كامل : اليمن شماله وجنوبه ، ص ١٦٩ .

(٢) ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص ٣٠٦-٣٠٧ ; دحلان : أمراء البلد الحرام ، ص ٣١ .

(٣) ماجد : السجلات المستنصرية ، ص ٤٠ .

التربة وصلاحية أرضها للزراعة وخاصة زراعة الحبوب لذلك استولى عليها[1] وقام بطرد النائب المليحى الموجود بها وذلك مما أظهر غضب واستياء الأمير على المليحى الذى شكا هذا الأمر الى امامه بمصر الخليفة الفاطمى المستنصر بالله[2] فأجابه بسجل هدأ فيه روعه وغضبه حيث قال له :"وتصف استشراق متولى مكة - حرسها الله - الى حلى لمالك من الأمتعة والأقوات ، فانك تستخير الله تعالى وتتوخى له مقدما للاعذار واللين فى المقال ان نجح أو أثر ، والاحاكمته الى الله وهو خير الحاكمين"[3] .

وعلى الرغم من أن المليحى قد انصاع للأوامر الفاطمية الا أنه كان مصمما على ابعاد الأمير محمد بن جعفر عن امارة مكة ولكنه لايستطيع تحقيق ذلك الا بموافقة امامه الخليفة المستنصر بمصر الذى لايؤيد محاربة ابن جعفر طالما انه يقيم الخطبة على منابر مكة للخلافة الفاطمية ، ولكنه فى عام ٤٥٨هـ/١٠٦٥م قطع الأمير محمد بن جعفر الخطبة عن الخليفة الفاطمى المستنصر بالله وأقامها للخليفة العباسى القائم بأمر الله[4] ، فاستغل المليحى تلك الفرصة ليحصل من امامه على الاذن بمحاربة ابن جعفر[5] ، فأرسل الى مصر فى نفس العام وفدا يتكون من القاضى عمران بن الفضل ، ونجيب بن

---

(١) الزيلعى : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ٥٧-٦٧ .
(٢) الهمدانى : الصليحيون والحركة الفاطمية ، ص ٩٣ .
(٣) ماجد : المرجع السابق نفسه والصفحة نفسها .
(٤) القلقشندى : صبح الأعشى ، ٢٧٠/٤ .
ولمزيد من المعلومات حول أسباب تحول الأمير محمد بن جعفر للعباسيين انظر ص١٤٨- ١٥٠.
(٥) محمد بن أحمد العقيلى : تاريخ المخلاف السليمانى ، ١٠٢/١ .

غفير ويوسف بن محمد وعنتر بن غشم ، وذلك لاقناع الخليفة الفاطمى المستنصر بأن يسمح للمليحي بالتوجه الى مكة ليطهر نفسه من دنس الدنيا ، ويقضى على الفساد الذى حل بالحرم العظيم ، ويقوّم مناره ، ويقيم للعدل عماده ، ويُعمّر طرقه للسفر ، ويطهرها من المفسدين (١) .

ولم يكن هناك مايمنع المستنصر من الموافقة على طلب المليحى طالما أن الأمير محمد بن جعفر قد حول ولاءه للخلافة العباسية (٢) ، فصدرت الموافقة من الخليفة المستنصر سنة ٤٥٩هـ/١٠٦٦م ولكنه اشترط على المليحى أن يقوم بمعالجة الأمور بكل حكمة وروية كما أمره بتجنب الحروب والمعارك داخل البلد المقدس وحثه على فعل الخير بها ، وتجنب الفتن والمشاكل ما استطاع الى ذلك سبيلا حيث بعث اليه سجلا تضمن كل ذلك ومما جاء فيه :"وحقيق أن يقيض الله اصلاحه ـ وهو خير البقاع ـ على يديك وانت خير من لحظته عين الامامة بالاصطناع . سوى أن أمير المؤمنين يشفق من وقوع جرح على جرح .... بتصدى قوم لقتالك ، اذا رأوك عليه مطلا فيحدث حادث فساد ، قتالا وقتلا ، ومايؤثر أمير المؤمنين أن يوجد من ذلك مثقال ذرة ، ولاينال طالبينا خامة وخز ابرة . وان أمكنك ذلك المكان ، بتأليف القلوب ، وتجنب سورة الحروب ، فوابرد ذلك على الأكباد ، انه لآية المراد ، وغاية قصد القصاد" (٣) .

---

(١) الهمدانى : المليحيون والحركة الفاطمية ، ص ٩٦-٩٧ .
(٢) الزيلعى : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ٦٨ .
(٣) الهمدانى : المرجع السابق نفسه ، والصفحة نفسها ؛ الزيلعى : المرجع السابق نفسه والصفحة نفسها .

ولم يتباطأ المليحى لحظة واحدة فى تحقيق الأوامر الفاطمية لذلك نجده حال تلقيه تأييد الخليفة الفاطمى له بدأ فى التجهز للمسير الى مكة المكرمة حيث قام بتجهيز قوة كبيرة مكونة من ألفى فارس وغادر بها اليمن فى أواخر سنة ٤٥٩هـ/١٠٦٦م (١) ، وكان قبيل مغادرته لليمن قد استخلف عليها ابنه المكرم أحمد وعهد اليه برعاية شؤون البلاد (٢) ، ثم اصطحب معه الى مكة جميع ملوك وأمراء بلاد اليمن الذين استولى على بلادهم وذلك خوفا من تآمرهم على ابنه المكرم بعد توجهه الى مكة (٣) ، كما اصطحب معه أيضا زوجته أسماء بنت شهاب وعددا من أفراد أسرته (٤) ، فلما وصل المليحى الى قرية المهجم (٥) وهو فى طريقه الى مكة نزل فى ضيعة يقال لها أم الدهيم (٦) ، فنصب خيامه بها وأحاط حوله العساكر والملوك

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ، ٩٦/١٢ ؛ شمس الدين أبو الحسن على الخزرجى : العسجد المسبوك فيمن تولى اليمن من الملوك ، مخطوط مصور بجامعة أم القرى ، رقم ٣٤٥ ، ورقة ٦٢ ؛ المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ٢٧٤/٢ .

(٢) أبو مخرمة : تاريخ ثغر عدن ٧/٢ .

(٣) عبد الرحمن بن على بن محمد بن عمر الديبع الشيبانى : الفضل المزيد على بغية المستفيد فى أخبار مدينة زبيد تحقيق يوسف شلحد ، صنعاء ١٩٨٣م ، ص ٥٧ ؛ سعيد عوض باوزير : معالم تاريخ الجزيرة العربية ، ط١ ، ١٣٧٣هـ ١٩٥٤م ، ص ١٨٠ .

(٤) عمارة اليمنى : تاريخ اليمن ص ١٢٦-١٢٧ .

(٥) المهجم : بلدة فى تهامة تقع على وادى سردد الشهير الذى يصب فى البحر الأحمر وهى منحصرة فيما بين جبل ملحان وبلدة الزيدية ، وأكثر سكانها من خولان . انظر : الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٥٧ ؛ الحموى معجم البلدان ، ٢٢٥/٥ ؛ الخزرجى : المصدر السابق نفسه ، ص ١٣٨ .

(٦) أم الدّهيم : موضع قرب المهجم وهى من أعمال زبيد . انظر : ابن الحسين : غاية الأمانى ، ص ٢٥٦ .

الـذين جـاءوا معه (١) ، وكان سعيد بن نجاح يراقب جميع تحركات الملـيحـى منذ فترة طويلة فلما علم بتوجهه الى مكة المكرمة عـزم عـلى مواجهته والقضاء عليه فأخذ يترصد له فى الطريق المؤدى الـى مكـة ، فحينما علم بنزوله بالمهجم وعرف مكان معسكره هاجمه عـلى حين غفلة من جنوده الذين كانوا معه (٢) ، وتمكن من الدخول الى الخيمة التى يوجد بها الأمير الملـيحـى وقـام بقتلـه وأخويـه عبد الـلـه وابـراهيـم اللذين كانـا يرافقانـه فـى السـفر (٣) ، واسـتولى بعـد ذلـك على جميع أملاك الملـيحـى التى كان يحملها معه الى مكة ، وقام بأسر الملكة أسماء بنت شهاب زوجة على الملـيحى وأم ابنه المكرم أحمد ، فاستولى سعيد بن نجاح بعد ذلك على زبيد واتخذها مقرا له (٤) .

---

(١) ابـن المجـاور : صفـة بـلاد اليمـن ، ١/٧٥ ؛ الفاسى : العقد الثمين ، ٦/٢٤٢-٢٤٣ .

(٢) سـعيد بـن نجـاح : هو ابن نجاح مؤسس الدولة النجاحية الـذى اغتالـه الملـيحـى بالسـم الـذى دسـه لـه بواسطة الجاريـة التـى أهداها له وذلك سنة ٤٥٢هـ/١٠٦٠م فلما قتـل نجـاح هـرب ولداه سعيد الملقب بالأحول وجياش الى الحبشـة وأخـذا يترقبـا الفـرص للثـأر من آل الملـيحـى لاعـادة ملكهم المسلوب منهم ، وقد تمكن سعيد من اعادة ملكـهم بعد قتله للملـيحـى ، ولكن الحرة الملـيحية زوجة المكـرم قـد تمكـنت مـن القضـاء عليه بخطة رسمتها هى ووالـى منطقـة الشـعر ـ أحـد مناطق زبيد ـ حيث أغراه بـالقدوم اليه لتسليمه جبل الشعر ، فانخدع سعيد وقدم اليـه فقتـل وذلك سنة ٤٨٢هـ/١٠٨٩م وعادت زبيد الى آل الملـيحـى من جديد .
انظـر : عمـارة : تـاريخ اليمـن ، ص ١٩٢-٢٠٣ ؛ ابـن العمـاد الحنبلى : شذرات الذهب ، ٣/٣٤٧-٣٤٨ ؛ محمود كامل : اليمن شماله وجنوبه ، ص ١٦٢ .

(٣) عمـر بـن عـلى بن سمرة الجعدى : طبقات فقهاء اليمن ، تحقيـق فـؤاد سيـد ، ط١ ، بيـروت ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، ص ٨٨ .

(٤) يحـيى بن الحسين : غاية الأمانى ، ١/٢٥٦-٢٥٧ ؛ العرشى بلوغ المرام ، ص ١٥-١٦ .

أمـا الأمير محمد بن جعفر فقد كان يتوقع هجوم المليحى عليه بين الحين والآخر ، وبالرغم من ذلك فاننا لانجد ذلك الأمير يقوم بأى تجهيزات عسكرية لمقاومة القوات اليمنية القادمة الى بلاده ، ولعله أدرك أن قوات المليحى لايمكن لأى قوة أن تقف فى وجهها فعزم على الاستسلام ، ولكن خبر مقتل المليحى قد وصل الى مسامعه فسر كثيرا لأنه قد استراح من ذلك الخطر الذى كاد يقضى على نفوذه وامارته بمكة المكرمة .

العلاقات المكية الصليحية في عهد الأمير المكرم أحمد بن علي الصليحي .

لقد ورث الأمير المكرم أحمد ملك بلاد اليمن بعد مقتل أبيه مباشرة (١) ، وقد جاءت ولايته هذه متزامنة مع تلك الأزمة الاقتصادية التي حلت ببلاد مصر في عهد الخليفة الفاطمي المستنصر بالله (٢) ، فأصبحت الخلافة الفاطمية في تلك الفترة عاجزة عن الوفاء بالتزاماتها تجاه أمراء الحجاز ، وذلك مما أقلق الخليفة الفاطمي المستنصر بالله كثيرا ، حيث انه قد خشي على فقدان سيادته ونفوذه بمكة المكرمة ، لأنه أدرك أن عدم وصول النفقات والأعطيات الى أمير مكة كفيل بأن يحول ولاءه الى جهة أخرى تدعمه وتمده بكامل مستلزماته واحتياجاته المادية ، وبالتالي فانه سيقوم بقطع علاقته بالخلافة الفاطمية (٣) ، فأراد أن يتدارك الأمر قبل فوات الأوان فأصدر سجلا (٤) الى حاكم اليمن في تلك الفترة الأمير المكرم أحمد بن علي الصليحي يطلب منه أن يقوم نيابة عنه بصرف جميع الرسوم المستحقة لأمراء الحرمين الشريفين (٥) ، ولكن ظروف

---

(١) عمارة : تاريخ اليمن ، ص ١٢٨-١٢٩ ؛ الخزرجي : العسجد المسبوك ، ورقة ٦٣ .

(٢) المقريزي : اتعاظ الحنفا ، ٢/٢٩٦-٢٩٧ ، ولمزيد من المعلومات عن تلك الأزمة انظر ص ١٥٠.

(٣) ماجد : السجلات المستنصرية ، سجل رقم ٦٢ ، ص ٢٠٢-٢٠٣؛ الزيلعي : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ٧٢ .

(٤) السجل : كتاب العهد والجمع سجلات ، وقيل السجل الكاتب وقيل سجل له ، وقيل السجل ملك ، وقيل السجل بلغة الجيش الرجل ، وقيل السجل هو الكتاب الكبير والمقصود بالسجل هنا هو الخطاب أو الكتاب . انظر :
أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور : لسان العرب ، ط١ ، القاهرة ١٣٠٢هـ ، ١٣/٣٤٧ .

(٥) ماجد : المرجع السابق نفسه والصفحة نفسها .

بلاد اليمن السياسية فى تلك الفترة ، والمتمثلة فى صراع الأمير المكرم أحمد مع أبناء نجاح (سعيد وجياش) اللذين كانا يشكلان مصدر قلق وخطر للدولة الصليحية فى تلك الفترة هى التى حالت دون تحقيق المكرم للأوامر الفاطمية وجعلته لايلتزم بارسال تلك الرسوم الى مكة (١) ، لأن مثل هذه الصراعات والحروب التى يخوضها المكرم مع آل نجاح تستنزف منه أموالا كثيرة ، فربما يكون قد أراد الاحتفاظ بما لديه من أموال وذلك ليقوم بانفاقها على حربه مع أعدائه المتربصين به ، ثم قام الخليفة الفاطمى المستنصر بالله بعد ذلك بارسال سجل آخر للمكرم أحمد سنة ٤٦١هـ/١٠٦٨م وحثه فيه على سرعة ارسال الرسوم المستحقة لأهالى وأمراء الحرمين الشريفين (٢) ، وقد جاء فى هذا السجل "كان قد نفذ اليك من حضرة أمير المؤمنين سجل مفرد فيما يتعلق بالحرمين المحروسين ، واعلامك أن الحوادث الشاغلة للصدور ، القاضية باختلاف كلمة الجمهور ، صدّت عن سوق رسومها ورسوم أرباب الرسوم بها اليهم ، وأنّ تأخرها أضر بهم وكبر عليهم ، ورسم أمير المؤمنين لك أن تلمظهم بنفقة من عندك يتمزّزون بها الى حين وقوع الامكان من حمل رسومهم اليهم ، وقد جدّد أمير المؤمنين الاذكار لك فى سجله هذا بحمل عشرة آلاف دينار اليهم لتنفق على الحرمين المحروسين ، وأرباب الرسوم لكل على قدره ، واشعارهم بكون ذلك محمولا بأمر أمير المؤمنين لك فيه ، وصدر رأيه فى تقديمه باذن الله (٣) " .

---

(١) عمارة اليمنى : تاريخ اليمن ، ص ١٢٨-١٣٦ ؛ الزيلعى : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ٧٢ .
(٢) ماجد : السجلات المستنصرية ، ص ٢٠٢ .
(٣) ماجد : المرجع نفسه ، سجل رقم ٦٢ ، ص ٢٠٢-٢٠٣.

ولكن الأمير المكرم احمد لم يقم ايضا بارسال تلك الرسوم الى أمير مكة . ومما يؤكد ذلك ماذكر من أن الأمير محمد بن جعفر حينما يئس من عدم وصول النفقات والمعونات المصرية اليه في تلك الفترة (١) قام بقطع الخطبة بمكة عن الخليفة الفاطمي المستنصر بالله واقامها للخليفة العباسى القائم بأمر الله وذلك سنة ٤٦٢هـ/١٠٦٩م (٢) .

غير أن المصادر التاريخية التى بين ايدينا لاتشير بعد ذلك الى اى اتصال بين امارة مكة واليمن وذلك طوال الفترة التى اعقبت وفاة الأمير محمد بن جعفر سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م وحتى عهد الأمير هاشم بن فليتة (٥٢٧ – ٥٤٩هـ/١١٣٢ – ١١٥٤م) الذى ساءت العلاقات المكية الصليحية فى عهده وذلك لأن الأمير هاشم قد أقام الخطبة للخليفة الفاطمى الحافظ لدين الله (٣) وذلك ماأثار غضب واستياء حاكمة اليمن فى تلك الفترة السيدة الحرة الصليحية (٤) ، لأنها كانت تقيم الخطبة على منابر اليمن

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ، ١٠٣/٤ .

(٢) ابن خلدون : العبر ، ١٠٣/٤ ؛ الفاسى : العقد الثمين ، ٤٤٠/١-٤٤١ .

(٣) سرور : النفوذ الفاطمى فى جزيرة العرب ، ص ٢٤ .

(٤) اسمها أروى بنت أحمد بن محمد بن القاسم الصليحية ولدت سنة ٤٤٤هـ/١٠٥٢م ، وكانت زوجة الصليحى اسماء بنت شهاب قد تولت تربيتها وتأديبها ، فلما كبرت وترعرعت تزوجها المكرم أحمد بن على الصيحى سنة ٤٦١هـ/١٠٦٨م وقامت بمشاركة زوجها المكرم فى تدبير شؤون الدولة منذ توليه للحكم حتى وفاته سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م وكان قبيل وفاته قد قلدها الحكم واستمرت حاكمة فى بلاد اليمن حتى وفاتها سنة ٥٣٢هـ/١١٣٧م وكانت الحرة قد اشتهرت بالأدب والمعرفة والدهاء وسمو التفكير وسداد الرأى ، وكان لها محاسن وأعمال خيرية كثيرة فى بلاد اليمن وبموتها انقرض ملك بنى الصليحى فى اليمن .
انظر : عمارة اليمنى : تاريخ اليمن ، ص ١٣٧-١٥٠ ؛ العرشى : بلوغ المرام ، ص ٢٦-٢٧ ؛ محمود كامل : اليمن شماله وجنوبه ، ص ١٦٩،١٧٠،١٧١ ؛ حياة المرسى : دور السيدة الحرة فى اليمن ، ص ٧٠-٧٦ .

للامام الطيب بن الخليفة الآمر الفاطمي وكانت لاتعترف بخلافة الحافظ لدين الله واعتبرت امامته باطلة لعدم تمتعه بصفة الامامة التي يجب توافرها في الخلفاء الفاطميين (١) ، فارسلت الحرة الى امير مكة هاشم بن فليتة خطابا تطلب منه أن يقوم بقطع الخطبة بمكة عن الخليفة الحافظ لدين الله وذلك لعدم صحة امامته ، وقد شمل كتابها ذلك التهديد والوعيد للأمير هاشم اذا لم يقم بتنفيذ أوامرها (٢) لأنها كانت تأمل من وراء هذا التهديد أن يحذو امير مكة حذوها في اقامة الدعوة للطيب بن الخليفة الآمر (٣) ، ويبدو أن الحرة قد أرادت أن تسير على نفس سياسة الصليحي تجاه أمراء مكة فقد اتخذت مع الأمير

---

(١) حدثت تلك الفتنة بمصر سنة ٥٢٤هـ/١١٢٩م وذلك لأن الخليفة الآمر قد أنجب ولدا أسماه أبا القاسم الطيب وجعله وليا لعهده ، فلما قتل الخليفة في ذلك العام أخفى الأمير عبد المجيد بن محمد بن المستنصر ـ الذي لقب بالحافظ لدين الله ـ أمر ذلك الصبي ،وبايعه الناس بولاية العهد على أن يكون كفيلا للطفل المرتقب ، غير ان الوزير ابو علي أحمد بن الأفضل قام باعتقال الحافظ وظل في سجنه حتى قتل ذلك الوزير سنة ٥٢٦هـ/١١٣١م فأخرج من السجن وتولى الخلافة من جديد ومن هنا بدأ الشقاق والخلاف فانقسم الاسماعيلية الى فرقتين فرقة ترى صحة امامة الحافظ وتعرف باسم الحافظية ، والفرقة الأخرى ترى ان الحافظ مغتصب للخلافة من الطيب ولد الآمر وقد عرفت هذه الفرقة بالطيبية ،وكانت ملكة اليمن الحرة تتبع تلك الفرقة وترى أن الحافظ مغتصب للخلافة لأنها كانت قد تلقت خطابا من الآمر يبشرها فيه برزقه بمولود سيكون ولي عهده وأنه قد أسماه الطيب فاتهمت الحرة الحافظ باغتصاب الخلافة وانتشرت الشيعة الطيبية في اليمن وبلاد الهند .
انظر : ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ٢٣٩/٥ ؛ سرور : المرجع السابق نفسه والصفحة نفسها ، محمد حمدي المناوي : الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي ، القاهرة ١٩٧٠م ، ص ١٣٨،١٣٩،١٤٠ .

(٢) ابن خلدون : العبر ، ١٠٤/٤ ؛ مورتيل : الأحوال السياسية بمكة ، ص ٢٩ .

(٣) حياة المرسي : دور السيدة الحرة في اليمن ، ص ٢١٠ .

هاشم أسلوب القوة والشدة والتهديد ، وذلك لكى يحقق لها مطالبها وأوامرها ، ولكنها مالبثت أن توفيت سنة ٥٣٢هـ/١١٣٧م (١) فكفى الله أمير مكة شر هذه الفتنة التى كادت أن تقضى على نفوذ الهواشم بمكة المكرمة (٢) .

وبوفاة السيدة الحرة زالت وانقرضت الدولة المليحية فى اليمن بعد أن حكمت قرنا كاملا من الزمن (٣) .

ولم تذكر لنا المصادر التى بين أيدينا أى اتصال تم فيما بعد بين أمراء الهواشم الذين جاءوا بعد هاشم بن فليتة وبين حكام الدويلات التى ورثت ملك الدولة المليحية فى اليمن (٤) حتى سنة ٥٦٩هـ/١١٧٣م وهى السنة التى قدم فيها توران شاه أخو السلطان صلاح الدين الأيوبى الى بلاد اليمن واستولى عليها (٥)، وبدأت منذ تلك الفترة اتصالاته هو ومن جاء بعده من الحكام الايوبيين بمكة المكرمة وبامراء الهواشم الذين أصبحوا تحت اشراف الدولة الأيوبية فى ذلك الوقت (٦) .

---

(١) العرشى : بلوغ المرام فى شرح مسك الختام ، ص ٢٧ .

(٢) ابن خلدون : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها ؛ سرور : النفوذ الفاطمى ، ص ٢٤ .

(٣) العرشى : المرجع السابق نفسه والصفحة نفسها ، محمود كامل : اليمن شماله وجنوبه ، ص ١٧١ .

(٤) وهذه الدويلات هى دولة بنى زريع فى عدن ، ودولة بنى حاتم فى صنعاء ، ودولة بنى مهدى فى زبيد ، وقد انقرضت كل هذه الدول بقدوم توران شاه الأيوبى الى اليمن سنة ٥٦٩هـ/١١٧٣م .
انظر : محمود كامل : المرجع السابق نفسه ، ص ١٧٥ .

(٥) الفتح بن على البندارى : سناء البرق الشامى ، تحقيق فتحية النبراوى ، القاهرة ١٩٧٩م ، ص ٢٤-٢٥ .

(٦) انظر الفصل الثالث ص ٢١٠ - ٢٢٠ .

(ب) علاقة الهواشم بالخلافتين العباسية ببغداد والفاطمية بمصر

(أ) ظهور التنافس بين الخلافتين العباسية والفاطمية على السيادة بمكة المكرمة .

(ب) أمراء الهواشم وعلاقتهم بالخلافتين العباسية والفاطمية .

(ج) علاقة أمراء مكة بالعباسيين بعد سقوط الخلافة الفاطمية بمصر .

(أ) ظهور التنافس بين الخلافتين العباسية والفاطمية على السيادة بمكة المكرمة

لقد تميز العهد المكى فى الفترة التى سبقت قيام الخلافة الفاطمية بمصر بالولاء التام والمطلق للخلافة العباسية ببغداد ، فكانت الخطبة على منابر مكة من نصيب الخليفة العباسي وحده لاينافسه عليها منافس . (١)

ولكن الأمور قد تغيرت وتبدلت حينما تمكن القائد الفاطمى جوهر الصقلى من الاستيلاء على بلاد مصر وتخليصها من النفوذ الاخشيدى سنة ٣٥٨هـ/٩٦٨م . فمنذ تلك الفترة بدأ الفاطميون يتطلعون الى مد نفوذهم خارج البلاد المصرية ، وقد بات اهتمامهم واضحا بمد نفوذهم وسيادتهم على بلاد الحجاز لما لها من أهمية دينية كبيرة فى نفوس المسلمين وذلك لوجود الحرمين الشريفين بها ، ولاشك أن ذلك الاهتمام سيفتح صفحة جديدة فى تاريخ بلاد الحجاز وسيكون سببا فى ابراز ظاهرة جديدة فى التاريخ الاسلامى وهى التنافس بين الخلافتين العباسية ببغداد والفاطمية بمصر فى محاولة فرض سيادة كل منهما على بلاد الحرمين الشريفين مكة والمدينة واقامة الخطبة على منابرهما لكل من الخليفتين العباسى أو الفاطمى ، (٢) وذلك لادراكهما أنه لايمكن اضفاء الصفة الشرعية المطلقة على الخلافة الا بضم الحرمين الشريفين لكل منهما وذلك لما لهما من مكانة فى نظر المسلمين تنم عن اجلال وتقدير الشعوب الاسلامية للخليفة الذى يقوم برعاية هذين

---

(١) ابن خلدون : العبر ، ١٠١/٤ ؛ القلقشندى : صبح الاعشى ٢٦٨/٤ ؛ عائشة عبد الله باقاسي : بلاد الحجاز فى العصر الأيوبي ، ط١، مكة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ، ص ١٩ .

(٢) القلقشندى : مآثر الانافة ، ٣٤٦/١-٣٤٧ ، الفاسى : العقد الثمين ، ٤٤٢/١ ، المالكى : بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف ، ص ٣٠-٣١ .

الحرمين والاشراف عليهما [(١)] .

كما أن الخليفتين العباسى والفاطمى قد أدركا أن الخطبة والدعاء لاى منهما ستكون رمزا للشرعية التى تكتسبها الخلافة نفسها . وان السيادة على الحرمين تعنى السيادة على العالم الاسلامى ككل فكان ذلك هو الدافع لظهور مبدأ التنافس بين الخلافتين العباسية والفاطمية على بلاد الحجاز ، وقد اتضح حرص واصرار الخلفاء الفاطميين على كسب ذلك التنافس لصالحهم حتى يثبتوا للعالم الاسلامى فى ذلك الوقت شرعية خلافتهم واحقيتهم فى رعاية الحرمين الشريفين [(٢)] . ولعل ذلك لم يكن هو الهدف الوحيد الذى كانت تسعى اليه الخلافة الفاطمية وانما كانت تحرص أيضا على وضع تلك المنطقة تحت اشرافها وسيادتها حتى تتمكن من حماية مصالحها التجارية فى البحر الأحمر الذى تتحكم بلاد الحجاز فى ساحله الشرقى [(٣)] .

ولم يكن هذان الخليفتان العباسى والفاطمى هما الطرفين الوحيدين فى تلك المنافسة وانما كان هناك طرف ثالث تمثل فى امراء مكة الحسنيين سواء كان الموسويون أو الهواشم فيما بعد ، والحقيقة أن هؤلاء الأمراء هم وحدهم الكاسبون للجولة وهم المستفيدون من ذلك التنافس الذى وجدوه فرصة ووسيلة لتحقيق رغباتهم واشباع مطامعهم فقد اشترطوا على الخلافتين انه لن تكسب احداهما الجولة حتى تدفع لهم اكبر مبلغ من الأموال والصلات والهدايا [(٤)] ، ولايمكن

---

(١) سرور : النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب ، ص ٢٦-٢٧ .
(٢) المرجع نفسه والصفحة نفسها .
(٣) القوصي : تجارة مصر في البحر الأحمر ، ص ١٠٨ .
(٤) الفاسي : شفاء الغرام ، ٣١٢/٢ ؛ آدم متز : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، نقله الى العربية محمد عبد الهادى أبو ريدة ، ط٤ ، بيروت ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م ٢٣/١-٢٤ .

أن تقام الخطبة لأى من الخليفتين فوق منابر مكة والمشاعر المقدسة وقت فريضة الحج ، ولايرفع شعار كل منهما ولايسمح بتعليق الكسوة التى يرسلها كل منهما الى الكعبة المشرفة – وهذه مظاهر السيادة على الحرمين فى تلك الفترة – حتى يؤدى ماعليه من التزامات مالية ومساعدات عينية لهم ولفقراء مكة المكرمة (١) .

وكان تحقيق تلك السيادة يعتمد على مدى قوة كل من الخلافتين فى التغلب على ظروفها السياسية والاقتصادية (٢) ، وعلى الرغم من تلك المكاسب العظيمة التى حققها أمراء مكة من جراء ذلك التنافس الا أن أهالى مكة المكرمة قد دفعوا الثمن غاليا فقد عانوا الكثير من جراء المجاعات وغلاء الأسعار وذلك بسبب الحصار الاقتصادى الذى عادة ماتفرضه الخلافة الفاطمية على مكة وقت اقامة الخطبة بها للعباسيين (٣) هذا عدا ماكانت تتعرض له بيوتهم من النهب والسلب والهدم والاحراق وذلك بسبب مخالفة وعصيان أمراء مكة لأى من الخلافتين فتحدث بينهم الاشتباكات التى تؤدى حتما الى اضطراب الأمن فى البلاد (٤) . ولم يكن حجاج بيت الله الحرام اقل ضررا من سكان مكة فقد تعرض هؤلاء الحجاج وخاصة القادمين من

---

(١) أحمد السيد دراج : ايضاحات جديدة عن التحول فى تجارة البحر الأحمر منذ مطلع القرن التاسع الهجرى ، (مقال بمجلة الجمعية المصرية التاريخية ، القاهرة ١٩٦٨م) ، ص ١٩٤-١٩٥ .

(٢) المرجع نفسه والصفحة نفسها .

(٣) ابن خلدون : العبر ، ١٠٣/٤ ؛ ابن فهد : اتحاف الورى ٤٧٠/٢ ، أحمد مختار العبادى : فى التاريخ العباسي والفاطمي ، القاهرة ١٩٨٢م ، ص ٣٤٣ .

(٤) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ١٣٧/٩-١٣٨ ؛ العصامى : سمط النجوم العوالى ، ٢٠٥/٤ .

بغداد والقاهرة لكثير من حوادث النهب والسلب داخل مكة والمشاعر المقدسة بل واُعتدى عليهم أحيانا داخل المسجد الحرام وذلك اثناء تاديتهم لمناسك الحج والعمرة [(١)] . فالملاحظ انه حينما تقام الخطبة على منابر مكة للخليفة الفاطمى فان ذلك مؤشرا الى أن أمير الحج العراقى والحجاج القادمين معه سيتعرضون لأشد المتاعب والمصاعب من قبل عبيد وجنود أمراء مكة الذين كانوا يسعون لارضاء الخلافة الفاطمية ، لأن الفاطميين كان يهمهم منع أمير الحج العراقى واتباعه من اقامة الخطبة فى المشاعر المقدسة للخليفة العباسى كما أن الحجاج المصريين يستعرضون للنهب والسلب وذلك وقتما تكون الخطبة بمكة مقامة للعباسيين .

أما عن بداية التنافس بين الخلافتين العباسية والفاطمية على السيادة بمكة المكرمة فقد بدا منذ أن أعلن الأمير جعفر بن محمد الموسوى قيام الدولة الموسوية بمكة المكرمة سنة ٣٥٨هـ/٩٦٨م [(٢)] فأمر فى تلك الفترة بقطع الخطبة عن العباسيين واقامتها للخليفة الفاطمى المعز لدين الله [(٣)] ، فمنذ تلك الفترة والخلفاء الفاطميون حريصون على استمالة قلوب أمراء مكة نحوهم وذلك باغداق الأموال والصلات والهدايا عليهم ليضمنوا استمرارية الدعوة والخطبة لهم بمكة المكرمة فتذكر المصادر أن الخليفة الفاطمى المعز لدين الله حينما علم باقامة الخطبة له بمكة سارع بارسال مبعوث من قبله

---

(١) ابن فهد : المصدر السابق نفسه ، ٥٠٨/٢ .
(٢) الفاسى : شفاء الغرام ، ٣٠٦/٢ .
(٣) الفاسى : العقد الثمين ، ١٨٦/١ ; ابن فهد : اتحاف الورى ، ٤٠٦/٢ .

وكلفه أن يبلغ أمير مكة شكره وامتنانه على حسن ولائه واخلاصه له (١) ، كما أرسل مع ذلك المبعوث عشرين حملا من النفقات والهدايا والصدقات وكلفه بان يقوم بتوزيعها على امراء مكة وفقرائها (٢) فبدات المنافسة بين الطرفين وبدا التذبذب يظهر واضحا من جانب امراء مكة الاشراف الذين كانوا يخطبون تارة للخليفة الفاطمي وتارة اخرى للخليفة العباسي (٣) ولكن ذلك التذبذب لم يرض الخلافة الفاطمية التى استخدمت القوة مع امراء مكة فى تلك الفترة (٤) ، واصبحت الخطبة بمكة بعد ذلك تقام لمن كانت قوته أعظم وعطاؤه اكثر ، وقد انتهى ذلك التذبذب فى عام ٣٦٨هـ/٩٧٨م حيث أن الخطبة بمكة اصبحت من نصيب الخلفاء الفاطميين وحدهم واستمر الوضع على ذلك حتى انتهت الامارة الموسوية سنة ٤٥٣هـ/١٠٦١م (٥) .

ونحن لانغالى اذا قلنا انه كان للفاطميين نصيب الاسد فى الخطبة بمكة طوال عهد الامارة الموسوية ، ولكن حينما سقطت تلك الامارة وقامت على انقاضها امارة الهواشم (٦) اتخذت علاقات مكة الخارجية طابعا جديدا حيث عاد التذبذب فى العلاقات الخارجية من جديد وذلك راجع الى الظروف السياسية

---

(١) الحمل : هو ماحمل على الدابة والجمع احمال . انظر : ابن منظور : لسان العرب ، ١٨٥/١٣ .
(٢) الفاسي : المصدر السابق نفسه ، ١٨٦/١ ؛ المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ١٢٢/١ .
(٣) ابو الفدا : المختصر في اخبار البشر ، ١١١/٢ . وعن ذلك التذبذب راجع التمهيد فى مواضع متعددة .
(٤) الجزيرى : الدرر الفرائد المنظمة ، ٥٢٧/١-٥٢٨ ؛ العصامى : سمط النجوم العوالي ، ١٩٥/٤ .
(٥) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٤١٦/٢ .
(٦) عن قيام تلك الامارة انظر الفصل الأول ، ص ٦٤ .

والاقتصادية التي كانت تعاني منها الدولة الفاطمية في تلك الفترة فكان لذلك أكبر الأثر في تطلع امراء الهواشم نحو الخلافة العباسية حتى يعوضوا نقص الأعطيات والنفقات الواردة اليهم من بلاد مصر .(١)

(١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ١٩/٥ ؛ المالكي : بلاد الحجاز ، ص ٣٦ .

(ب) أمراء الهواشم وعلاقتهم بالخلافتين العباسية والفاطمية

مؤسس امارة الهواشم الأمير محمد بن جعفر

وعلاقته بالخلافتين العباسية والفاطمية .

لقد كان للخلافة الفاطمية دور كبير فى تثبيت أسرة الهواشم فى امارة مكة المكرمة ، فقد كلف الخليفة الفاطمى المستنصر بالله داعية فى اليمن الأمير على بن محمد الصليحى (١) سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٣م بالتوجه الى مكة لاقرار الامور بها ، واعادة السيادة الفاطمية اليها من جديد (٢) ، تلك السيادة التى فقدها الفاطميون فى عهد بنى أبى الطيب الذين تولوا امارة مكة بعد وفاة الأمير شكر بن أبى الفتوح آخر امراء الموسويين ، حيث طلب الخليفة المستنصر من الأمير الصليحى أن يقصى أمراء بنى أبى الطيب عن الامارة ويعين بدلا منهم اسرة تدين بالولاء للحكومة الفاطمية،وتتكفل باقامة الخطبة للخلفاء الفاطميين على منابر مكة المكرمة (٣). فسارع الصليحى الى تنفيذ تلك الأوامر الفاطمية واستطاع أن يدخل مكة وأن يقضى على نفوذ بنى أبى الطيب،ثم اقام الخطبة للخليفة الفاطمى المستنصر بالله (٤) ، ولكى يضمن بقاء واستمرار تلك الخطبة الفاطمية فقد اخذ الامير الصليحى يبحث عن أمير جديد يتكفل ويتعهد بالمحافظة على استمرارية السيادة الفاطمية على مكة المكرمة ، فوقع اختياره على الأمير محمد بن جعفر بن أبى هاشم وعينه اميرا على مكة المكرمة (٥) ، وقبيل رحيله

---

(١) ابو مخرمة : تاريخ ثغر عدن ، ١٦١/٢ .
(٢) ابن الجوزى : المنتظم ، ٢٣٢/٨ .
(٣) القلقشندى : صبح الأعشى ، ٢٧٠/٤ ؛ العصامى : سمط النجوم العوالى ، ٢٠٠/٤ ؛ السباعى : تاريخ مكة ، ٢١٣/١ .
(٤) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ٢٦٨/٢ .
(٥) راجع الفصل الأول ، ص٦٤-٦٥ .

الى اليمن قام بتجهيز ذلك الامير الجديد بكل مايحتاجه فى شؤون امارته من مال ورجال وسلاح وعتاد وغير ذلك[(١)] ، ثم قام بعمل جميع الترتيبات اللازمة التى تكفل ضمان السيادة الفاطمية على مكة المكرمة .

ولاشك أن تلك الجهود العظيمة التى بذلها الأمير المليحى فى سبيل اعادة السيادة الفاطمية على مكة المكرمة من جديد قد أثلجت صدر الخليفة الفاطمى المستنصر بالله وجعلته يرسل سجلا الى الأمير المليحى يعلن فيه شكره وامتنانه على تلك الجهود الكبيرة وقد جاء فى ذلك السجل قوله :"وورد الى حضرة أمير المؤمنين كتاب صاحب مكة - حرسها الله - يذكر أنك شددت معه حيازيم الجد ، بالتقوية من أمره والشد ، وشهرت فى نصرته حساما ماضى الحد ، حتى عاد جموع مراكب مراده ذلولا وغرب من انتصب لعناده مغلولا . فاستقامت أحوال الحرم الشريف بمقارنة هجرتك لنصره ، وامتيار سحابه من بحرك ، وأفاض فى ثناء جميل ، وشكر جزيل أعجب أمير المؤمنين بهما ، فاهتز طربا لهما ، فلقد كان على قلبه لأجل الحرم الشريف من الفكر ، مايوفى على الذكر ، ولقد فعلت فعل الموفقين فى المقال والفعال ...."[(٢)] .

ولكن تلك الفرحة الفاطمية لم تكتمل فقد حوّل أمير مكة محمد بن جعفر بعد ذلك ولاءه للعباسيين وذلك بفضل جهود العباسيين المستميتة فى سبيل اعادة الخطبة لهم بمكة فقد رأوا ضرورة التحرك لمواجهة التحديات الفاطمية ، ومما

---

(١) الفاسى : العقد الثمين ، ١/٤٣٩-٤٤٠ ; ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص ٣٠٦-٣٠٧ .
(٢) ماجد : السجلات المستنصرية ، سجل رقم ٣ ، ص ٣٧ .

شجعهم على ذلك التحرك هو الموقف القوى الذى كانت تتمتع به الدولة العباسية فى تلك الفترة تلك القوة التى كان للاتراك السلاجقة جهود عظيمة فى تحقيقها وذلك حينما استطاع زعيمهم طغرلبك (١) أن يصلح الأمور المضطربة ببغداد وأن يقضى على الفتن والحركات السياسية الموجودة بها (٢).

ومما شجع العباسيين أيضا على التحرك لاعادة سيادتهم على مكة تلك الأزمة الاقتصادية التى واجهتها الدولة

---

(١) محمد بن ميكائيل بن سلجوق طغرلبك هو أول ملوك السلاجقة كان شجاعا حليما كريما محافظا على الطاعة وصلاة الجماعة ، كان يديم صيام يوم الاثنين والخميس ، وكان كثير الصدقات حريصا على بناء المساجد ، مرض مرضا شديدا وتوفى فى ثامن رمضان سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٣م وله من العمر سبعون عاما .
انظر : صدر الدين بن على الحسينى : كتاب أخبار الدولة السلجوقية ، صححه محمد اقبال ، ط١ ، بيروت ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ، ص ٢٢-٢٣ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ص ٩٠ .

(٢) ومن أشهر هذه الحركات حركة ارسلان البساسيرى ، وهو مملوكا تركيا للسلطان بهاء الدولة البويهى أخذ يتنقل فى وظائف الدولة حتى عينه الخليفة العباسى القائم بأمر الله قائدا لحرسه ، وأصبح من المقربين له ، ولكن علاقته بالخليفة سرعان ماساءت وذلك مما جعله يغادر بغداد ويتجه الى بلاد مصر حيث اتصل هناك بالخليفة الفاطمى المستنصر بالله وطلب منه أن يعينه على فتح بغداد لطرد السلاجقة منها ، وقد تم له ما أراد حيث استغل فرصة خروج السلطان السلجوقى طغرلبك من بغداد اثناء حروبه مع أخيه ابراهيم ، ودخل البساسيرى بغداد وأقام الخطبة بها للخليفة الفاطمى المستنصر بالله سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م ، ولكن السلطان طغرلبك سرعان ماعاد الى بغداد واستطاع أن يقضى على تلك الثورة وعلى زعيمها .
انظر : الحسينى : المصدر نفسه ، ص ١٨،١٩،٢٠ ؛ الحافظ محمد بن أحمد الذهبى : العبر فى خبر من غبر ، تحقيق "أبو هاجر محمد زغلول" ، ط١ ، بيروت ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ، ٢/٢٩٥-٢٩٧ ؛ الزيلعى : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ٧٠.

الفاطمية فى تلك الفترة[١] ، وهكذا فان لتلك الظروف دور كبير فى تحول علاقات مكة منذ منتصف القرن الخامس الهجرى لصالح الخلافة العباسية حيث أقيمت الخطبة باسمهم بعد أن كانوا قد فقدوها فترة طويلة ابان عهد الامارة الموسوية[٢] ، فتذكر المصادر التاريخية أن الأمير محمد بن جعفر هو أول من أعاد الخطبة بمكة للعباسيين[٣] ، وفتح أبواب الأمل أمامهم لاعادة سيادتهم السابقة على مكة المكرمة ، وكان للسلطان السلجوقى ألب أرسلان[٤] فضل كبير فى تحقيق ذلك فقد سير ركب الحج العراقى سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٣م بعد أن كان متعطلا عن السفر الى مكة مدة طويلة من الزمن[٥] ، وذلك طوال عهد الامارة الموسوية

---

(١) محمد بن أحمد بن اياس الحنفى : بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، تحقيق محمد مصطفى ، ط٢ ، القاهرة ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، جـ١ ، قسم ١ ، ص ٢١٦ ؛ الزيلعى : المرجع السابق ، ص ٧٢ .

(٢) راجع التمهيد ص ٣٤ .

(٣) الفاسى : شفاء الغرام ، ٢/٣١٢ .

(٤) هو السلطان ألب أرسلان عضد الدولة أبو شجاع محمد الملقب بالملك العادل بن داود جفرى بك بن ميكائيل بن سلجوق التركى ، وهو ثانى ملوك بنى سلجوق ، كان اسمه بالعربى محمد وبالتركى الب ارسلان ، وقد تولى الب ارسلان السلطنة بعد وفاة عمه طغرلبك سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٣م كان عادلا يسير فى الناس سيرة حسنة ، كريما رحيما ، شفوقا على الرعية كثير الصدقات ، رفقا على الفقراء ، توفى فى ربيع الأول سنة ٤٦٥هـ/١٠٧٢م .
انظر : الحسينى : أخبار الدولة السلجوقية ، ص ٢٩-٥٥ شمس الدين أحمد بن محمد ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق احسان عباس ، بيروت ١٩٧١م ، ٢/٤٦-٤٧ ؛ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ٥/٩٢-٩٣ .

(٥) ابن خلدون : العبر ، ٤/١٠٣ .

وقد عيّن أبو الغنائم المعمر بن محمد بن عبيد الله العلوى[1] أميرا ورئيسا على ذلك الركب المتوجه الى مكة المكرمة[2] ، وقد جاور ذلك الأمير بمكة فى عام ٤٥٧هـ/١٠٦٤م ومنذ تلك الفترة وهو يعمل على اقناع أمير مكة محمد بن جعفر على أن يعيد الخطبة للعباسيين ويحرضه على قطع الخطبة عن الفاطميين فربما يكون الخليفة العباسي القائم بأمر الله والسلطان ألب أرسلان السلجوقى هما اللذان كلفا أبا الغنائم بأن يقوم بتلك المهمة وأمراه بأن يقدم لأمير مكة الاغراءات والوعود باعطائه أموالا وأعطيات ترسل اليه من بغداد سنويا وذلك فى حالة اقامته الخطبة على منابر مكة للعباسيين .

وكانت تلك المحاولات التى قام بها أبو الغنائم قد وجدت قبولا واستحسانا من جانب أمير مكة محمد بن جعفر الذى أمر بأن تقام الخطبة على منابر مكة للخليفة العباسى القائم بأمر الله وذلك سنة ٤٥٨هـ/١٠٦٥م[3] .

ولكن تلك التحركات العباسية قد أقلقت الخلافة الفاطمية وبات اصرار الخليفة الفاطمى المستنصر بالله واضحا فى سبيل اعادة السيادة الفاطمية على مكة فاتخذ عدة اجراءات لتحقيق ذلك الغرض حيث قام بفرض حصار اقتصادى على مكة فقطع جميع المعونات والعائدات السنوية التى كانت

---

(١) تولى امارة الحج سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٣م ، ولقب بالطاهر ذى المناقب ، كان دينا سخيا كريما حسن الصورة ، كريم الأخلاق لايعرف أنه آذى مسلما ولاشتم صاحبا ، توفى سنة ٤٩٠هـ/١٠٩٦م .
انظر : ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ١٨٥/٨ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٥٥/١٢ .

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق نفسه ، ١٠٠/٨ .

(٣) ابن خلدون : العبر ، ١٠٣/٤ ؛ القلقشندى : صبح الأعشى ٢٧٠/٤ .

ترسلها الخلافة الفاطمية الى أمراء مكة وأهالى الحرمين الشريفين (١) ، كما أنه قام أيضا باصدار أمره الى داعيه فى اليمن الأمير على بن محمد المليحى بأن يتوجه الى مكة المكرمة ويقوم باقصاء ذلك الأمير الذى اتضح عدم اخلاصه وولائه للدولة الفاطمية (٢) ، وكعادة المليحى فى سرعة تنفيذ الأوامر الفاطمية سار من اليمن متوجها الى مكة المكرمة سنة ٤٥٩هـ/١٠٦٦م ، الا أن الظروف قد جاءت مواتية لصالح الأمير محمد بن جعفر حيث ان المليحى قد لقى مصرعه على يد أحد أعدائه المتربصين به أثناء مسيره الى مكة المكرمة (٣) .

وكان لهذه التحركات الفاطمية بالاضافة الى موقف أشراف مكة الذى جاء لصالح الفاطميين حينما لاموا الأمير محمد بن جعفر على سوء تصرفه بقطع الخطبة عن الفاطميين أثر فى اعادة الخطبة على منابر مكة للخليفة الفاطمى المستنصر بالله سنة ٤٥٩هـ/١٠٦٦م (٤) .

وهنا نتساءل عن سبب التحول فى السياسة المكية فى بداية عهد الأمير محمد بن جعفر فنلاحظ أن الدولة الفاطمية فى تلك الفترة من عهد المستنصر بالله ، قد شهدت أزمة اقتصادية وسياسية استمرت سبع سنوات متتالية من عام

---

(١) الفاسى : شفاء الغرام ، ٣١٦/٢ ؛ أيوب صبرى باشا : مرآة جزيرة العرب ، ٩١/١ .

(٢) العصامى : سمط النجوم العوالى ، ٢٠٠/٤ .

(٣) ابن المجاور : صفة بلاد اليمن ، ص ٧٥ ، الفاسى : العقد الثمين ، ٢٤٢/٦-٢٤٣ . ولمزيد من الايضاح حول مقتل المليحى راجع ص ١٢٧-١٢٨

(٤) ابن خلدون : العبر ، ١٠١/٤ ؛ الزيلعى : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ٦٩ .

(٤٥٧هـ/١٠٦٤م الى عام ٤٦٤هـ/١٠٧١م)[(١)] . وقد عرفت هذه الازمة في المصادر التاريخية باسم الشدة العظمى[(٢)] ، وذلك لانها كانت أزمة اقتصادية وسياسية فى الوقت نفسه ، وقد أدت هذه الازمة الى غلاء الأسعار بمصر وانتشار الأوبئة والمجاعات بها مما أدى الى موت الكثير من سكانها حتى قيل انه كان يموت بمصر كل يوم عشرة آلاف انسان بسبب تلك المجاعات[(٣)] ، ومما أدى الى تفاقم الوضع بمصر وخطورته ضعف الحكومة المصرية فى تلك الفترة ، وعدم وجود وزراء أقوياء يقومون باصلاح الأمور المتردية بها[(٤)] ، ولم تقف الأمور عند هذا الحد بل ظهرت الفرقة والانقسامات واختلاف الكلمة وانقسام الجنود والقوات العسكرية فى الدولة الفاطمية الى عدة طوائف مختلفة الأجناس[(٥)] وكان لأم الخليفة الفاطمي المستنصر بالله دور كبير فى اشعال تلك الخلافات والانقسامات حيث قامت بتقريب الجنود السودان اليها وأمدتهم بالأموال والأسلحة[(٦)] ، وقد اثار

---

(١) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ٢/٢٩٦-٢٩٧ ، القلقشندى : مآثر الانافة ، ٢/١٧-١٨ .
(٢) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ١٧١ .
(٣) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ٥/٥٩ .
ولمزيد من المعلومات والايضاح عن تلك الازمة وأثرها بمصر انظر : ابن الجوزى : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، ٨/٢٥٧ ؛ أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ٢/١٨٩-١٩٠ ، المقريزى : المصدر السابق ، ٢/٢٩٦-٣٠٠ ،
(٤) ابن الأثير : الكامل ، ٨/١١٥ ؛ العبادى : فى التاريخ العباسي والفاطمي ، ص ٣٠١ .
(٥) المقريزى : المصدر نفسه ، ٢/٢٩٩-٣٠٠ .
(٦) وكانت أم الخليفة المستنصر هى التى تدبر الأمور بمصر فى تلك الفترة وذلك مما أدى الى ضعف أمر الدولة حيث انها قامت بالتشدد فى جمع الضرائب ، واشعلت نار الفتن بين طوائف الجند لانها كانت تعطف على أبناء جنسها الجنود السود وتستكثر من شرائهم وتمدهم سرا بالأموال والأسلحة وتحرضهم على محاربة الأتراك ومحاولة اجلائهم عن البلاد وذلك مما أثار الحرب بين الطرفين .=

التصرف [illegible] حفيظة الجنود الترك فدارت بين الطرفين معركة كبيرة انتهت بانتصار الجنود الترك وهروب وتراجع السود الى جنوب مصر[1] ، ومما لاشك فيه أنه كان لتلك الحروب آثار سيئة على سكان مصر فقد تعطلت الزراعة بها وذلك بسبب موت الكثير من المزارعين وفرار البعض منهم عن حقولهم ومزارعهم[2] ، كما أدت هذه الحروب أيضا الى قيام الجنود بنهب جميع مابداخل منازل السكان[3] ، كما حوصرت مصر فى تلك الفترة برا وبحرا من قبل الجنود الترك الذين كان يرأسهم ناصر الدولة الحسين بن حمدان التغلبي الذى طالب الخليفة الفاطمي المستنصر باعطائه مبلغا كبيرا من المال ، وزيادة أعطيات ورواتب الجنود الترك[4] ، ولم يكتف ناصر الدولة بذلك بل انه عزم على أن يقيم الخطبة على منابر مساجد القاهرة للخليفة العباسي القائم بأمر الله ولكنه قتل قبل أن يتحقق له ذلك الاجراء[5] .

فهذه أهم الظروف السيئة التى كانت تعانى منها الدولة الفاطمية فى تلك الفترة وذلك مما دفع الكثير من أهالى مصر الى أن يتجهوا الى بلاد الشام والعراق هربا من الجوع

= انظر : ابن الأثير : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها ؛ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ١٧/٥، ١٨، ١٩ ؛ العبادى : المرجع السابق نفسه ، ص ٣٠٠-٣٠١ .

(١) أبو الفدا : المختصر ، ١٨٩/٢-١٩٠ ؛ العبادى : المرجع السابق نفسه والصفحة نفسها ؛ الزيلعى : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ٧١ .

(٢) المقريزى : اتعاظ الحنفاء ، ٢٩٩/٢-٣٠٠ ؛ العبادى : المرجع السابق نفسه ، ص ٣٠١ .

(٣) الذهبى : العبر فى خبر من غبر ، ٣١٧/٢ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، ١١٦/٨ ؛ الزيلعى : المرجع السابق نفسه والصفحة نفسها .

(٥) أبو الفداء : المصدر نفسه والصفحة نفسها .

والفتن حيث ذكر المقريزى :"أنه خرج أهل القوة من القاهرة ومصر يريدون بلاد الشام والعراق هربا من الجوع والفتن فصار الى تلك البلاد عامة التجار ، وأصحاب القوة " (١) ، ويفهم من هذا النص أن الدولة العباسية كانت تعيش فى تلك الفترة ظروفا أحسن من ظروف الفاطميين ، والا لما قصدها التجار وأصحاب القوة من رعايا الفاطميين (٢) .

فالدولة الفاطمية عجزت عن الوفاء بالتزاماتها الداخلية والخارجية .ولاشك أن بلاد الحجاز كانت من أشد البلدان التابعة للفاطميين – فى تلك الفترة – تضررا من تلك الأزمة الاقتصادية ، حيث كانت مكة المكرمة والمدينة تعتمدان اعتمادا كبيرا فى تسيير أمورهما على المعونات الفاطمية (٣) . وعلى الرغم من عدم وصول النفقات والمعونات الفاطمية الى مكة المكرمة ، الا أن أميرها محمد بن جعفر لم يحاول أو يفكر فى الخروج عن طاعة الدولة الفاطمية بل انه فضل أن يسير أموره ريثما تنحل تلك الأزمة الحادة وتعود النفقات الفاطمية الى مكة من جديد . ومما قد يبرهن على ذلك أنه قام فى تلك الفترة بأخذ قناديل الكعبة والصفائح الذهبية الموجودة على بابها (٤) وقام بضربها وتحويلها الى

---

(١) المقريزى : المصدر السابق ، ٣٠٣/٢ ؛ محمد بن سالم بن شديد العوفى : العلاقات السياسية بين الدولة الفاطمية والدولة العباسية فى العصر السلجوقى ، ص٢١٣ .

(٢) العوفى : المرجع السابق نفسه ، ص ٢١٤ .

(٣) السخاوى : التحفة اللطيفة ، ٣١٣/٣ ؛ العوفى : المرجع السابق نفسه والصفحة نفسها .

(٤) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٤٧٢/٢ ؛ دحلان : أمراء البلد الحرام ، ص ٣٢ .

دراهم ودنانير[1] ، فتحسنت بذلك أحوال امارته قليلا فظل يخطب للخليفة الفاطمي المستنصر بالله حتى نفذ مامعه من اموال ورأى ضرورة الاستنجاد بالخليفة الفاطمي لينقذه من تلك الأزمة الاقتصادية التي حلت ببلاده من جراء توقف المعونات المصرية ، ويبدو أن الخليفة الفاطمي هو الآخر قد أحس بخطورة الموقف ، وأدرك أن عدم وصول النفقات والأعطيات الى أمير مكة كفيلة بأن تجعله يبحث عن جهة أخرى تدعمه وتمده بالأموال وذلك مقابل تحويل ولائه وطاعته لها[2] ، لذلك سارع الخليفة المستنصر بارسال خطاب الى حاكم اليمن الأمير المكرم أحمد بن على الصليحى يطلب منه القيام بارسال جميع مايحتاجه[3] أمير مكة من مؤن ومواد غذائية بأسرع وقت ممكن ، ولكن يبدو أن انشغال المكرم بأمور دولته فى تلك الفترة قد حالت[4] دون تحقيقه لمطالب الخليفة الفاطمي المستنصر بالله ، فلما يئس أمير مكة محمد بن جعفر من عدم التزام الخلافة الفاطمية بدفع ماعليها من التزامات لامارته أدار ظهره للخلافة الفاطمية ، واتجه بانظاره نحو حكومة بغداد حيث أقام الخطبة على منابر مكة للخليفة العباسى القائم بأمر الله وللسلطان السلجوقى الب أرسلان وذلك فى موسم حج عام ٤٦٢هـ/١٠٦٩م[5] ، وامعانا فى توثيق الروابط والعلاقات المكية

---

(١) ابن الجوزى : المنتظم ، ٢٥٦/٨ .
(٢) الزيلعى : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ٧٢ .
(٣) ماجد : السجلات المستنصرية ، ص ٢٠٢-٢٠٣ .
(٤) الزيلعى : المرجع السابق نفسه والصفحة نفسها .
ولمزيد من الايضاح حول ظروف بلاد اليمن السياسية فى تلك الفترة راجع ص ١٣٦.
(٥) ابن خلدون : العبر ، ١٠٣/٤ ؛ الفاسى : العقد الثمين ٤٤٠/١-٤٤١ ؛ ابن العماد الحنبلى:شذرات الذهب ، ٣١٠/٣

العباسية ، وللتباحث في مستقبل العلاقات بين الطرفين أرسل الأمير محمد بن جعفر مبعوثا من قبله الى بغداد (١) ومعه أحد أبنائه وذلك لمقابلة السلطان ألب أرسلان واخباره بموافقته على قبول السيادة العباسية على مكة وأن الخطبة بها قد أقيمت له وللخليفة العباسي القائم بأمر الله وأن الأذان الشيعي (حي على خير العمل) قد أبطل من مكة المكرمة (٢) .

ولاشك أن ذلك الخبر ، طالما تمناه العباسيون والسلاجقة وسعوا الى تحقيقه ، لذلك سارعوا بمنح أمير مكة هبة مالية قدرها ثلاثون ألف دينار وخلعا وهدايا قيمة ، وقرروا له راتبا سنويا قدره عشرة آلاف دينار (٣) ،وهذا ماسر الأمير محمد بن جعفر وأثلج صدره ، لذلك أعلن في موسم حج عام ٤٦٣هـ/١٠٧٠م أمام جموع المسلمين القادمين من شتى البلدان الاسلامية أن مكة المكرمة أصبحت تحت سيادة ونفوذ الدولة العباسية حيث قال في خطبة ألقاها على حجاج بيت الله الحرام القادمين الى مكة في موسم حج ذلك العام "الحمد لله الذي هدانا الى أهل بيته بالرأي المصيب وعوض بيته بلبسه الشباب بعد لبسه المشيب ، وأمال قلوبنا الى الطاعة ومتابعة امام الجماعة" (٤)

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، ١٠٧/٨ .
ولم توضح لنا المصادر التي بين أيدينا اسم هذا المبعوث ولكن ربما يكون ذلك المبعوث هو جعفر بن يحيى التميمي المعروف بابن الحكاك لأن ابن جعفر كان يرسله دائما الى الخلفاء والملوك ليتولى قبض الأموال التي يرسلونها اليه .
انظر : ابن الجوزي : المنتظم ، ٦٤/٩ ، الفاسي : المصدر السابق نفسه ، ٤٣٣/٣ .

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها .

(٣) ابن خلدون : المصدر السابق نفسه ، ١٠٣/٤ ، العوفي : العلاقات السياسية ، ص ٢١٤-٢١٥ .

(٤) ابن خلدون : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها .

فهذه الخطبة تدل دلالة واسعة على صدق ولاء الأمير محمد بن جعفر للعباسيين وعزمه النوافح والأكيد على موالاتهم والخطبة لهم على منابر مكة المكرمة ، ومما يؤكد أيضا حسن ولاء أبي جعفر للعباسيين هو اعلانه وتعهده بابطال الأذان الشيعي بمكة المكرمة وخاصة بعد تلك المناظرة الطويلة التي جرت بينه وبين مرسول الخليفة العباسي أبي طالب الحسن بن محمد سنة ٤٦٤هـ/١٠٧١م فقد سأل أبو طالب الأمير محمد بن جعفر عن سبب اعادته للأذان الشيعي بمكة المكرمة بعد أن كان متعهدا للحكومة العباسية بقطعه نهائيا عن مكة فقال له ابن جعفر : هذا أذان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فقال له أبو طالب : ماصح عنه وانما عبد الله بن عمر بن الخطاب روى عنه أنه أذن به في بعض أسفاره ، وما أنت وابن عمر" عندئذ اقتنع ابن جعفر بقول أبي طالب وأمر جميع مؤذني المسجد الحرام بحذف حي على خير العمل من الأذان (١) .

ومما يؤكد أيضا حسن ولاء ابن جعفر للعباسيين وصدق نواياه تجاههم ذلك النص الذي أورده المؤرخ ابن الجوزي والذي ينفي نفيا قاطعا أي شك في عدم صدق ولاء واخلاص الأمير محمد بن جعفر للخلافة العباسية (٢) فقد نص على أن الأمير

---

(١) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ٨٩/٥ ؛ الزيلعي : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ٧٣ .

(٢) لقد ذكر الزيلعي في كتابه مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ٧٣ أن الأمير محمد بن جعفر لم يكن صادقا في ولائه للعباسيين وانه اضطر لذلك الولاء بسبب ظروف اقتصادية قاهرة أجبرته على ذلك ، وأكد على ذلك بقوله بأن ابن جعفر أعاد الأذان الشيعي بمكة وذلك ارضاء للخلافة الفاطمية ولكن تلك المناظرة التي جرت بينه وبين اباطالب تؤكد على انه أقام ذلك الأذان باعتقاده انه أذن به الخليفة علي بن أبي طالب .

محمد بن جعفر قد أعاد الخطبة بعد ذلك للفاطميين وهو كاره لذلك[(١)] .

فهذا نص واضح وصريح على حسن نوايا ابن جعفر للعباسيين ولاسيما أنه قد استفاد كثيرا من ولائه للخلافة العباسية فقد حصل على الاعانات والنفقات والهدايا التي فقدها من الفاطميين وقت حدوث الشدة العظمى في بلادهم، كما أنه حصل على ضمانات عباسية تقضي باعطائه مرتبا سنويا مقداره عشرة آلاف دينار سنويا[(٢)] ، كما انه بولائه للعباسيين في تلك الفترة قد تحقق له الحلم الذى طالما تمنى تحقيقه ذلك الحلم المتمثل في استيلائه على المدينة والجمع بين الحرمين وتلقيبه بلقب أمير الحرمين ، لأن السلطان الب أرسلان السلجوقي قد طلب منه أن يعرض على أمير المدينة رغبته في اقامة الخطبة له وللخليفة العباسي القائم بامر الله على منابر مساجد المدينة ، وذلك مقابل اعطائه عشرين ألف دينار وخمسة آلاف دينار سنويا[(٣)] ولكن يبدو أن أمير المدينة قد رفض تلك الاغراءات والعروض العباسية[(٤)] ، فجاء ذلك الرفض لصالح الأمير محمد بن جعفر الذى أيقن بأن العباسيين سيقفون موقف الجد والحزم والشدة تجاه أمير المدينة الذى رفض تلك العروض العباسية فوجد ابن جعفر أن ذلك الموقف العباسي سيخدم مصالحه ويحقق طموحاته وذلك بمؤازرتهم له في حربه ضد أمير المدينة ، حيث ذكر ابن خلدون أن الأمير محمد

---

(١) ابن الجوزى : المنتظم ، ٢٩٤/٨ .
(٢) ابن خلدون : العبر ، ١٠٣/٤ .
(٣) ابن الأثير : الكامل ، ١٠٧/٨-١٠٨ .
(٤) السخاوى : التحفة اللطيفة ، ٣١٣/٣ ؛ الزيلعي : مكة وعلاقاتها ، ص ٧٤ .

ابن جعفر قد سار بجيش من الاتراك واتجه بهم الى المدينة واستولى عليها حوالى سنة ٤٦٣هـ/١٠٧٠م[1] وبذلك تم له الجمع بين امارة الحرمين ، واصبحت الخطبة تقام على منابر المدينتين المقدستين مكة والمدينة للخليفة العباسي القائم وللسلطان السلجوقي الب أرسلان ، فعادت بذلك الحجاز الى دائرة النفوذ العباسي مرة أخرى.[2] فربما يكون ذلك الجيش الذى قاده ابن جعفر واستخدمه فى حربه ضد أمراء المدينة الحسينيين ، قد أرسل اليه مددا من الخلافة العباسية ببغداد.[3]

ومما يؤكد ذلك ماذكره ابن خلدون من ان الخليفة العباسى القائم بامر الله قد بعث ابا الغنائم الزينبى الى مكة ومعه قوة عسكرية كبيرة وذلك فى حج عام ٤٦٣هـ/١٠٧٠م[4] ، فربما تكون تلك القوة العسكرية هى التى دخل بها ابن جعفر المدينة واستطاع بهذه القوة أن ينحى بنى الحسين عن امارة المدينة ، بيد أن الفاطميين لم يستسلموا لذلك النجاح الذى حققه العباسيون فى بلاد الحجاز فقد قاموا بعدة محاولات بغية ارجاع نفوذهم السابق على بلاد الحجاز ، حيث ان الخليفة الفاطمى المستنصر بالله قد قام سنة ٤٦٦هـ/١٠٧٣م بايفاد مبعوثين من قبله الى أمير مكة محمد بن جعفر فقابلاه واستنكرا عليه خطبته للخليفة العباسى القائم بامر الله والسلطان الب أرسلان السلجوقى ، وحاول هذان المبعوثان

---

(١) ابن خلدون : العبر ، ١٠٣/٤ .

(٢) اليافعى : مرآة الجنان ، ٣٥/٣ ، السخاوى : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها ، العوفى : العلاقات السياسية ، ص ٢١٥ .

(٣) الزيلعى : المرجع السابق نفسه والصفحة نفسها .

(٤) ابن خلدون : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها .

اغراءه بالأموال ليقطع ولاءه للعباسيين ويعيد الخطبة بمكة للفاطميين (١) ، ولكن الامير محمد بن جعفر قد رفض تلك العروض الفاطمية ولم يكتف بذلك الرفض بل انه أظهر عدم اهتمامه بتلك السفارة الفاطمية حيث أصدر أوامره الى اتباعه ورجاله بأن يقوموا بابعاد هذين المبعوثين عن مكة المكرمة (٢) ، فمن المحتمل أن يكون الدافع لتلك التصرفات التى بدرت من أمير مكة اثبات حسن نواياه للعباسيين وهذا ما اثلج صدور العباسيين وأسعدهم كثيرا فأرادوا مجازاته وتشجيعه على ذلك الاخلاص للخلافة العباسية فقام السلطان السلجوقى ملكشاه (٣) بارسال مبلغ كبير من المال كهدية لابن جعفر وبقية الاشراف الموجودين بمكة المكرمة ، وذلك مما أدخل البهجة والسرور فى نفوسهم (٤) ، فأعلنوا ولاءهم التام وتعهدهم باقامة الخطبة للخليفة العباسى القائم بأمر الله والسلطان ملكشاه السلجوقى على منابر مكة والمشاعر المقدسة .

أما الوفد الفاطمى فقد عاد الى القاهرة وهو يجر معه

---

(١) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٤٧٥/٢ ؛ الزيلعى : المرجع السابق نفسه والصفحة نفسها .

(٢) الفاسى : العقد الثمين ، ٤٤١/١-٤٤٢ .

(٣) أبو الفتح ملكشاه بن ألب أرسلان محمد بن داود بن ميكائيل بن سلجوق تولى الامر بعد وفاة والده مباشرة سنة ٤٦٥هـ/١٠٧٢م ، ولقد اتسعت مملكته اتساعا عظيما ، وكان يلقب بالسلطان العادل ، وكان منصورا فى الحروب وقد منع بطريق مكة مصانع وغرم عليها أموالا كثيرة خارجة عن الحصر، وأبطل المكوس والخفارات فى جميع البلدان التابعة له . توفى سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م .
انظر : على بن أبى الكرم الشيبانى : التاريخ الباهر فى الدولة الاتابكية بالموصل ، تحقيق عبد القادر أحمد طليمات ، القاهرة ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م ، ص ١٠-١١ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ٣٧٠/٤-٣٧٥ ؛ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ١٣٤/٥-١٣٥ .

(٤) ابن فهد : غاية المرام ، ٥١٢/١ ؛ الجزيرى : الدرر الفرائد ، ٥٥٠/١ .

ذيل الخيبة وحطام الآمال فكان ذلك موحيا للخليفة الفاطمي المستنصر بالله بأن يعيد أوراقه ويرتب أمور بلاده الداخلية ويقوم بإصلاح مافسد فيها وبالتالي التطلع الى اعادة نفوذه وسيادته على المناطق التى خرجت عن طاعته وسيادته وبالأخص بلاد الحجاز ، لذلك فقد بادر بالاستنجاد بوالي عكا وأمير الجيوش بدر الجمالي (١) وطلب منه سرعة الحضور الى بلاد مصر لاصلاح الأمور المضطربة بها والقضاء على الفوضى والاضطرابات والقلاقل التى سادت أجواء البلاد ، وقد رحب بدر الجمالي بذلك الطلب ودخل الى القاهرة فى جيش كبير من الارمن (٢) وذلك سنة ٤٦٦هـ/١٠٧٣م ، واستطاع أن يصلح الأمور المضطربة ، ويعيد الأمن والاستقرار الى البلاد ، فاستقامت بذلك الأحوال السياسية والاقتصادية بمصر ، وعادت الأوضاع بها الى أحسن مما كانت عليه (٣) . بعد ذلك تطلع الفاطميون الى اعادة نفوذهم السابق على بلاد الحجاز واقامة الخطبة الفاطمية هناك ، فأرسل الخليفة الفاطمي المستنصر الى الأمير محمد بن جعفر سفارة محملة بالأموال والهدايا ، وطلبوا منه أن يعيد

---

(١) بدر الجمالي هو أرمني الجنسية صاحب جيوش مصر ومدبر الممالك الفاطمية ، أخذ يتنقل فى المراتب والمناصب حتى عينه الخليفة المستنصر سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٣م واليا على الشام، وتقلد امارة دمشق مرتين ثم ثار عليه أهلها لذلك رحل عنها الى عكا ومنها الى مصر فاستطاع أن يصلح الأمور المتردية بها وأصبح هو صاحب الشأن بها والمسيطر على أمورها توفى سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م وقام ابنه الأفضل بالوزارة من بعده .
انظر : ابن الأثير : الكامل ، ١٧٢/٨ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٤٨/١٢ ؛ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ١٤١/٥ .

(٢) المقريزى : اتعاظ الحنفاء ، ٢٩٩/٢-٣٠٠ ؛ العبادى : فى التاريخ العباسي والفاطمي ، ص ٣٠٠-٣٠١ .

(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ٢٣٠/٥ ، أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ، ١٩١/٢ .

الخطبة للفاطميين ويقطع ولاءه عن العباسيين (١) ، وقالوا له : ان ايمانك وعهودك كانت للخليفة العباسي القائم بامر الله وللسلطان الب ارسلان وقد ماتا (٢) ، واتخذوا معه اسلوب التهديد والوعيد حيث هددوه بان تتعرض امارته للزوال ويعين امير بدلا منه في حاله رفضه قبول السيادة الفاطمية على مكة (٣) .

وحدثت عدة تطورات على الساحة المكية كانت لصالح الفاطميين فقد انشغلت بغداد في تلك الفترة بوفاة الخليفة العباسي القائم بامر الله ، واسناد الخلافة الى ابنه المقتدي بامر الله سنة ٤٦٧هـ/١٠٧٤م (٤) فظهر اثر انشغال العباسيين بتلك الأحداث على توقف المعونات العباسية عن مكة في تلك الفترة (٥) وذلك مما أجبر الأمير محمد بن جعفر على ان يعقد اجتماعا طارئا مع كبار أشراف مكة للنظر في علاقات مكة ببغداد وخاصة بعد توقف المعونات منها ، ووصولها من القاهرة ، وقد جاءت قرارات ذلك الاجتماع لصالح الخليفة الفاطمي المستنصر بالله حيث ان هؤلاء الأشراف قالوا له :"انما سلمنا هذا الامر لبني العباس لما عدمنا المعونة من مصر ولما رجعت الينا المعونة ، فانا لانبتغي بابن عمنا بدلا" (٦) .

وازاء ذلك القرار اقيمت الخطبة بمكة للخليفة الفاطمي المستنصر بالله في موسم حج عام ٤٦٧هـ/١٠٧٤م (٧) وقطعت الخطبة

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ٤٤٢/١ .
(٢) ابن الأثير : الكامل ، ١٢١/٨ .
(٣) المناوي : الوزارة والوزراء ، ص ٢١١ ; الزيلعي : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ٧٥ .
(٤) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٤٧٧/٢ .
(٥) العوفي : العلاقات السياسية بين الدولة الفاطمية والدولة العباسية في العصر السلجوقي ، ص ٢١٥ .
(٦) ابن الجوزي : المنتظم ، ٢٩٤/٨ ، والمقصود بابن عمهم هنا الخليفة الفاطمي المستنصر بالله .
(٧) الجزيري : الدرر الفرائد ، ٥٥١/١ .

عن العباسيين بعد استمرار دام اربع سنوات وخمسة اشهر [(١)]، وقلعت القاب الخليفة العباسي القائم بأمر الله والسلطان الب ارسلان من لوح كان موضوعا على بئر زمزم ، وانزلت الكسوة الخراسانية ووضع مكانها كسوة بيضاء عليها القاب الخليفة الفاطمي المستنصر بالله [(٢)].

والحقيقة أن الأمير محمد بن جعفر قد أعاد ولاءه للخلافة الفاطمية وهو غير مقتنع بذلك الولاء [(٣)]، ولكنه اضطر لذلك ارضاء لكبار الهواشم.وهذا يدل دلالة واضحة على الدور الكبير الذى كان يلعبه زعماء الهواشم من بنى الحسن فى السياسة الخارجية فى عهد ابن عمهم الأمير محمد بن جعفر بن أبى هاشم الذى كان لايستطيع أن يقطع رأيا الا بعد مشورتهم واخذ موافقتهم ، فهم عصبته وقوته التى يعتمد عليها ضد أعدائه أشراف بنى أبى الطيب منافسيه على امارة مكة المكرمة [(٤)].

ولكن الخلافة العباسية فى عهد الخليفة الجديد المقتدى بأمر الله لم تقف مكتوفة الأيدى أمام الانتصارات الفاطمية ، فلم يمض عام واحد من اقامة الخطبة الفاطمية بمكة حتى قام الخليفة العباسي المقتدى بأمر الله بتقديم عروض واغراءات جديدة لأمير مكة المكرمة حيث عرض عليه تزويجه من اخت السلطان السلجوقى ملكشاه ، بالاضافة الى منحه عشرين الف

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، ١٢١/٨ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ١١١/١٢ .

(٢) ابن الجوزى : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها ؛ العوفى : المرجع السابق نفسه والصفحة نفسها .

(٣) ابن الجوزى : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها .

(٤) العوفى : المرجع السابق نفسه ، ص ٢١٨ .

دينار تعويضا له عن السنوات الماضية التى لم تمل فيها المعونات العباسية الى مكة (١) . ومما لاشك فيه أن تلك العروض قد وجدت قبولا واستحسانا من جانب أمير مكة الذى سر كثيرا بهذه العروض ، فأصدر أوامره فورا الى خطباء المسجد الحرام بأن يقيموا الخطبة على منابره للخليفة العباسى المقتدى بأمر الله (٢) ، وأصبحت الخطبة بمكة من نصيب الخليفة العباسى وحده لمدة عامين كاملين من عام ٤٦٨هـ الى نهاية عام ٤٦٩هـ (١٠٧٥ – ١٠٧٦م) (٣) ، وكان العباسيون خلال تلك الفترة مواصلين أعطياتهم ونفقاتهم على مكة المكرمة . تذكر المصادر أن الخليفة العباسى المقتدى بأمر الله قد بعث أبا طالب الزينبى الى مكة المكرمة فى ذى القعدة سنة ٤٦٩هـ/١٠٧٦م وكلفه بأن يحمل معه الأموال والخلع الى أمير مكة محمد بن جعفر (٤) . كما أرسل الخليفة العباسى الى مكة فى رمضان سنة ٤٧٠هـ/١٠٧٧م منبرا كبيرا جيد الصنع منقوشا عليه اسم الخليفة العباسى المقتدى بأمر الله بالذهب الخالص (٥) ، وكان الوزير فخر الدولة أبو نصر بن جهير (٦) قد أشرف على صنع ذلك

---

(١) ابن الجوزى : المصدر السابق نفسه ، ٢٩٤/٨ ؛ ابن فهد اتحاف الورى ، ٤٧٨/٢ .

(٢) ابن فهد : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها ؛ السباعى : تاريخ مكة ، ٢٠٤/١-٢٠٥ .

(٣) ابن الجوزى : المنتظم ، ٣٠٧/٨ ؛ الجزيرى : الدرر ، ٥٥١/١ .

(٤) ابن فهد : المصدر السابق نفسه ، ٤٧٩/٢ .

(٥) المقريزى : اتعاظ الحنفاء ، ٣١٩/٢ .

(٦) محمد بن محمد بن جهير الثعلبى فخر الدولة ، مؤيد الدين ، أبو نصر . اشتهر بالحزم وأصالة الرأى ، أصله من الموصل ، لما ترعرع انتقل الى حلب وتولى نظارة ديوانها ثم عزل ، وانتقل الى آمد فاتصل بالأمير نصر الدولة بن مروان صاحب ميافارقين وديار بكر فاستوزره ، وأخذ يترقى فى المناصب حتى تولى وزارة بغداد ، ثم ولاه السلطان السلجوقى ملكشاه أميرا على ديار ربيعة =

المنبر ، وكتب عليه عبارة "لااله الا الله محمد رسول الله الامام المقتدى بأمر الله مما أمر بعمله محمد بن محمد بن جهير" (١) ، وكان الخليفة العباسى المقتدى بأمر الله قد أرسل ذلك المنبر الى مكة لتقام عليه الخطبة للعباسيين ويكون رمزا للسيادة العباسية هناك (٢) ، ولكن الأحوال بمكة وقت وصول ذلك المنبر اليها كانت بعكس ماكان يتوقعه العباسيون حيث كانت الخطبة بها قد أعيدت للفاطميين الذين يبدو أنهم كانوا قد أرسلوا وفدا من قبلهم الى أمير مكة لاطماعه بأموال أكثر من الأموال التى كانت تصله من بغداد ، فجاء وصول ذلك المنبر الى مكة متزامنا مع وجود الوفد الفاطمى بمكة ، ومما يؤكد ذلك ماذكرته بعض المصادر من أن المنبر العباسى قد تعرض للاحراق والتكسير (٣) من جانب المصريين الذين كانوا موجودين هناك والذين رفضوا أن تقام الخطبة على منابر مكة للعباسيين (٤) ، ولم يظهر لأمير مكة محمد بن جعفر أى دور فى منع المصريين من ذلك الاعتداء ، فقد فضل أن يلزم الحياد ، ولاشك أن احراق ذلك المنبر يعد اساءة للدولة العباسية يتحمل مسؤوليتها الأمير محمد بن جعفر الذى كان لزاما عليه أن يقوم بحماية الوفد العباسى واستقباله أحسن

= وامتلك الموصل ، وظل بها الى أن توفى سنة ٤٨٣هـ/١٠٩٠م وكان سخيا كريما شجاعا .
انظر : ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ٢١٢/٤ ؛ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ١٣٠/٥ ؛ خير الدين الزركلى الأعلام ، ط٧ ، بيروت ١٩٨٦م ، ٢٢/٧ .

(١) الجزيرى : الدرر ، ٥٥٢/١ .
(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ، ١١٧/١٢-١١٨ .
(٣) ابن الضياء : تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام ، مخطوط مصور بجامعة أم القرى ، رقم ١٧٠ ، ص ٧٩ .
(٤) السنجارى : منائح الكرم ، مخطوط ، ٢٦٧/١ .

استقبال والمحافظة على ذلك المنبر الذى أُرسل من بغداد .
ولكن العباسيين قد صرفوا أنظارهم عن تلك الحادثة لأنهم لايريدون الدخول فى خلافات ومناقشات مع أمير مكة وهم فى وقت كانوا فيه فى أمس الحاجة لخطب وده والتقرب اليه ، وبعد عامين من اقامة الخطبة بمكة للفاطميين نجح العباسيون فى جذب ولاء الأمير محمد بن جعفر نحوهم حيث أقيمت الخطبة على منابر مكة للخليفة العباسى المقتدى بأمر الله وللسلطان ملكشاه السلجوقى وذلك سنة ٤٧٢هـ/١٠٧٩م (١) ، ولم توضح لنا المصادر التى بين أيدينا أسباب ذلك التحول فى العلاقات فى تلك الفترة ولكن ربما يكون ذلك ناتجا عن زيادة الأموال والنفقات التى ترسلها بغداد وهذا ما أطمع الأمير محمد بن جعفر وجعله يحرف الخطبة عن الفاطميين الذين كانوا يرسلون اليه أموالا وأعطيات تقل عما أرسله العباسيون له فى تلك الفترة (٢) . واستمرت الخطبة للعباسيين بعد ذلك فترة من الزمن لم تحددها المصادر التى بين أيدينا ، ولكنه من المؤكد أنها قطعت عنهم قبل عام ٤٧٩هـ/١٠٨٦م وأقيمت للفاطميين ، ومما يدل على ذلك ماذكره بعض المؤرخين من «أن الخطبة للمصريين قد قطعت بمكة فى عام ٤٧٩هـ/١٠٨٦م وأعيدت للعباسيين» (٣) ويفهم من هذا النص أن الخطبة بمكة قبل ذلك

---

(١) ابن الجوزى : المنتظم ، ٣٢٣/٨ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٢٠/١٢ ؛ الفاسى : شفاء الغرام ، ٣٦٢/٢ ، المقريزى : اتعاظ الحنفاء ، ٣٢٠/٢ .
(٢) الفاسى : المصدر السابق نفسه ، ٣١٢/٢ .
(٣) ابن الأثير : الكامل ، ١٤٤/٨ ؛ اليافعى : مرآة الجنان ١٣٢/٣ ؛ ابن كثير : المصدر السابق نفسه ، ١٣١/١٢ ؛ المقريزى : المصدر السابق نفسه ، ٣٢٤/٢ .

التاريخ كانت من نصيب الخليفة الفاطمي المستنصر بالله ، ويمكن القول بأن الخطبة بمكة في تلك الفترة كانت متذبذبة تارة للعباسيين وتارة للفاطميين ، ولكنه مما يلاحظ أن علاقات مكة الخارجية بعد ذلك العام دخلت في مرحلة جديدة يمكن أن تكون أقرب الى الاستقرار والبعد عن التقلب والتذبذب الذي انتهجه الأمير محمد بن جعفر في السنوات الماضية وكانت بداية تلك المرحلة منذ أن قام الأمير محمد بن جعفر بارسال وفد مكي الى العاصمة العباسية بغداد في محرم سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦م وذلك للتباحث مع العباسيين في مستقبل العلاقات المكية العباسية والعمل على تطويرها وتوطيد أواصر المحبة بينهما ، ومما يلفت النظر أن تلك الاجراءات المكية قد جاءت في الوقت الذي كانت فيه الخلافة الفاطمية منشغلة بحروبها مع السلاجقة في بلاد الشام (١). فجاءت هذه الخطوة الجديدة في العلاقات محققة لآمال العباسيين وموافقة لرغباتهم وتطلعاتهم ، ومما يؤكد ذلك ماوصفه ابن الجوزي في قصة دخول ذلك الوفد الى بغداد واستقبال العباسيين له فيقول :"وفي محرم سنة ٤٧٩هـ قدم خدم ابن أبي هاشم من مكة بخرق الدم معلقة على حراب الأضاحي ، وخرج حجّاب الديوان لتلقيهم وعادوا والقراء بين أيديهم فنزلوا وقبّلوا العتبة الشريفة وصاروا الى دار الضيافة فأُدِر عليهم ماجرت به العادة" (٢) ، وقد عقد اجتماع بين الطرفين انتهى بتقديم الضمانات من الجانبين ، فالجانب المكي تكفل باقامة الخطبة

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، ١٢٦/٨-١٣٩ ; المناوي : الوزارة والوزراء ، ص ٢٠٢ .
(٢) ابن الجوزي : المنتظم ، ٢٧/٩ .

على منابر مكة والمشاعر المقدسة للعباسيين ورفض قبول السيادة الفاطمية عليها . اما الجانب العباسى فقد قدّم الضمانات اللازمة بالمواظبة على ارسال الأموال والنفقات الى مكة المكرمة وأمرائها كل عام وعدم تاخيرها عن الوقت المحدد لها ، وبذلك تعد هذه المعاهدة تطورا جديدا فى العلاقات العباسية المكية اعطت للعباسيين بموجبها ضمانا بسيادتهم على مكة المكرمة ، كما اعطت امير مكة ضمانا بوصول الأموال والنفقات اليه كل عام ، ومصداقا لهذه الاتفاقية فقد امر الأمير محمد بن جعفر بخلع الصفائح المكتوب عليها اسم الخليفة الفاطمى المستنصر بالله والمعلقة على باب الكعبة ، واستبدالها بصفائح من الذهب والفضة مكتوب عليها اسم الخليفة العباسى المقتدى بامر الله (١) .

واستمر الأمير محمد بن جعفر بعد ذلك مواليا للعباسين ومخلصا لهم حتى سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م وهى السنة التى وصلت فيها الى مكة المكرمة قوة تركية يرأسها أحد القواد الاتراك ويدعى ترشك ، وكان السلطان ملكشاه السلجوقى قد أرسل تلك القوة الى مكة واليمن (٢) ، وذلك لتقوم بتثبيت السيادة العباسية بهما وتقيم الخطبة على منابرهما له وللخليفة العباسى المقتدى بامر الله (٣) ، ولاشك أن ذلك التحرك العباسى

---

(١) ابن الجوزى : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها ؛ ابن الأثير : المصدر السابق نفسه ، ١٤٤/٨ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٣١/١٢ ؛ المقريزى : اتعاظ الحنفاء ، ٣٢٤/٢ .

(٢) الفاسى : العقد الثمين ، ٤٤٢/١-٤٤٣؛ يحيى بن الحسين غاية الأماني ، ٢٧٧/١ .

(٣) الجزيرى : الدرر ، ٥٣٣/١ .

يدل دلالة واضحة على أن العباسيين قد أحسوا بتغير نوايا أمير مكة تجاههم لذلك عقدوا العزم على اتخاذ القوة معه طالما أنه لم يوف بالتزاماته وعهوده السابقة لهم . الا أن الأمير محمد بن جعفر قد أحس هو الآخر بخطورة الموقف ، وأيقن أنه لن يستطيع مواجهة تلك القوة القادمة الى مكة لذلك فقد عزم على الهرب الى بغداد للاستنجاد بالخليفة العباسي المقتدى بأمر الله والسلطان ملكشاه السلجوقي لتقديم الاعتذار لهما وطلب العفو منهما ، ومساعدته في عودته الى الامارة من جديد ، وقد جاء هرب الأمير محمد بن جعفر الى بغداد متزامنا مع قدوم القوة التركية الى مكة المكرمة (١) ، ولم تذكر لنا المصادر التي بين أيدينا أي استقبال عباسي حافل للأمير محمد بن جعفر وهذا مما يدل على أن الخليفة العباسي كان غاضبا عليه فلم يهتم به وبقدومه الا أن الأمور سرعان ماتغيرت وتبدلت وذلك حينما قدم ابن جعفر اعتذاره وطاعته للخلافة العباسية (٢) ، وهذا ماكانت تنشده الخلافة العباسية لذلك يبدو أن الخليفة العباسي قد طلب من السلطان ملكشاه أن يعيد تلك القوة التي أرسلها الى مكة ، والسماح لابن جعفر بتولي الامارة من جديد ، فعاد محمد بن جعفر الى مكة وأقام الخطبة بها للعباسيين وللسلاجقة (٣) ، وهكذا نجح العباسيون في فرض سيادتهم على مكة المكرمة بالقوة ، وتعد

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، ١٥٩/٨ ؛ ابن فهد : غاية المرام ٥١٣/١-٥١٤ .

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها ؛ الجزيري : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها ؛ السباعي : تاريخ مكة ، ٢٠٥/١ .

(٣) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٤٨٦/٢ ؛ مورتيل : الأحوال السياسية ، ص ٢٧ .

هذه الخطوة قفزة جديدة فى تاريخ العلاقات العباسية المكية ولاشك ان ذلك الاسلوب الذى انتهجه العباسيون قد اثبت نجاحه وادى الى بقاء الخطبة لهم على منابر مكة والمشاعر المقدسة كما ادى الى القضاء على ذلك التذبذب السائد فى العلاقات المكية العباسية طوال عهد الأمير محمد بن جعفر ، ومما يلفت النظر أن أسلوب القوة الذى انتهجه العباسيون ضد الأمير محمد بن جعفر قد جاء فى وقت كانت الدولة الفاطمية فيه تعانى من انحسار نفوذها فى بلاد الشام (١) وهذا ماطمأن العباسيين وجعلهم يوقنون بان الفاطميين كانوا مشغولين عن

---

(١) لقد استغل الصليبيون تفكك حكام المسلمين وخلافاتهم المستمرة وخاصة الخلاف الدائر بين السلاجقة الذين استولوا على معظم البلاد الشامية ، وبين الفاطميين ، لذلك اتجه الصليبيون الى بيت المقدس وتمكنوا من الاستيلاء عليه وهذا ماأثار غضب الوزير الفاطمى الأفضل بن بدر الجمالى الذى سار بقواته الى عسقلان فى رمضان سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٨م فدارت بين الطرفين معركة كبيرة انتهت بانتصار الصليبيين على القوات الفاطمية ، واستمرت الخلافة الفاطمية بعد ذلك تشارك فى الحملات الاسلامية الموجهة الى الصليبيين ، ودارت بين الفاطميين والصليبيين عدة معارك انتهت بانتصار الصليبيين واستيلائهم على عسقلان ، فعزموا على المسير الى مصر للاستيلاء عليها ولكن الله قيض أمراء أقوياء كعماد الدين زنكى الذى نهض للقضاء على ذلك الخطر والعمل على توحيد بلاد الشام تحت حكمه وذلك ليقابل الصليبيين بجبهة واحدة ، ورفع الوزير الفاطمى الصالح ابن طلائع بن رزيك علم الجهاد من جديد واهتم بارسال الأساطيل والسرايا ، وأصبح الفاطميون فى تلك الفترة فى حالة استنفار تام وذلك لمحاربة الصليبيين والقضاء عليهم .

وللمزيد من المعلومات عن دور الفاطميين فى محاربة الصليبيين انظر :

ابن الأثير : الكامل ، ٨/١٨٩-١٩٠ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ٥/١٤٦-١٥٠ ، المناوى : الوزارة والوزراء ، ص ٢١٢،٢٢٥ ومابعدها ، سعيد عبد الفتاح عاشور : شخصية الدولة الفاطمية فى الحركة الصليبية ، (المجلة التاريخية المصرية مجلد ١٦ ، ١٩٦٩م) ، ص ٢٤-٢٨ .

أمير مكة ولن يقوموا بمساعدته وامداده بأي شيء سواء كان ماديا أو عسكريا ، فكانت تلك الظروف التي تمر بالدولة الفاطمية في تلك الفترة عاملا أساسيا لقبول ابن جعفر سيادة العباسيين على مكة وذلك حتى يضمن حصوله على مايريده من نفقات وأعطيات من حكومة بغداد . وهكذا ظل الأمير محمد بن جعفر يدعو للعباسيين وللسلاجقة على منابر مكة والمشاعر المقدسة حتى سنة ٤٨٦هـ/١٠٩٣م حيث ذكر القلقشندي[(١)] أنه في هذا العام "توفي السلطان السلجوقي ملكشاه فانقطعت الخطبة بمكة للعباسيين وبطل الحاج من العراق"[(٢)] .

أما عن أسباب قطع الخطبة بمكة عن العباسيين في ذلك العام فهذا راجع الى اخلال الخلافة العباسية بالشروط والعهود المبرمة بينهم وبين أمير مكة محمد بن جعفر والتي كانت تنص على مواصلة ارسال النفقات اليه كل عام[(٣)] ، ولكن الحاج العراقي لم يفد الى مكة في هذا العام بسبب الحرب الأهلية بين أمراء السلاجقة التي اندلعت عقب وفاة السلطان ملكشاه السلجوقي وهذا يعني عدم وصول الأموال والنفقات الى أمير مكة[(٤)] . ومما يؤكد ذلك ماذكره بعض المؤرخين من أن الأمير محمد بن جعفر قد قام في ذلك العام بنهب حجاج الشام القادمين الى مكة لاداء فريضة الحج ، وقام بمصادرة أموالهم وأمتعتهم[(٥)] ، ليسد العجز المادي الذي تعاني منه بلاده في تلك الفترة ، والذي نتج عن توقف المعونات العباسية والفاطمية الى مكة في تلك الفترة .

---

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ، ٢٧٠/٤ .
(٢) القلقشندي : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها .
(٣) راجع ص١٦٦ من هذا البحث .
(٤) ابن الاثير : الكامل ، ١٦٨/٨ .
(٥) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٤٨٦/٢ .

الا أن ذلك التصرف الذى قام به الأمير محمد بن جعفر أصبح وصمة عار عليه فيما بعد وندد به بعض المؤرخين الذين وصفوه بأنه "كان ظالما فاتكا سفاكا للدماء مسرفا ، وكان يقتل الحاج ويأخذ أموالهم" (١) .

كما أن ابن الأثير حينما ذكر وفاته قال :"ولم يكن له مايمدح به" (٢) .

وقد علل الفاسى ذلك التنديد حيث قال :"ولعل ذلك لنهبه الحاج فى سنة ست وثمانين وأربعمائة ، وقتله منهم خلقا كثيرا" (٣) .

ولم يلبث أن توفى الأمير محمد بن جعفر بن أبى هاشم سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م (٤) ، كما توفى فى ذلك العام أيضا الخليفة العباسى المقتدى بأمر الله ، والخليفة الفاطمى المستنصر بالله (٥) ، والوزير الفاطمى بدر الجمالى ، لذلك سميت هذه السنة سنة موت الخلفاء والأمراء (٦) .

---

(١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ١٤٠/٥ ; الزيلعى : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ٧٦ .
(٢) ابن الأثير : الكامل ، ١٧٣/٨ .
(٣) الفاسى : شفاء الغرام ، ٣١٢/٢ .
(٤) القلقشندى : مآثر الإنافة ، ٢١/٢ ; العصامى : سمط النجوم العوالي ، ٢٠٣/٤ .
(٥) القلقشندى : صبح الأعشى ، ٢٧٠/٤ .
(٦) ابن تغرى بردى : المصدر السابق نفسه ، ١٣٩/٥ .

الأمير قاسم بن محمد وعلاقته بالخلافتين العباسية والفاطمية .

لقد تولى الأمير قاسم بن محمد امارة مكة المكرمة بعد وفاة والده مباشرة (١) ، ولكن القاسم قد خالف سياسة والده في ولائه للعباسيين حيث أعلن فور توليه الامارة قبوله للسيادة الفاطمية على مكة ، وخطب على منابرها للخليفة الفاطمي الجديد المستعلي بالله (٢) ، ولم توضح لنا المصادر التي بين أيدينا أسباب ذلك التحول في العلاقات ، ولكن يبدو أن الخلافة الفاطمية قد ارادت أن تجذب ذلك الأمير الجديد نحوها لتكسب وده واخلاصه لها فقامت باعطائه أموالا وهدايا تفوق ماكان يرسله العباسيون الى مكة في عهد امارة والده ، وما أن وصلت تلك الأخبار الى مسامع الخليفة العباسي المستظهر بالله ، الذي تولى الخلافة بعد وفاة والده المقتدي سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م (٣) ، حتى أصدر أوامره بمعاقبة أمير مكة الجديد وتلقينه درسا كما لُقِّن أبوه من قبل ، فأرسلت من بغداد في بداية عهد الأمير قاسم قوة عسكرية كبيرة يرأسها أحد القواد العباسيين ويدعى أصبهبذ بن سارتكين (٤) الذي نجح في بداية أمره في تحقيق المهمة التي أرسل من أجلها حيث استطاع أن يهزم أمير مكة قاسم بن محمد وأتباعه ، وأن

---

(١) أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ، ٢١/٢ ؛ ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص ٣٠٧ .

(٢) ابن خلدون : العبر ، ١٠٤/٤ ؛ السباعي : تاريخ مكة ، ٢٠٦/١ .

(٣) ابن دقماق : الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك ، ص ١٦١ .

(٤) الفاسي : العقد الثمين ، ٢٨/٧ ؛ مورتيل : الأحوال السياسية بمكة ، ص ٢٧ .

يستولى على مكة دون أن يجد أى مقاومة تذكر ، وبقى أميرا عليها عدة شهور كانت الخطبة خلالها قائمة للخليفة العباسى[(١)] المستظهر بالله[(٢)] ، ولكن الأمور لم تستمر طويلا لصالح العباسيين حيث بات اصرار الأمير قاسم بن محمد واضحا فى اعادة نفوذ الهواشم على مكة المكرمة من جديد ، وطرد كل من حاول السيطرة على البلاد فقام باستنهاض أبناء عمومته الأشراف ، ورؤساء القبائل التابعة لامارته ، ووقفوا جميعا وقفة رجل واحد أمام تلك القوة الخارجية ، واستطاعوا اجلاء واقصاء القائد العباسى اصبهبذ وقواته عن مكة[(٣)] . فكانت تلك الهزيمة التى منيت بها القوات العباسية مؤشرا للخلافة العباسية باعادة أمورها وتغيير سياستها القائمة على أسلوب القوة والشدة تجاه أمراء مكة ، وخاصة انهم فى فترة يتعاملون فيها مع شخصية جديدة اتسمت بالقوة والشجاعة فأدركوا أن سياسة القوة والشدة مع ذلك الأمير لاتخدمهم بشىء ولاتكفل لهم سيادتهم على مكة المكرمة ، لذلك فضلوا أن يقوموا باستمالة قلب ذلك الأمير نحوهم ، وذلك باغرائه بالأموال والخلع والحرص على ارسال النفقات اليه سنويا دون تأخير ، وهذا مادفع الخليفة العباسى المستظهر وابنه المسترشد بالله الى أن يقوما بارسال جميع مايحتاجه القاسم من أموال وهدايا وخلع ، وازاء ذلك الموقف العباسى أمر

---

(١) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٤٨٧/٢ .
(٢) ابن ظهيرة : المصدر السابق نفسه ص ٣٠٧،٣٠٨ ؛ السباعى المرجع السابق نفسه والصفحة نفسها .
(٣) الفاسى : العقد الثمين ، ٣١٩/١ ؛ الجزيرى : الدرر الفرائد ، ٥٥٤/١ ؛ دحلان : أمراء البلد الحرام ، ص ٣٢ ولمزيد من المعلومات عن تلك الحرب بين الطرفين راجع الفصل الأول ، ص ٨٠ - ٨١ .

القاسم بن محمد باقامة الخطبة للخليفة العباسي وابنه المسترشد وضمنا لهما الدعاء على منابر مكة والمشاعر المقدسة وذلك سنة ٤٨٩هـ/١٠٩٥م (١) ، واستمرت الخطبة بمكة بعد ذلك للعباسيين فترة من الزمن (٢) لم توضحها المصادر التي بين أيدينا ، ولكن يبدو أنها قد استمرت حتى عام ٥١٥هـ/١١٢١م ، ومما قد يؤكد ذلك أن أمراء الحج العراقي أخذوا يتتابعون في القدوم على مكة طوال تلك الفترة ومعهم كسوة الكعبة التي كانت ترسل من بغداد (٣) .

حيث ذكرت بعض المصادر أن أمير الحج العراقي يمن المستظهري (٤) قدم الى مكة في موسم حج عام ٥١٠هـ/١١١٦م ومعه قوة كبيرة مجهزة بالسيوف وكانت الخطبة بمكة في ذلك العام مقامة للخليفة العباسي المستظهر بالله (٥) ، كما أن الخليفة العباسي المسترشد بالله ، الذي تولى الخلافة بعد وفاة والده المستظهر بالله سنة ٥١٢هـ/١١١٨م (٦) ، قد أرسل الى أمير مكة قاسم بن محمد في هذا العام الأموال والخلع والهدايا (٧) ،

---

(١) العصامي : سمط النجوم العوالي ، ٢٠٣/٤ ؛ القوصي : تجارة مصر ، ص ١١٤-١١٥ ؛ السباعي : تاريخ مكة ، ٢٠٦/١ .
(٢) أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ، ٢١٦/٢ .
(٣) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٤٩٨/٢ .
(٤) يمن بن عبد الله الخادم الحبشي أبو الخير المستظهري لقب بأمير الجيوش ، كما لقب أيضا بأمير الحرمين ، وقد تولى امارة الحاج في عهد الخليفة العباسي المستظهر بالله (٤٨٧ - ٥١٢هـ) ، وكان جوادا ، حسن التدبير ذا رأي وفطنة ثاقبة . توفي بأصبهان سنة ٥١١هـ/١١١٧م . انظر :
سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ٧٠/٨-٧٢ ؛ ابن كثير البداية والنهاية ، ١٨٢/١٢ .
(٥) الجزيري : الدرر الفرائد ، ٥٥٧/١ .
(٦) ابن دقماق : الجوهر الثمين ، ص ١٦٢ .
(٧) سبط ابن الجوزي : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها ، العصامي : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها .

كما أنه قام أيضا فى عام ٥١٥هـ/١١٢١م بارسال كسوة الكعبة الى مكة المكرمة (١) .

هذا وفى الوقت الذى كانت فيه العلاقات العباسية المكية متحسنة للغاية ساءت علاقة مكة بالقاهرة سنة ٥١٢هـ/١١١٨م وذلك بسبب قيام الأمير قاسم بن محمد بشن غارات حربية على مراكب التجار المصريين الراسية بميناء عيذاب (٢) ، وقام بنهب مابها من بضائع وأموال (٣) ولم يكتف رجاله بذلك بل انهم قاموا بقتل الكثير من التجار (٤) المصريين وذلك مما جعل بعضهم ممن تمكن من الفرار بأن يستنجد بالوزير الفاطمى الأفضل ابن بدر الجمالى (٥) الذى ساءه ذلك الخبر واغضبه كثيرا مما جعله يعلن عداوته وتهديده للأمير قاسم بن محمد حيث قال : "صاحب مكة يأخذ تجارا من بلادى ، أنا أسير اليه بنفسى بأسطول أوله عيذاب وآخره جدة (٦) " .

ولاشك أن الدولة الفاطمية كانت هى المسؤولة الوحيدة عن حماية تلك المراكب لأنها كانت راسية بميناء تابع لها ، وقد اعتبرت الحكومة الفاطمية ذلك العمل تحديا لها وتهاونا

---

(١) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٤٩٨/٢ ؛ الرشيدى : حسن الصفا والابتهاج ، ص ١١٥ .
(٢) عيذاب : بليدة تقع على الساحل الغربى للبحر الأحمر ، وهى مرسى للمراكب التجارية القادمة من الهند وعدن والمتجهة الى الصعيد . انظر :
الحموى : معجم البلدان ، ١٧١/٤ ؛ ابن جبير : الرحلة ، ص ٤٥ .
(٣) ابن فهد : المصدر السابق نفسه ، ٤٩٦/٢ .
(٤) الفاسى : العقد الثمين ، ٢٨/٧-٢٩ .
(٥) تولى وزارة مصر بعد وفاة والده مباشرة وذلك سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م كان عادلا ، حسن السيرة ، قتل سنة ٥١٥هـ/١١٢١م وتولى الوزارة من بعده المأمون البطائحى .
انظر : ابن الأثير : الكامل ، ٣٠٣/٨ ؛ ابن تغرى بردى النجوم الزاهرة ، ٢٢٢/٥ .
(٦) المقريزى : اتعاظ الحنفاء ، ٥٨/٣-٥٩ .

بها لذلك سارعت باتخاذ التدابير اللازمة لمواجهة ذلك التعدى على أراضيها فأصدر الوزير الأفضل أوامره بتجهيز أسطول حربى كبير لتأديب الأمير قاسم بن محمد ، كما أسند لوالى قوص[(١)] مهمة قيادة ذلك الأسطول الحربى . ولم يكتف الأفضل بذلك بل انه قام أيضا بفرض حصار اقتصادى على مكة المكرمة حيث أصدر سجلا يمنع فيه السفر الى مكة لأى غرض كان سواء كان تجاريا أو دينيا[(٢)] ، والى جانب غرضه فى محاصرة مكة اقتصاديا يبدو أنه أراد أيضا حماية الحجاج والتجار المصريين من أى أذى أواعتداء قد يقع عليهم بمكة المكرمة ، وقد ظهر أثر ذلك السجل على تدهور الأوضاع الاقتصادية بمكة فى تلك الفترة حيث ذكرت بعض المصادر أن أهالى مكة المكرمة قد عانوا من أزمة اقتصادية حادة فقد ارتفعت أسعار السلع فى أسواق مكة وذلك بسبب توقف قدوم الحجاج والتجار المصريين الى مكة فى ذلك الوقت[(٣)] . واضافة الى ذلك الاجراء فقد كتب الوزير الأفضل كتابا الى كبار أشراف مكة يلومهم فيه على فعل أميرهم ، وقد تخلل كتابه التهديد والوعيد[(٤)] لهم اذا لم ينجحوا فى اقناع أميرهم بأن يعتذر له عن تصرفاته السيئة ضد التجار

---

(١) قوص : مدينة من مدن الصعيد الأعلى تقع على الشاطىء الشرقى لنهر النيل ، كانت هذه المدينة محط التجار وملتقى الحجاج من الهنود والأحباش ، وهى اليوم قاعدة مركز قوص أحد مراكز مديرية قنا . انظر :
الحموى : معجم البلدان ، ٤١٣/٤ ؛ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ٤٨ ؛ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ٢٩٢/٥ ، حاشية ١ ؛ سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ،ط١ ، جدة ١٤٠١هـ/١٩٨١ ، ص ١٥٣ .

(٢) المقريزى : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها .

(٣) الفاسى : العقد الثمين ، ٢٨/٧-٢٩ ؛ الرشيدى : حسن الصفا والابتهاج ، ص ١١٥ .

(٤) الفاسى : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها ؛ ابن فهد : اتحاف الورى ، ٤٩٧/٢ .

المصريين ، ومما لاشك فيه أن ذلك الخطاب قد أقلق اشراف مكة وجعلهم يسارعون للاجتماع مع الأمير قاسم حيث طلبوا منه جميعا أن يقدم اعتذاره للوزير الأفضل عما بدر منه (١) ، وأوضحوا له النتائج السلبية التى سيجدها أهالى مكة فى حالة رفضه تقديم الاعتذار للخلافة الفاطمية ، فاقتنع الامير قاسم بعد ذلك برأيهم وخاصة بعد أن ادرك أن رفضه وغضب الوزير الفاطمى عليه ربما يفقده امارته على مكة وهذا ماكان يخشاه القاسم ، لذلك سارع بارسال مبعوث من قبله الى الخلافة الفاطمية بمصر ، وارسل معه كتابا يعتذر فيه عن جميع التصرفات التى بدرت منه (٢) ، وحينما وصل ذلك المبعوث الى الأراضى المصرية وجد أن الحكومة الفاطمية ، وكبار الشخصيات المصرية ساخطين على أمير مكة بسبب تصرفاته السيئة مع التجار المصريين ، وبداهة أن يظهر اثر ذلك السخط على مقابلة المسؤولين فى الدولة الفاطمية لمبعوث أمير مكة الذى لم يجد أى استقبال أو اهتمام به وبقدومه (٣) ، بيد أنه وجد منهم العزيمة والاصرار على معاقبة امير مكة فقالوا له :

"مايُقرأ لك الكتاب ولايسمع منك خطاب دون اعادة المأخوذ من التجار اليهم" (٤) ، وهكذا جعل الفاطميون رضاهم وعودة علاقتهم مع أمير مكة مرتبطا كل الارتباط بضمان اعادة

---

(١) الجزيرى : الدرر الفرائد ، ٥٥٨/١ ؛ جميل حرب : الحجاز واليمن ، ص ٢٦ .
(٢) الرشيدى : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها .
(٣) المقريزى : اتعاظ الحنفاء ، ٥٨/٣-٥٩ .
(٤) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

حقوق التجار المصريين اليهم كاملة ، ومن قتل منهم تعطى أمواله وحقوقه المسلوبة الى ورثته [(١)]، فحينما رأى المبعوث المكى ذلك الاصرار وتلك الأساطيل البحرية المجهزة لمحاربة الأمير قاسم بن محمد تكفّل برد جميع أموال التجار اليهم كاملة بأسرع وقت ممكن ، كما أنه أعلن اعتذار أمير مكة عن تلك التصرفات التى قام بها ضد التجار المصريين [(٢)]، ثم عاد ذلك المبعوث الى مكة ، وأطلع الأمير قاسم على نتائج زيارته الى مصر ، كما طلب منه عدم التصرف فى أموال التجار المصريين وضرورة اعادتها كاملة بأسرع وقت ، فوافق الأمير قاسم على ذلك الطلب ، وأوفده مرة أخرى الى القاهرة فى عام ٥١٥هـ/١١٢١م وفى صحبته جميع أموال التجار وبضائعهم المنهوبة ، وكلفه باعادتها الى الحكومة الفاطمية [(٣)]، ثم ان العلاقات الفاطمية المكية قد تحسنت بعد ذلك كثيرا ، فتذكر المصادر أن أمير مكة قاسم بن محمد قام فى عام ٥١٦هـ/١١٢٢م بايفاد مبعوث من قبله وكلفه بتقديم التهانى نيابة عنه للمأمون أبى عبد الله البطائحى [(٤)] وذلك

---

(١) الفاسى : العقد الثمين ، ٢٩/٧ .

(٢) المقريزى : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها ؛ الرشيدى : حسن الصفا ، ص ١١٥ .

(٣) الفاسى : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها ؛ الجزيرى : الدرر الفرائد ، ٥٥٨/١ .

(٤) المأمون البطائحى هو أبو عبد الله محمد بن فاتك الملقب بالمأمون البطائحى ولد سنة ٤٧٨هـ وقيل سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦م ، تولى وزارة مصر بعد مقتل الوزير الأفضل ابن بدر الجمالى سنة ٥١٥هـ/١١٢١م ، كان كريما واسع الصدر شديد التحرز وكثير التطلع الى أحوال الناس من العامة والخاصة من سائر البلاد فى مصر والشام وغيرها وفى رمضان سنة ٥١٩هـ/١١٢٥م قبض الخليفة الفاطمى الآمر على المأمون واخوته وقام بالاستيلاء على أموالهم وذخائرهم ثم صلبهم جميعا ، وكان السبب فى ذلك هو =

بمناسبة توليه وزارة مصر ، وقد قدّر الوزير الفاطمى الجديد ذلك الجميل من أمير مكة فأرسل اليه ثمانية آلاف وتسعمائة وأربعون اردبا من القمح لأشراف مكة ، بالاضافة الى الثياب والخلع والأموال والبخور (١) .

ومما لاشك فيه أن ذلك التحسن فى العلاقات الفاطمية المكية قد أقلق كثيرا الحكومة العباسية التى أدركت أن تلك السفارات المكية الى مصر ربما سيتمخض عنها ازالة السيادة العباسية عن مكة واحلال السيادة الفاطمية مكانها لذلك فانه من غير المستبعد أن يكون العباسيون وراء الثورة التى قام بها الثائر العلوى ضد الأمير قاسم بن محمد سنة ٥١٥هـ/١١٢١م (٢) وذلك لتغيير نظام الحكم فى مكة المكرمة ، واستبداله بحكم جديد يكون مواليا للعباسيين ، ومما قد يؤكد ذلك هو أن هذا الثائر كان قادما من عاصمة الخلافة العباسية بغداد وأنه من فقهاء المدرسة النظامية ببغداد ، ولكن تلك التحركات العباسية قد باءت بالفشل ، اذ أن الأمير قاسم تمكن من القبض على ذلك الثائر وقام بابعاده ونفيه خارج مكة المكرمة (٣) .

= علمه بأن المأمون قد أرسل الى الأمير جعفر بن المستعلى أخى الآمر يغريه بقتل أخيه ويعده بتنصيبه خليفة بدلا منه . انظر :
ابن الأثير : الكامل ، ٣١٩/٨ ؛ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ٢٢٩/٥ ؛ المناوى : الوزارة والوزراء ص ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ .

(١) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ٨٠/٣ ؛ مورتيل : الأحوال السياسية بمكة ، ص ٢٨ .

(٢) وعن تفاصيل تلك الثورة راجع الفصل الأول ، ص ٨٢-٨٣ .

(٣) العوفى : العلاقات السياسية بين الدولة الفاطمية والدولة العباسية ، ص ٢٢٣ .

ولم توضح لنا المصادر التى بين أيدينا من هو الفائز بالخطبة بمكة فى تلك الفترة ، هل هو الخليفة العباسى أم الخليفة الآمر ؟ حتى المقريزى الذى أورد لنا قمة السفارات بين مكة والقاهرة فى عهد الوزير الفاطمى الجديد المأمون البطائحى لم يحدد لمن كانت الخطبة بمكة وقت وصول الخلع والهدايا الى أميرها (١) . ولكنه من المحتمل أن الخطبة فى تلك الفترة كانت من نصيب الخليفة الفاطمى الآمر أبو على المنصور لأن أمراء مكة كانوا حريصين على اقامة الخطبة للخليفة الذى يقوم بامدادهم وتوفير احتياجاتهم ، ولما قامت الخلافة الفاطمية بذلك الدور ، وتقاعست الخلافة العباسية عن القيام بذلك فى تلك الفترة كان من البدهى أن تقام الخطبة بمكة للفاطميين ، ويبدو أن تلك الخطبة قد استمرت لهم حتى وفاة الأمير قاسم بن محمد سنة ٥١٨هـ/١١٢٤م (٢)

---

(١) المناوى : الوزارة والوزراء ، ص ٢١٣ .
(٢) الفاسى : شفاء الغرام ، ٣١٢/١-٣١٣ .

الأمير فليتة بن القاسم وولاؤه التام للخلافة العباسية .

لقد تولى الأمير فليتة امارة مكة المكرمة بعد وفاة والده مباشرة ، وقد تميز عهد ذلك الأمير عن بقية أمراء الهواشم بولائه التام والمطلق للخلافة العباسية ، وقد أثنت كثير من المصادر على هذا الأمير وذلك بسبب حسن سياسته وسيرته مع جميع اهالي مكة المكرمة والقادمين اليها من جميع البلدان الاسلامية (١) ، كما أنه خالف سياسة والده وجده في علاقاتهما بالخلافتين العباسية والفاطمية تلك العلاقة التي كانت متصفة بالتقلب والتذبذب،ولكن ذلك الأمير قد بعد عن تلك السياسة المتذبذبة حيث منح ولاءه التام للخلافة العباسية . فتذكر المصادر أنه أقام الخطبة على منابر مكة للخليفة العباسي المسترشد بالله وذلك فور توليه امارة مكة المكرمة (٢) . وكان ذلك الأمير طوال المدة التي قضاها في امرة مكة حريصا كل الحرص على أن لاتقام الخطبة على منابر مكة والمشاعر المقدسة الا للخلفاء العباسيين فقط (٣) .

فمن الواضح أن الظروف التي حكم خلالها فليتة قد ساعدته على عدم اتباع سياسة التذبذب التي كان ينتهجها سلفه واعتمد على العباسيين وحدهم ، وذلك يعود الى سببين أساسيين أولهما حرص الخليفة العباسي المسترشد بالله على عدم تأخير حصة أمراء مكة من النفقات حيث واظب على ارسال الأموال والخلع الى الأمير فليتة وأشراف مكة كل عام مع ركب

---

(١) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٤٩٩/٢ .

(٢) القلقشندي : مآثر الانافة ، ٢٩/٢ ؛ السنجاري : منائح الكرم ، ٢٧١/١ ؛ محمد سرور : النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب ، ص ٢٣-٢٤ .

(٣) القلقشندي : صبح الأعشى ، ٢٧١/٤ .

الحج العراقى القادم من بغداد [١] .

وثانيهما هو أنه بالنظر للأحوال الداخلية بمصر فى تلك الفترة التى استبد فيها الوزراء بحكمها نجد أنها كانت تعانى من أزمة اقتصادية حادة فقد عدمت بها الأقوات ، وذلك مما أدى الى غلاء أسعار السلع فى أسواقها [٢] . وأصبحت الخلافة الفاطمية فى تلك الفترة عاجزة عن الوفاء بالتزاماتها تجاه أمراء مكة ، كما عاشت بلاد مصر فى تلك الفترة حالة من الفوضى والقلاقل والاضطرابات ، وذلك بسبب الخلاف والنزاع الدائر بين الوزراء هذا اضافة الى الخطر الصليبى الذى كان يهدد بلادهم [٣] .

فكانت تلك الظروف التى تمر بها الخلافة الفاطمية قد شغلتها عن العمل على تثبيت سيادتها فى مكة المكرمة .

لهذا كله رأى أمير مكة فليتة بن القاسم أنه من الصالح له ولبلاده أن يظل مواليا للعباسيين ، فاستمر على ولائه لهم حتى وفاته سنة ٥٢٧هـ/١١٣٢م [٤] .

---

(١) السنجارى : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها ؛ القوصى : تجارة مصر في البحر الأحمر ، ص ١١٤-١١٥ ؛ مورتيل : الأحوال السياسية بمكة ، ص ٢٨ .

(٢) ابن اياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور ، ٢٢٢/١ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، ٣١٣/٨-٣١٤ ؛ المنساوى : الوزارة والوزراء ، ص ٢١٣ ؛ فتحية النبراوى : العلاقات السياسية الاسلامية وصراع القوى الدولية فى العصور الوسطى ، ط١، القاهرة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، ص ٣١ . راجع ص١٦٨ منهذا المبحث حاشية رقم(١)

(٤) القلقشندى : مآثر الانافة ، ٢٩/٢ .

علاقات مكة الخارجية فى عهد الأمير هاشم بن فليتة .

بعد وفاة الأمير فليتة بن القاسم تولى ابنه هاشم امارة مكة المكرمة ، ولكن هذا الأمير الجديد لم ينتهج سياسة والده فى ولائه للعباسيين بل انتهج سياسة أجداده القائمة على التذبذب فى العلاقات بين الخلافتين العباسية والفاطمية (١) .

فبمجرد توليه الامارة أقام الخطبة على منابر مكة للخليفة العباسى المسترشد بالله (٢) ، ولكن ذلك الولاء العباسى لم يستمر طويلا فقد قطع الامير هاشم الخطبة عن الخليفة العباسى المسترشد بالله واقامها للخليفة الفاطمى الحافظ لدين الله (٣) ، ولم توضح لنا المصادر التى بين أيدينا أسباب ذلك التحول المفاجىء ، ولكن ربما يكون السبب فى ذلك هو توقف وصول النفقات العراقية الى مكة فى تلك الفترة وذلك بسبب انشغال الخليفة العباسى المسترشد بالله فى خلافه ونزاعه مع السلطان مسعود السلجوقى عام ٥٢٩هـ/١١٣٤م (٤) . حيث

(١) القوصى : تجارة مصر فى البحر الأحمر ، ص ١١٤-١١٥ .
(٢) القلقشندى : صبح الأعشى ، ٢٧١/٤ .
(٣) ابن خلدون : العبر ، ١٠٤/٤ ؛ سرور : النفوذ الفاطمى ص ٢٤ .
(٤) ابن الاثير : الكامل ، ٣٤٧/٨ ؛ الجزيرى : الدرر الفرائد ، ٥٥٨/١ .
أما عن أسباب النزاع بين الخليفة المسترشد بالله والسلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه هو أن ذلك السلطان قد طمع بعد موت أخيه محمود فى ملكه والخطبة له ببغداد ولكن الخليفة رفض ذلك فدارت بينهم عدة مناوشات انتهت بعقد مفاوضات بينهما على أن تكون السلطنة فى بغداد لمسعود السلجوقى . ثم انغمس الأمراء السلاجقة فيما بينهم بحروب وفتن كثيرة من أجل التنافس على الزعامة ، وفى سنة ٥٢٩هـ/١١٣٤م وقعت الحرب بين الخليفة المسترشد وبين السلطان مسعود =

لابد أن تؤثر هذه الاحداث السياسية على عدم وصول الركب العراقى الى مكة وبالتالى الى عدم وصول النفقات والهدايا الى أمير مكة هاشم بن فليتة حيث ذكرت بعض المصادر أن الركب العراقى قد توقف عن القدوم الى مكة سنة ٥٣٠هـ/١١٣٥م (١) وانقطعت بذلك الخطبة العباسية بمكة المكرمة .

ولكن مدة الخطبة للفاطميين فى تلك الفترة لم توضحها المصادر التى بين أيدينا الا أنه يبدو من خلال تتبع الحوادث العامة بمكة المكرمة أن الخطبة للفاطميين قد استمرت على منابر مكة حتى بعد عام ٥٤٠هـ/١١٤٥م ، ومما قد يبرهن على ذلك موقف أمير مكة المعادى مع مبعوث الخلافة العباسية نظر الخادم وذلك حينما تعرض له فى موسم حج عام ٥٣٩هـ/١١٤٤م (٢) .

وهذا يدل دلالة واضحة على سوء علاقة الأمير هاشم بن فليتة بالخلافة العباسية فى تلك الفترة ، كما أن المصادر التى بين أيدينا لم تذكر أى اتصال تم بين حكومة بغداد ومكة المكرمة فى ذلك الوقت .

= لأن ذلك السلطان قد خرج من بغداد الى همذان بعد موت أخيه طغرل وملكها ثم فارقه بعض من الأمراء خائفين منه فقدموا الى بغداد وحرّضوا الخليفة على حربه فقطعت خطب السلطان مسعود من بغداد ثم سار الخليفة لحرب مسعود فتقابل الطرفان وهزم الخليفة واتباعه ووضع فى خيمة خاصة وتمت المراسلة بينه وبين السلطان مسعود على الصلح على مال يؤديه الخليفة ، وأن لايعود بجمع العساكر مرة أخرى ، وأثناء اقامته فى الخيمة اغتيل على يد بعض الباطنية .
انظر : ابن الاثير : الكامل ، ٣٤٧/٨-٣٤٨ ؛ العوفى : العلاقات السياسية ، ص ٢٠٤ .

(١) الفاسى : شفاء الغرام ، ٣٦٥/٢ .

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق نفسه ، ١٠/٩ ؛ الرشيدى : حسن الصفا والابتهاج ، ص ١١٦ .

ولكن العلاقات العباسية المكية سرعان ماتحسنت بعد ذلك حيث أقيمت الخطبة على منابر مكة للخليفة العباسي المقتفي بالله الذي ظهر اهتمامه واضحا بفرض سيادته على المدينتين المقدستين مكة والمدينة ، والاهتمام بشئون الحرمين الشريفين فتذكر المصادر أنه قام في عام ٥٤٢هـ/١١٤٧م بارسال ميزاب ركب في الكعبة المشرفة (١) ، وذلك مما يؤكد أن السيادة بمكة في تلك الفترة كانت من نصيب العباسيين .

فربما يكون الخليفة العباسي المقتفي قد استغل الظروف المتدهورة في الدولة الفاطمية في تلك الفترة والمتمثلة في انشغالها بوفاة الخليفة الحافظ وولاية ابنه الظافر سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م وما أعقب ذلك من خلافات ومنازعات بين الوزراء في الدولة الفاطمية (٢) . لذلك فقد استمال الخليفة العباسي المقتفي أمير مكة نحوه وواظب على ارسال الأموال والنفقات اليه كل عام فضمن بذلك الخطبة والدعوة له على منابر مساجدمكة المكرمة واستمرت تلك الخطبة حتى وفاة الأمير هاشم ابن فليتة سنة ٥٤٩هـ/١١٥٤م (٣) .

---

(١) السنجاري : منائح الكرم ، ٢٧١/١ .
(٢) ابن الأثير : الكامل ، ٢٤/٩-٢٥ .
(٣) سرور : النفوذ الفاطمي ، ص ٢٤ ; باقاسي : بلاد الحجاز ص ٢٩ .

الأمير قاسم بن هاشم وعلاقته بالخلافتين العباسية والفاطمية .

لقد تولى الأمير قاسم امارة مكة بعد وفاة والده مباشرة وفور توليه الامارة خطب للعباسيين على منابر مكة ، ولم تكن تلك الخطبة مؤقتة ، وانما استمرت تقام للعباسيين طوال عهد ذلك الأمير الذى كان يرى أن الخليفة العباسى هو أحق بأن تقام الخطبة على منابر مكة له وحده (١) ، وعلى الرغم من حرص الأمير قاسم على اقامة الخطبة للعباسيين الا انه لم يقدم على قطع علاقته بالخلافة الفاطمية بمصر فقد أراد التقرب لها والعمل على كسب رضاها (٢) ، ومما يؤكد ذلك حرصه على ايفاد الشاعر عمارة اليمنى (٣) الى الخلافة الفاطمية بمصر سنة ٥٥٠هـ/١١٥٥م وأرسل معه رسالة الى الخليفة

---

(١) القلقشندى : مآثر الانافة ، ٣٤/٢ ، سرور : المرجع السابق نفسه ، ص ٢٥-٢٦ .

(٢) المالكى : بلاد الحجاز ، ص ٣٩ .

(٣) عمارة اليمنى : هو عمارة بن على بن زيدان اليمنى ، كان فقيها شاعرا ولد سنة ٥١٥هـ/١١٢١م فى تهامة اليمن ودرس الفقه فى زبيد ، ثم خرج من اليمن حينما حيكت ضده الدسائس والمؤامرات بقصد الايقاع به ، فاستغل موسم الحج لمغادرة اليمن ، وقدم الى مكة فارسله أميرها قاسم سفارتين الى مصر ، وفى السفارة الثانية رغب الاقامة بمصر واستمر بها حتى انتهت الدولة الفاطمية فاتفق عمارة مع جماعة من رؤساء البلد على اعادة دولة الفاطميين فاحس بهم السلطان صلاح الدين وقام بشنقهم جميعا ومن بينهم عمارة ، فشنقوا جميعا فى رمضان سنة ٥٦٩هـ/١١٧٣م ، ولعمارة عدة مؤلفات منها كتاب المفيد فى أخبار صنعاء وزبيد ، وكتاب النكت العصرية فى أخبار الوزراء المصرية .
انظر : ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ٤٣١/٣-٤٣٥ ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطى : حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، ط١ ، القاهرة ١٩٦٧م ، ٤٠٦/١ ، ذو النون المصرى : عمارة اليمنى ، القاهرة ١٩٦٦م ، ص ٢٦،٢٧،٣٢،٣٦،٤٢،٤٦

الفاطمي الفائز بن الظافر ووزيره الصالح طلائع بن رزيك [(١)]، ولم توضح لنا المصادر التي بين أيدينا مضمون تلك الرسالة الا انه يبدو انها كانت تحمل في جوهرها العام مشاعر الأمير قاسم تجاه الدولة الفاطمية ومايكنه لهم من محبة وولاء واخلاص ، ورغبته الأكيدة في تدعيم علاقته بهم [(٢)].

وكان للاستقبال الحافل الذى حظي به المبعوث المكي في ربيع الأول من ذلك العام اكبر دليل على سرور الفاطميين بموقف الأمير قاسم بن هاشم تجاههم واخلاصه لهم ، فقد استقبلوا الشاعر عمارة اليمني احسن استقبال حتى ان الخليفة الفاطمي الفائز ووزيره الصالح طلائع بن رزيك كانا على رأس مستقبليه [(٣)] وكان عمارة قد اشتهر باجادته للشعر فنظم قصيدة طويلة مدح فيها الخليفة الفاطمي الفائز ووزيره الصالح طلائع بن رزيك [(٤)]، فأعلنا اعجابهما بهذه القصيدة ،

---

(١) نجم الدين عمارة بن علي اليمني : النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية ، باريس ١٨٩٧م ، ص ٣٢ .
الصالح طلائع بن رزيك كنيته أبو الغارات وهو ارمني الأصل ، تولى وزارة مصر سنة ٥٤٩هـ/١١٥٤م وسار في الناس سيرة حسنة وتلقب بالملك الصالح ، وكان شجاعا كريما أديبا محبا لأهل العلم والأدب ، وفي العاشر من رجب سنة ٥٥٦هـ/١١٦٠م دخل الصالح قصر الخلافة ، فوثب عليه أحد غلمان الخليفة العاضد ، وضربه بسكين في رأسه أدت الى موته وقام بالوزارة من بعده ابنه رزيك انظر : ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ٣٤٥/٥ .

(٢) السباعي : تاريخ مكة ، ٢٠٨/١-٢٠٩ .

(٣) عمارة : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها .

(٤) وجاء في مطلع هذه القصيدة :

الحمد للعيش بعد العزم والهمم
حمدا يقوم بما أولت من النعم
لا أجحد الحق ، عندي للركاب يد
تمنت اللجم فيها رؤية الخطم
قربن بعد مزار العز من نظري
حتى رأيت امام العصر من أمم
ورحن من كعبة البطحاء والحرم
وفدا الى كعبة المعروف والنعم =

وأغدقا عليه الأموال والصلات ، وعاد الى مكة في شوال عام ٥٥٠هـ/١١٥٥م وهو يحمل معه مائة اردب من القمح بعثت بها الخلافة الفاطمية كهدية لأمير مكة وأهلها [(١)] .

كما أن أمير مكة قاسم بن هاشم قد ارسل مبعوثه عمارة اليمني الى مصر مرة أخرى وذلك سنة ٥٥١هـ/١١٥٦م وكلفه بتقديم كامل اعتذاره للوزير الفاطمي الصالح طلائع عما بدر من خدمه وأتباعه وذلك حينما اعتدوا على حجاج مصر والشام وقاموا بسلب أموالهم وأمتعتهم فاستطاع عمارة أن يؤدي مهمته على أكمل وجه حيث امتص غضب الوزير الصالح ، فعادت بذلك العلاقات الطيبة بين الخلافة الفاطمية وامارة مكة من جديد [(٢)] .

واهتم الوزير الصالح طلائع بن رزيك بعد ذلك اهتماما كبيرا بأهالي الحرمين وأمرائهم حيث زودهم بكل مايحتاجونه من غذاء ومال وكساء كما أنه حرص على النهوض بالحركة الثقافية في المدينتين المقدستين مكة والمدينة فكان يرسل الى هاتين المدينتين كل عام ألواح الصبيان التي يكتب عليها والأقلام والمداد [(٣)] .

= فهل درى البيت أني بعد فرقته
ماسرت من حرم الا الى حرم

انظر : ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ٣/٤٣١-٤٣٥ ؛ المقريزي : اتعاظ الحنفاء ، ٣/٢٢٥ .

(١) المقريزي : المصدر نفسه ، ٣/٢٢٧ .

(٢) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٢/٥١٧ ؛ الجزيري : الدرر ، ١/٥٦٣ ؛ ذو النون : عمارة ، ص ٢٦، ٢٧، ٣٢، ٤٦ .

(٣) المناوي : الوزارة والوزراء ، ص ٢١٣ .
والمداد : هو الذي يكتب به وهو الحبر .
انظر : ابن منظور : لسان العرب ، ٣/٣٩٨ ؛ القوصي : تجارة مصر ، ص ٢٠٧ .

كمـا أنه قام بوقف بعض الأراضي الموجودة في قرية بلقس بالقليوبية بمصر على الأشراف الحسنيين والحسينيين في كل من مكة المكرمة والمدينة بعد شرائها من بيت مال المسلمين[١].

ومما هو جدير بالذكر أن هاتين السفارتين اللتين أرسلهما الأمير قاسم بن هاشم الى مصر ، وتلك المعونات التي أرسلها الفاطميون الى أشراف مكة في تلك الفترة لم تثمر في احلال النفوذ الفاطمي بمكة المكرمة ، وانما ظلت الخطبة على منابر مكة تقام للعباسيين حتى نهاية عهد الامير قاسم بن هاشم[٢].

ولكن السؤال الذي قد يتبادر الى الذهن هو هل يقبل الفاطميون تلك العلاقة دون اقامة الخطبة لهم على منابر مكة ؟

وبداهة أن تكون الاجابة على ذلك السؤال بالنفي لأن الدولة الفاطمية كانت حريصة كل الحرص على استمالة أمراء مكة نحوها وذلك حتى يضمنوا لها سيادتها ونفوذها على مكة المكرمة ، ولكن ربما يكون الخليفة الفاطمي ووزيره في تلك الفترة قد اقتنعا بعذر أمير مكة الذي أدرك قوة الخلافة العباسية في ذلك الوقت ، ولمس منهم بوادر التدخل في شؤون بلاده الداخلية لذلك خشي على منصبه من الزوال فأقام الخطبة

---

(١) عبد اللطيف ابراهيم : وثائق الوقف في الأماكن المقدسة (ضمن أبحاث دراسات في تاريخ الجزيرة العربية ، الكتاب الأول ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) ، ص ٢٥٢ .

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى ، ٢٧١/٤ ؛ سرور : النفوذ الفاطمي ، ص ٢٥-٢٦ ؛ مورتيل : الأحوال السياسية بمكة ، ص ٣٠ .

(٣) ابو الفدا : المختصر ، ٣٤/٢-٤٠ .

للعباسيين ، وظل مواليا للفاطميين وعلى علاقة طيبة بهم (١) .

ومما يلفت النظر أن ذلك التدخل العباسي في شؤون مكة الداخلية قد زادت حدته في أواخر عهد الأمير قاسم بن هاشم ، حتى وصل الأمر الى أن الخليفة العباسي في تلك الفترة كان باستطاعته أن يقوم بعزل الأمير الذي يلمس فيه عدم اخلاصه للخلافة العباسية ، ويقوم بتعيين أمير آخر بدلا منه حتى ولو لم يكن من الأسرة الحاكمة نفسها (٢) .

ويمكن القول بأن تلك السياسة العباسية لم تظهر الا في الوقت الذي ضعفت فيه الخلافة الفاطمية وازدادت الفوضى والاضطرابات بها (٣) ، فاستغل العباسيون تلك الفرصة بفرض نفوذهم على مكة المكرمة بالقوة ، كما أن أمير مكة قد أدرك ذلك ، وأيقن بأنه لم تكن لديه القوة العسكرية التي تُمكّنه من مجابهة الخلافة العباسية (٤) ، لذلك فضل أن تقام الخطبة للعباسيين وحدهم على منابر مكة (٥) ، ولكن حدث ماكان يخشاه الأمير قاسم اذ أن أمير الحج العراقي قام بعزله في سنة ٥٥٦هـ/١١٦١م وعين عمه عيسى بن فليتة مكانه وذلك بسبب اعتداءه ونهبه لأموال التجار والمجاورين بمكة المكرمة (٦) .

---

(١) باقاسي : بلاد الحجاز ، ص ٣١ .
(٢) الفاسي : شفاء الغرام ، ٣١٤/٢ .
(٣) ابو الفدا : المصدر السابق نفسه ، ٣٧/٣ ؛ سرور : النفوذ الفاطمي ، ص ٢٦ .
(٤) جميل حرب : الحجاز واليمن ، ص ٢٨ .
(٥) القلقشندي : مآثر الانافة ، ٤٠/٢ ؛ سرور : المرجع السابق نفسه والصفحة نفسها .
(٦) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٥٢٣/٢ . وعن قصة ذلك العزل راجع الفصل الأول من ذلك البحث ص ١٠٨.

(ج) علاقة أمراء مكة بالعباسيين بعد سقوط الخلافة الفاطمية بمصر

لقد شهد عهد الأمير الجديد عيسى بن فليتة تطورات جديدة في علاقات مكة الخارجية حيث انقطع اتصال الفاطميين بامارة مكة في تلك الفترة وذلك بسبب تدهور الأوضاع الداخلية بمصر والناتجة عن تنافس كبار موظفي الدولة على منصب الوزارة ، ومما شجعهم على ذلك التنافس صغر سن الخلفاء الفاطميين في تلك الفترة ، فدارت بين هؤلاء المتنافسين صراعات ومنازعات مستمرة جعلت الدولة الفاطمية تعيش حالة من الفوضى والضعف والانهيار (١) حتى أصبحت غير قادرة على مواجهة (٢) الزحف الصليبي الذى أخذ يهدد بلادها .

فاستنجدت الخلافة الفاطمية في تلك الفترة بحاكم حلب ودمشق السلطان نور الدين محمود زنكي (٣) فأرسل اليها

---

(١) ابو الفدا : المختصر ، ٣٧/٣ ؛ العبادى : في التاريخ العباسي والفاطمي ، ص ٣١١-٣١٢ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ٩٩/٩ .

(٣) هو الملك العادل نور الدين أبو القاسم محمود بن عماد الدين زنكي بن آقسنقر الأتابك ولد في شوال سنة ٥١١هـ/١١١٧م ونشأ في كفالة والده صاحب حلب والموصل فتعلم القرآن والفروسية والرمي وكان شهما شجاعا ، فلما قتل أبوه سنة ٥٤١هـ/١١٥٦م تولى مكانه وقصد حلب ودمشق فملكها وكان نور الدين حنفي المذهب يحب العلماء والفقراء ويكرمهم ويحسن اليهم ، ولقد أوقف وقوفا كثيرة على المرضى والمدرسين وساكني الحرمين ، وأمر باكمال سور المدينة ، وكان كثير المطالعة للكتب الدينية مواظبا على الصلاة مع الجماعة عاكفا على تلاوة القرآن حريصا على فعل الخيرات ، توفي رحمه الله سنة ٥٦٩هـ/١١٧٣م .
انظر : شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن المعروف بأبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ، بيروت ، ٥/١-٨ ابن كثير : البداية والنهاية ، ٢٧٧/١٢-٢٨٤ ؛ عبد القادر بن محمد النعيمي : الدارس في تاريخ المدارس ، تحقيق جعفر الحسني ، دمشق ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م ، ٦٠٧/١، ٦٠٨، ٦٠٩ .

قائده أسد الدين شيركوه (١) ، ومعه ابن أخيه صلاح الدين الأيوبى (٢) وقد استطاع ذلك القائد أن ينجح فى المهمة التى أرسل من أجلها ، ثم عينه الخليفة الفاطمى العاضد على وزارة مصر (٣) ، وبعد وفاته عين صلاح الدين بدلا منه ، وقد استطاع صلاح الدين أن يقضى على الفتن والاضطرابات التى كانت موجودة فى بلاد مصر ، وأمنها من الخطر الصليبى الذى كان يهددها وحولها من المذهب الشيعى الى المذهب السنى (٤) ، كما أنه أقام الخطبة على منابر مساجد مصر للخليفة العباسى المستضىء (٥) فسقطت بذلك الدولة الفاطمية سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م ويعد سقوطها نهاية لذلك التنافس الذى كان قائما بينها وبين الخلافة العباسية على الخطبة والسيادة بمكة المكرمة ، ذلك التنافس الذى استمر فترة طويلة من الزمن ، وقد فازت الخلافة العباسية فى نهاية الأمر بذلك التنافس ، ومما ساعدها على ذلك النجاح هو السلطان صلاح الدين الأيوبى الذى أمر بأن تقام الخطبة على منابر مكة والمشاعر المقدسة للخليفة العباسى المستضىء (٦) ، وأدرك العباسيون بعد ذلك أنهم وحدهم أصحاب السيادة

---

(١) هو الملك المنصور أسد الدين شيركوه بن شادى بن مروان وهو عم السلطان صلاح الدين الأيوبى ، التحق بخدمة نور الدين فأنابه على بعلبك وأقطعه اقطاعات كثيرة وذلك لشهامته وشجاعته وجهاده المتواصل ضد الصليبيين ، توفى سنة ٥٦٤هـ/١١٦٨م .
انظر : أبو شامة : المصدر السابق نفسه ، ١٦٠/١ ؛ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ٣٨٩،٣٨٨،٣٨٧/٥ .

(٢) ابن دقماق : الجوهر الثمين ، ص ٢١٨ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، ١٠١/٩ ؛ أبو شامة : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها .

(٤) المناوى : الوزارة والوزراء ، ص ٢٣٤ .

(٥) الذهبى : العبر فى خبر من غبر ، ٤٩/٣ ، وعن سقوط الخلافة الفاطمية وقيام الدولة الأيوبية انظر : الفصل الثالث ، ص٦٠٩ - ٦٠٧ .

(٦) ابن خلدون : العبر ، ١٠٤/٤ ؛ المقريزى : الذهب المسبوك ، ص ٧١ .

والنفوذ بمكة لاينازعهم عليها أى منازع ، وأدركوا أيضا أنهم وحدهم المسؤلون عن جميع احتياجات مكة وأهلها من اصلاحات ونفقات .

والحقيقة أنهم أدوا تلك المسؤولية على أكمل وجه ومما يؤكد ذلك موقف الخليفة العباسى المستضئ تجاه أهالى مكة وذلك حينما ضاقوا ذرعا بسبب الأزمة الاقتصادية التى حلت ببلادهم سنة ٥٦٩هـ/١١٧٣م ، فسارع الخليفة العباسى بارسال جميع احتياجات أهالى مكة من غذاء وكساء (١) .

كما أكدت المصادر التى بين أيدينا أن الخلافة العباسية فى تلك الفترة قد واظبت على ارسال جميع التزاماتها تجاه أمراء مكة (٢) ، كما واظبت على ارسال النفقات والصدقات الى أهالى مكة وفقرائها كل عام (٣) .

هذا فضلا عما قام به الخلفاء العباسيون من اصلاحات داخل المسجد الحرام والمشاعر المقدسة وماقاموا به من أعمال تتعلق بتوفير الراحة والأمان لحجاج بيت الله ، فقد أمر الخليفة العباسى الناصر بفرش الحجر بالرخام (٤) ، كما أمر بعمارة الأميال الخضر الموجودة فى المسعى بين الصفا والمروة ، كما قام أيضا بارسال ميزاب ليركب على سطح الكعبة المشرفة (٥) ، وأمر أيضا بأن يركب عليها باب مصفح

---

(١) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٥٣٤/٢ ؛ السنجارى : منائح الكرم ، ٢٧٥/١ .
(٢) ابن الجوزى : المنتظم ، ٢٧١/١٠ .
(٣) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، قسم ٢ ، ٥١٣/٨ ؛ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ١٨٢/٦ .
(٤) الجزيرى : الدرر الفرائد ، ٥٧٣/١ .
(٥) الفاسى : العقد الثمين ، ٥١/١ ؛ يوسف أحمد : المحمل والحج ، ٨٥/١ .

بالفضة المذهبة [1] ، وقام بكسوتها بالديباج الأسود ، كما أنه قام في عام ٥٨٤هـ/١١٨٨م باصلاح الأحواض والبرك الموجودة بعرفة وذلك لكي يتمكن حجاج بيت الله من الحصول على الماء دون عناء ومشقة [2] .

وهكذا سعد أهالي مكة والحجاج القادمون اليها بتلك السيادة العباسية ونعموا بالأمن والاستقرار الذي فقدوه منذ فترة طويلة من الزمن ابان التنافس بين الخلافتين على الخطبة والسيادة بمكة .

ولكن مما يلاحظ على العباسيين في سيادتهم على مكة في تلك الفترة تدخلهم المباشر في شؤونها وأحوالها الداخلية [3] وهذا ما أغضب أمراءها وجعلهم في خوف وخشية من الخلفاء العباسيين ، فقد أدركوا أن بقاءهم في الامارة مقترن برضى الخليفة العباسي عليهم لذلك حرص كل منهم على الابتعاد عن كل التصرفات والأعمال التي تغضب الخلافة العباسية ، فحينما قام عبيد مكة بالاعتداء على حجاج العراق سنة ٥٥٧هـ/١١٦٢م [4] غادر أمير الحج العراقي برغش التركي والحجاج المرافقين معه مكة دون أن يكملوا حجهم [5] وذلك مما أقلق الأمير عيسى بن فليتة وجعله يسارع في ارسال بعض رجاله الى الأمير برغش

---

(١) القلقشندي : مآثر الانافة ، ٣٨/٢ .
(٢) محمد الفعر : تطور الكتابات والنقوش في الحجاز ، ط١، جدة ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م ، ص ٣٠٢-٣٠٣ .
(٣) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٥٢٣/٢، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٥٩ ؛ جميل حرب : الحجاز واليمن ، ص ٣١ .
(٤) الفاسي : شفاء الغرام ، ٣٦٥/٢-٣٦٦، ولمزيد من المعلومات حول ذلك الاعتداء انظر : الفصل الثالث ص٢٣٣-٢٣٤ .
(٥) الرشيدي : حسن الصفا والابتهاج ، ص ١١٦ .

وذلك قبل مغادرته للأراضي المكية وكلفهم بتقديم الاعتذار له واعطائه وعدا بتقديم أقصى الامكانات لاكمال حجه ومن معه بيسر وسهولة ، ولكن برغشا رفض ذلك العرض وصمم على المسير الى بغداد واخبار الخليفة بذلك،فزاد قلق وخوف الأمير عيسى وأدرك أن العباسيين سيحملونه كامل المسؤولية ازاء تلك التصرفات لذلك سارع باستنهاض كبار أهالي مكة وطلب منهم المسير الى الأمير برغش واقناعه مرة أخرى بشتى الوسائل الممكنة فجاءه أهالي مكة بخرق الدم ، وضربت لهم الطبول حتى يدرك أنهم قد أطاعوه وأنهم نادمون على أفعالهم وتصرفاتهم مع الحجاج العراقيين (١) . فاقتنع الأمير برغش بعذر أمير مكة ورضي عنه ومما يؤكد ذلك أن العباسيين لم يقوموا بعد ذلك بأي موقف معاد ضد الأمير عيسى .

ومن الملاحظ أن مكة المكرمة في تلك الفترة لم تحظ برعاية واهتمام الخلفاء العباسيين وحدهم ، وانما شاركهم في هذا المجال أيضا أمراء وسلاطين الدول الاسلامية في ذلك الوقت ، حيث قاموا بكثير من الاصلاحات ، كبناء الأربطة ، وحفر الآبار ، واقامة البرك وصهاريج المياه وذلك لسقاية حجاج بيت الله الحرام وأهالي مكة المكرمة .

هذا اضافة الى قيامهم باصلاحات عديدة داخل المسجد الحرام والمشاعر المقدسة ، فتذكر المصادر التي بين أيدينا أن الوزير جمال الدين محمد بن علي المعروف

---

(١) ابن فهد : المصدر السابق نفسه ، ٥٢٥/٢ .

بالجواد الاصبهاني[1] قد قام بعدة اصلاحات حيث أمر بعمل مزولة في المسجد الحرام وذلك لمعرفة وقت حلول أوقات الصلوات الخمس[2]، كما أنه جدد بناء الحِجر[3]، وقام بزخرفة الكعبة بالذهب، وبنى أبواب الحرم الشريف ورفع أعتابها حتى لاتدخل مياه الامطار داخل المسجد الحرام[4]، وقام أيضا بعدة اصلاحات في المشاعر المقدسة حيث جدد بناء مسجد الخيف بمنى، كما عمر المسجد الواقع فوق جبل عرفات وبنى درجا يصعد فيه الى أعلى الجبل، وكان الحجاج قبل ذلك يجدون مشقة كبيرة اثناء صعودهم لذلك الجبل[5]. كما أنه قام أيضا ببناء البرك والأحواض في عرفات وأوصل اليها المياه من وادي نعمان[6] في قنوات محفورة تحت الأرض، وحرصا على تأمين المياه للحجاج دفع للقبائل القاطنة على طريق تلك القنوات مبالغ كبيرة ليقوموا بحمايتها والمحافظة عليها[7].

---

(١) كان وزيرا لصاحب الموصل قطب الدين مودود بن زنكي، اشتهر ذلك الوزير بالجود والكرم والاحسان، وكان كثير الصلاة غزير البر والصدقات له آثار عظيمة بمكة والمدينة، توفي سنة ٥٥٩هـ/١١٦٤م ونقلت جنازته الى المدينة ودفن بها.
انظر : ابن الجوزي : المنتظم، ٢٠٩/١٠ ؛ ابن الاثير : الكامل، ٨٨/٩، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان، ٢٤٨/٨ ؛ ابو الفدا : المختصر، ٤١/٣-٤٢.

(٢) الفاسي : شفاء الغرام، ٣٨٩/١.

(٣) ابو الفدا : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها.

(٤) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة، ٣٦٥/٥.

(٥) أبو شامة : الروضتين، ١٣٦/١، ١٣٧، ١٣٨.

(٦) وادي نعمان : واد يقع بين مكة والطائف على طريق الهدا وينحدر هذا الوادي الى عرفة ويجتمع بوادي عرنة انظر : الحموي : معجم البلدان، ٢٩٣/٥ ؛ البلادي : معالم مكة، ص ٣٠٤-٣٠٥.

(٧) ابن الاثير : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها ؛ ابن جبير : الرحلة، ص ١٠٢-١٠٣.

موقف الأميرين مكثر بن عيسى وأخيه داود من الخلافة العباسية

ان الدارس لتاريخ علاقات مكة الخارجية فى عهد أمراء الهواشم يجد أن أمراء مكة الذين تولوا امارتها منذ عهد الأمير عيسى بن فليتة حتى سقوط امارة الهواشم (٥٥٧ - ٥٩٧هـ ١١٦١ - ١٢٠٠م) قد منحوا كامل ولائهم للخلافة العباسية[1] ببغداد وأصبحت الخطبة العباسية فى تلك الفترة فرضا وواجبا على كل أمير يريد البقاء فى منصبه ، لأن التعيين والعزل أصبح بيد الخليفة العباسى[2] ، ولكن الأمير مكثر بن عيسى الذى تولى امارة مكة سنة ٥٧١هـ/١١٧٥م قد ساءته تلك السياسة العباسية فقام بمحاولة لتثبيت مركزه حتى يتحاشى استبداد الخلافة العباسية به[3] حيث قام بتجهيز قوة عسكرية مدربة ومجهزة بكامل الأسلحة اللازمة ، ثم بنى حصنا على جبل أبى قبيس ليكون مركزا لتحركاته العسكرية كما انه أراد أن يكون ذلك الحصن ملجأ له اذا مافكر العباسيون بمهاجمته أو محاولة عزله عن الامارة[4] .

---

(١) وهم الأمير عيسى بن فليتة ، الأمير داود بن عيسى ، الأمير مكثر بن عيسى ، الأمير قاسم بن مهنا الحسينى ، الأمير داود ، الأمير مكثر الذى استمر حتى سقوط امارة الهواشم على يد قتادة الحسنى .
ولمزيد من المعلومات راجع الفصل الأول ، من ص٩٠ إلى ص٩٩.

(٢) ابن خلدون : العبر ، ١٠٤/٤ ; ابن فهد : اتحاف الورى ، ٥٢٣/٢، ٥٣٧، ٥٥٩ .

(٣) ابن جبير : الرحلة ، ص ١٤٩ ; السباعى : تاريخ مكة ، ٢٢٢/١ .

(٤) الفاسى : شفاء الغرام ، ٣٦٧/٢ ; جميل حرب : الحجاز واليمن ، ص ٣٠ .

وعلى الرغم من قيامه بكل هذه الترتيبات العسكرية الا أنه لم يفكر فى قطع الخطبة عن العباسيين والأيوبيين بمكة المكرمة [١] ، ولكن تلك التحصينات العسكرية قد أقلقت الخلافة العباسية التى خشيت من زوال نفوذها وسيادتها على مكة المكرمة ، فغضب الخليفة العباسى المستضىء واعتبر ذلك العمل تحديا له واستهتارا بالسيادة العباسية على مكة ، فأصدر أوامره فور سماعه تلك الأخبار بتجهيز قوة عسكرية كبيرة مزودة بالأسلحة، وأسند قيادة تلك القوة الى أمير الحج العراقى طاشتكين وكلفه بالقضاء على التحركات المكية ، والقيام بعزل وابعاد الأمير مكثر عن امارة مكة واعادة أخيه داود الى الامارة [٢] بعد أن تؤخذ عليه الشروط والضمانات بقبول السيادة العباسية على مكة ، فدخل طاشتكين وقواته الى مكة فى السابع من ذى الحجة لعام ٥٧١هـ/١١٧٥م [٣] فدارت بينه وبين الأمير مكثر معركة استمرت ثلاثة أيام وكان النصر فى النهاية للقوات العباسية [٤] ، فاضطر الأمير مكثر الى الانهزام والتحصن داخل الحصن الذى بناه على جبل أبى قبيس ، ولكن القوات العباسية لم تتركه وشأنه بل حاصرته حصارا شديدا ، وضيقت عليه الخناق وذلك مما أجبره على الهرب عن مكة خوفا على

---

(١) الفاسى : المصدر السابق نفسه ، ٣٦٩/٢ ؛ السباعى : المرجع السابق نفسه والصفحة نفسها .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ١٣٧/٩ ؛ ابو الفدا : المختصر ، ٥٨/٣ ؛ الفاسى : المصدر السابق نفسه ، ٣٦٧/٢ .

(٣) ابن فهد : المصدر السابق ، ٥٣٦/٢-٥٣٧ ، الجزيرى : الدرر الفرائد ، ٥٧١/١-٥٧٢ .

(٤) ابن فهد : غاية المرام ، ٥٣٩/١-٥٤٠ .
ولمزيد من المعلومات عن تلك المعركة راجع الفصل الأول ص ٩٥-٩٦ .

نفسه ، ثم قامت القوات العباسية بهدم ذلك الحصن حتى لايحاول هو أو غيره من أمراء الهواشم تكرار ذلك .(١)

وعلى الرغم من انتصار القوات العباسية فى تلك المعركة الا أن أهالى مكة قد تضرروا كثيرا من جراء تلك المناوشات حيث انعدم الأمن فى بلادهم وتعرضت منازلهم للنهب والحرق والهدم ،(٢) كما أن حجاج بيت الله قد تضرروا أيضا فقد استغل قطاع الطرق والبادية تلك الاضطرابات فقاموا بالاعتداء على الحجاج ونهبوا أموالهم وأمتعتهم .(٣)

ولم يلاحظ فى تلك الفترة أى موقف أو اجراء عباسى تجاه تلك الاضطرابات لأنه يبدو أن اهتمام وتركيز القائد العباسى كان منصبا على تثبيت وتركيز السيادة العباسية على مكة المكرمة ، وحتى يتحقق ذلك فقد رأى طاشتكين أن أمير المدينة قاسم بن مهنا الحسينى الموجود بمكة فى تلك الفترة هو أحق بالامارة من غيره فقام بتعيينه أميرا على مكة ، ولكن ذلك الأمير قد أدرك أن أمراء الهواشم لن يسمحوا بأن تضيع امارتهم سدى وأن يستولى عليها شخص ليس منهم لذلك فقد طلب من الأمير طاشتكين اعفاءه من تلك الامارة حيث قال له : "انى لاأتجاسر أن أقيم بمكة بعد خروج الحاج".(٤) وبعد ثلاثة أيام من امارته قام طاشتكين بتعيين الأمير داود بن عيسى أميرا على مكة بعد أن أخذ عليه العهود والمواثيق باسقاط المكوس والضرائب عن جميع الحجاج القادمين الى مكة ، كما

---

(١) ابن الجوزى : المنتظم ، ٢٦٠/١٠ ؛ الفاسى : العقد الثمين ، ١٨٨/١ ؛ القاسم بن يوسف السبتى : مستفاد الرحلة والاغتراب ، تحقيق عبد الحفيظ منصور ، تونس ١٣٩٥هـ/١٩٧٥ ، ص ٣٥٢ .

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق نفسه ، ١٣٧/٩-١٣٨ ؛ العصامى : سمط النجوم العوالى ، ٢٠٥/٤ .

(٣) الفاسى : شفاء الغرام ، ٣٦٨/٢ .

(٤) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٥٣٧/٢-٥٣٨ .

اشترط عليه أيضا أن يكون حريصا على استتباب الأمن في البلاد واقامة العدل بين الناس والترفق بهم (١) .

وهكذا باءت حركة الأمير مكثر بن عيسى بالفشل الذريع فلم تقم لأمراء الهواشم بعد تلك الحركة أى محاولة للخروج عن طاعة العباسيين أو تحديهم رغم مواصلة العباسيين لسياسة التدخل في شؤون مكة الداخلية ، حيث كان العباسيون في تلك الفترة يكلفون كبار الشخصيات العباسية المتوجهة الى مكة لأداء فريضة الحج بأن يقوموا بمراقبة أمير مكة لمعرفة مدى حرصه على توفير الأمن والاستقرار لحجاج بيت الله ومدى ولائه واخلاصه للخلافة العباسية (٢) ، ومما يؤكد ذلك ماذكره بعض المؤرخين من أن أم الخليفة العباسي الناصر (٣) قد حجت الى مكة سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م وذلك في عهد الأمير داود بن عيسى فرأت عليه بعض الملاحظات التي تستوجب عزله. فحينما عادت الى بغداد أخبرت ابنها الخليفة العباسي الناصر بما رأته، فأصدر قرارا يقضي بعزله وابعاده عن امارة مكة ، وأمر باعادة

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ٣٥٤/٤-٣٥٥ .

(٢) أبو شامة : الروضتين ، ٢١١/٢-٢١٢ .

(٣) هي زمرد خاتون ، كانت صالحة كثيرة المعروف والصدقات دائمة البر والصلات متفقدة لأرباب البيوت ، حجت الى مكة في سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م وأنفقت فيها ثلاثمائة ألف دينار وكان معها نحو ألفي جمل وتصدقت على أهل الحرمين وأصلحت البرك والمصانع المتعطلة في الطريق ، توفيت في جمادى الأولى سنة ٥٩٩هـ/١٢٠٢م وحزن عليها ابنها الخليفة الناصر حزنا عظيما وحزن عليها أيضا أهل بغداد لأنها كانت محسنة الى الناس .
انظر : أبو شامة : الذيل على الروضتين، صححه محمد الكوثري ، ط٢ ، بيروت ١٩٧٤م ، ص ٣٣ ؛ الفاسي : المصدر السابق نفسه ، ٢٣٨/٨-٢٣٩ .

الأمير مكثر الى الامارة من جديد فهذا[1] يدل دلالة واضحة على أن الأمير مكثر كان على علاقة طيبة مع الخلافة العباسية فى تلك الفترة ، فيبدو أنه قدّم للخليفة العباسى كامل اعتذاره عن كل التصرفات التى بدرت منه فاستمر الأمير مكثر بعد ذلك يحكم مكة وهو ملتزم بما كانت تمليه عليه الخلافة العباسية فلم يظهر منه أى معارضة لأى اجراء كانت تتخذه الدولة العباسية بمكة المكرمة فى تلك الفترة ، فقد ذكر ابن جبير فى رحلته أن القضاء بمكة فى عهد الأمير مكثر الذى أعيد للامارة بعد عزله كان بتعيين من حكومة بغداد فذكر أن أمير الحج العراقى طاشتكين قدم الى مكة سنة ٥٧٨هـ/١١٨٢م وكان برفقته الخطيب المعين للقضاء بمكة والذى يدعى تاج الدين[2]، كما أن الخلافة العباسية كانت تقوم بتعيين وعزل حجبة بيت الله الحرام وكان الأمير مكثر ينفذ جميع القرارات الخاصة بالعزل والتعيين دون أى معارضة تذكر منه[3].

واستمر الأمير مكثر بن عيسى آخر أمراء الهواشم على ولائه التام للخلافة العباسية والدولة الأيوبية حتى نهاية امارته على مكة سنة ٥٩٧هـ/١٢٠٠م[4] والتى تعتبر نهاية لامارة الهواشم على مكة المكرمة[5].

---

(١) ابن خلدون : العبر ، ١٠٤/٤ ؛ القلقشندى : صبح الأعشى ٢٧١/٤ ، وعن ذلك العزل راجع الفصل الأول ، ص ٩٧.
(٢) لم يذكر ابن جبير اسم ذلك القاضى كاملا .
(٣) ابن جبير : الرحلة ، ص ١٥٦،١٥٧،١٥٨ ؛ السباعى : تاريخ مكة ، ٢٤٢/١ .
(٤) الفاسى : شفاء الغرام ، ٣١٥/٢ .
(٥) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٥٦٦/٢ .

الفصل الثالث

أحوال مكة المكرمة وعلاقاتها الخارجية بعد نهاية النفوذ الفاطمي في الحجاز

(أ) موقف أمراء الهواشم من الدولة الأيوبية .

(ب) الهواشم ودورهم في تأمين طرق الحج وحمايتها من اعتداءات الأعراب .

(ج) نهاية نفوذ الهواشم بمكة المكرمة .

(أ) موقف أمراء الهواشم من الدولة الأيوبية

لقد شهدت بلاد مصر فى أواخر العهد الفاطمى كثيرا من الفوضى والاضطرابات وذلك نتيجة لكثرة الوزراء وتنافسهم الحاد على تولى الوزارة ، ومما شجعهم على ذلك التنافس صغر سن الخلفاء الفاطميين الذين تولوا الخلافة فى تلك الفترة (١) .

فكان من البديهى أن يكثر الطامعون وتشتد المنافسة والنزاع على وظيفة الوزارة ، مما أدى الى نشوب الحرب بين هؤلاء المتنافسين (٢) ، فضعفت البلاد وتدهورت أحوالها الداخلية وأصبحت هدفا ومطمعا للقوى الخارجية التى اتخذت من ذلك التنافس وسيلة لتحقيق مطامعها فى الاستيلاء على البلاد المصرية (٣) . فحينما نشب الخلاف والنزاع بين الوزيرين ضرغام (٤)

---

(١) وهؤلاء الخلفاء هم الظافر بالله اسماعيل بن الحافظ تولى الخلافة وكان عمره ست عشرة سنة بدأت منذ سنة (٥٤٤ - ٥٤٩هـ/١١٤٩ - ١١٥٤م) ، والخليفة الفاطمى الفائز بنصر الله عيسى تولى الخلافة وكان عمره خمس سنين بدأت خلافته من سنة (٥٤٩ - ٥٥٥هـ/١١٥٤ - ١١٦٠م) والخليفة العاضد لدين الله الذى بدأت خلافته منذ سنة (٥٥٥ - ٥٦٧هـ/١١٦٠ - ١١٧١م) .
انظر : ابن دقماق : الجوهر الثمين فى سير الخلفاء والملوك والسلاطين ، ص ٢١٤-٢١٨ ؛ حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى ، ١٨٤/٤ .

(٢) أبو شامة : الروضتين ، ١٦٥/١ ؛ العبادى : فى التاريخ العباسى والفاطمى ، ص ٣١٢ .

(٣) المناوى : الوزارة والوزراء ، ص ٢٣٢ .

(٤) هو الوزير ضرغام بن عامر بن سوار اللخمى تولى وزارة مصر من سنة ٥٥٨هـ الى سنة ٥٥٩هـ ترقى فى المناصب حتى وصل الى الوزارة بعد أن طرد شاور عنها فدار خلاف كبير بينه وبين شاور انتهى بمقتله فى أواخر جمادى الآخرة سنة ٥٥٩هـ/١١٦٤م .
انظر : ابن كثير : البداية والنهاية ، ٢٤٧/١٢ ؛ المناوى : المرجع السابق ، ص ٢٨٩ .

وشاور[1] على وزارة مصر سنة ٥٥٨هـ/١١٦٢م لم يتردد كل من هذين المتنازعين فى الاستعانة بقوى خارجية فى سبيل تحقيق غرضه والتغلب على خصمه ومنافسه ، فالوزير ضرغام استنجد بالمليبيين ، وتعهد لهم مقابل مساعدته أن يعقد معهم[2] معاهدة تصبح مصر بموجبها تابعة للمليبيين[3] ، أما الوزير شاور فقد استنجد هو الآخر بقوة نور الدين محمود زنكى ، صاحب حلب ودمشق[4] ، الذى لم يمانع من الاستجابة لمطالب شاور حيث جهز له قوة عسكرية كبيرة يرأسها قائده أسد الدين شيركوه وقد رافق أسد الدين فى تلك الحملة ابن أخيه السلطان صلاح الدين الأيوبى الذى كان عندئذ فى السابعة والعشرين من عمره فاتجهت تلك القوة الى مصر سنة ٥٥٩هـ/١١٦٣م ، فوصلت الى الدلتا قبل قدوم المليبيين اليها فواصلت زحفها حتى بلغت أسوار القاهرة ولم يلبث أن تخلى

---

(١) هو الوزير أبو شجاع شاور السعدى عربى الأصل ولاه الوزير الصالح بن رزيك ولاية الصعيد واستطاع بعد فترة أن ينتزع وزارة مصر من يد رزيك بن الصالح واستمر بعد ذلك فى وزارته حتى أخرجه الوزير ضرغام فالتجأ الى نور الدين فأمده بقوة عسكرية كبيرة استطاع بها أن يصل الى الوزارة ولما تولاها تنكر لشيركوه قائد تلك القوة العسكرية واستعان بالمليبيين وذلك مما أدى الى قتله سنة ٥٦٤هـ/١١٦٨م .
انظر : ابن كثير : المصدر السابق ٢٥٩/١٢ ؛ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ٣٤٦/٥-٣٥٠ ؛ المنساوى : المرجع السابق ، ص ٢٨٨-٢٨٩ .

(٢) أحمد شلبى : موسوعة التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية ط٣ ، القاهرة ١٩٧٧م ، ١٤٦/٥ .

(٣) سعيد عاشور : شخصية الدولة الفاطمية فى الحركة المليبية ، ص ٤٦ .

(٤) ابن تغرى بردى : المصدر السابق نفسه ، ٣٤٦/٥-٣٤٧ .

الجيش والخليفة وعامة الناس عن الوزير ضرغام فقتل أثناء محاولته الهرب (١)، وأصبح الأمر بعد ذلك بيد الوزير شاور الذى بدأت خيانته تظهر منذ تلك الفترة وذلك حينما استنجد بالصليبيين ودعاهم الى محاربة قوات شيركوه المتواجدة بمصر فقدم هؤلاء الصليبيين كامل مساعداتهم العسكرية للوزير شاور حيث دخلوا الى مصر واستطاعوا أن يحاصروا قوات أسد الدين شيركوه محاصرة شديدة استمرت شهرين كاملين اضطروا بعدها الى فك الحصار وذلك لعلمهم أن نور الدين زنكى قد هاجم بلادهم وحاصرها (٢). كما أن القائد شيركوه قد عاد هو الآخر الى الشام وذلك للقيام بخدمة نور الدين زنكى (٣).

عندئذ أصبحت الأمور بمصر بيد الوزير شاور الذى أخذ يواصل سياسة الظلم والتعسف ضد السكان ، فلم يبق للخليفة الفاطمى العاضد معه أمر ولانهى ، مما اضطره للاستنجاد بنور الدين زنكى (٤) الذى لم يتباطأ فى ارسال تلك القوة العسكرية التى يرأسها أسد الدين شيركوه (٥) وذلك سنة ٥٦٢هـ/١١٦٦م فسار شيركوه الى مصر ومعه ابن أخيه صلاح الدين واستطاعا أن يهزما الوزير شاور وأعوانه ، وحينما اتضح لشيركوه خيانة

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، ٨٤/٩-٨٥ ؛ عاشور : المرجع السابق ، ص ٥٠ .

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها ؛ المناوى : الوزارة والوزراء ، ص ٢٣١ .

(٣) أبو شامة : الروضتين ، ١٦٧/١، ١٦٨، ١٦٩ .

(٤) كمال الدين ابن العديم : زبدة الحلب من تاريخ حلب ، تحقيق سامى الدهان ، بيروت ١٩٥٤م ، ٣٢٦/٢ .

(٥) ابن الأثير : المصدر السابق نفسه ، ٩٤/٩-٩٥ ؛ ابن تغرى بردى : المصدر السابق نفسه ، ٣٤٩/٥-٣٥٠ .

شاور قام بقتله والخلاص منه ، ومن ثم تولى شيركوه وزارة مصر ولقب بالملك المنصور أمير الجيوش [١] ، وبعد شهرين من وزارته توفي وقام الخليفة الفاطمي العاضد بتعيين صلاح الدين الأيوبي مكانه ولقبه بالملك الناصر [٢] ، ولما اشتد ضعف الخليفة العاضد كتب السلطان نور الدين زنكي الى السلطان صلاح الدين الأيوبي يأمره بقطع الخطبة بمصر عن الخليفة العاضد واقامتها للخليفة العباسي المستضيء بأمر الله (٥٦٦ - ٥٧٥هـ/١١٧٠ - ١١٧٩م) [٣] فقام السلطان صلاح الدين بتنفيذ تلك الأوامر سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م واقيمت الخطبة على منابر مساجد مصر للعباسيين ، فسقطت الخلافة الفاطمية بعد حياة استمرت نحو قرنين من الزمان واستولى صلاح الدين على كامل البلاد المصرية ، وأعلن قيام الدولة الأيوبية بها سنة ٥٦٩هـ/١١٧٣م [٤] فدخلت بلاد مصر منذ تلك الفترة عهدا جديدا حيث استطاع صلاح الدين أن يوطد الامور وينقل البلاد الى المذهب السني والتبعية للخلافة العباسية ، كما استطاع أن يصد حملات الصليبيين على دمياط وأن يقف في وجه هؤلاء الأعداء بكل قوة وشجاعة حتى استرد بيت المقدس بعد أن وحد جميع القوى الاسلامية في جبهة واحدة [٥] . ولاشك أن تلك الأوضاع المتردية بمصر في أواخر العهد الفاطمي قد ظهر اثرها

---

(١) أبو شامة : المصدر السابق نفسه ، ١٥٦/١-١٧٢ .
(٢) السيوطي : حسن المحاضرة ، ٤/٢ .
(٣) ابن العديم : المصدر السابق نفسه ، ٣٣٣/٢ ، ابن دقماق : الجوهر الثمين ، ص ٢٢٠ ، محمود كامل : اليمن شماله وجنوبه ، ص ١٧٩ .
(٤) الذهبي : العبر في خبر من غبر ، ٤٩/٣ ؛ عاشور : شخصية الدولة الفاطمية ، ص ٦٥-٦٦ .
(٥) المناوي : الوزارة والوزراء ، ص ٢٣٤ .

وصداها واضحا بمكة المكرمة حيث اضطربت بها الأوضاع الاقتصادية وانعدمت بها المؤن ، وغلت الأسعار فى أسواقها ، وذلك نتيجة لتوقف قدوم التجار المصريين اليها (١) نظرا لانشغالهم بالأحداث السياسية الموجودة في بلادهم (٢) ، كما كان لتوقف المعونات الفاطمية عن مكة فى تلك الفترة أثر فى تردى الأوضاع الاقتصادية بها .

فالى جانب ماكانت تعانيه مكة المكرمة من أزمة اقتصادية كانت تعيش أزمة سياسية اتسمت بالفوضى والاضطرابات نتيجة للحروب الطاحنة التى كانت تدور رحاها بمكة المكرمة بين الأميرين عيسى بن فليتة ، وأخيه مالك بن فليتة (٣) .

ومما لاشك فيه أن هذه الأمور المضطربة قد شجعت السلطان صلاح الدين الأيوبى على فرض سيادته على مكة المكرمة ، فقد أخذت تطلعاته تظهر منذ تلك الفترة نحو بلاد الحجاز وخاصة مكة المكرمة والمدينة المنورة وذلك نظرا لمكانة هاتين المدينتين المقدستين فى نفوس المسلمين (٤) لأنه أدرك أن الاشراف

---

(١) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٢/٥٢٩ ؛ باقاسى : بلاد الحجاز ص ٣١-٣٢ .

(٢) تمثلت هذه الأوضاع المضطربة فى ذلك الصراع الذى أشرنا اليه سابقا بين أسد الدين شيركوه وبين شاور والفرنج ولمزيد من المعلومات حول ذلك النزاع انظر : ابن الأثير : الكامل ، ٨٤/٩، ٩٩، ١٠٠ ؛ أبو شامة : الروضتين ١/١٥٤-١٥٦ ؛ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ٥/٣٤٦-٣٥١ .

(٣) ابن فهد : المصدر السابق نفسه ، ٢/٥٣١-٥٣٢ . ولمزيد من التفاصيل حول تلك الحروب راجع الفصل الأول ص ١١٠ .

(٤) القوصى : تجارة مصر ، ص ١٦٤ ؛ باقاسى : بلاد الحجاز ، ص ٣٧ .

عليهما سيجعله يحظى باحترام وتقدير كافة المسلمين في البلدان الاسلامية ، هذا بالاضافة الى أن السلطان صلاح الدين كان يسعى للسيطرة على طريق التجارة في البحر الأحمر نظرا لأهمية ذلك الطريق في حروبه مع الصليبيين (١) ، خاصة في الوقت الذي بدأ فيه الخطر الصليبي يمتد نحو البحر الأحمر بغية الاستيلاء على المقدسات الاسلامية (٢) .

كما أن هناك عاملا دينيا كان وراء استيلاء السلطان صلاح الدين الأيوبي على مكة المكرمة وهو الغاء بعض المعتقدات الشيعية التي تسربت الى مكة ابان العهد الفاطمي بما فيها ابطال الآذان بحي على خير العمل المقام على مآذن مساجد مكة المكرمة والمشاعر المقدسة (٣) .

وكان السلطان صلاح الدين الأيوبي قد حرص على ضم بلاد الحجاز للدولة الأيوبية وذلك نظرا لأهميتها الاستراتيجية بالنسبة للأيوبيين في اليمن فقد كانت بمثابة حلقة وصل بينهم وبين الأيوبيين في مصر والشام وعن طريق الحجاز كانت تصل الامدادات والنجدات والجيوش الى بلاد اليمن ، فبلاد الحجاز كانت بمثابة مفتاح اليمن آنذاك ، وعن طريقها سارت معظم الحملات العسكرية الأيوبية الى اليمن (٤) .

---

(١) باقاسي : المرجع السابق نفسه والصفحة نفسها .
(٢) القوصي : المرجع السابق نفسه ، ص ١٥٨ .
(٣) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ٧٨/٦ .
(٤) محمد بن علي عسيري : العلاقات السياسية بين الحجاز واليمن في عهد الأيوبيين ، (مجلة كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، العدد الخامس ١٤٠١هـ/١٩٨١م) ، ص ١١٧ .

هذه هي أهم العوامل التي جعلت السلطان صلاح الدين الأيوبي تتجه أنظاره نحو بلاد الحجاز .

وكانت مكة المكرمة في أواخر العهد الفاطمي تحت حكم الأمير عيسى بن فليتة الذي بدأ النفوذ الأيوبي يمتد الى مكة في عهده[1] ، حيث أعد السلطان صلاح الدين الأيوبي حملة عسكرية كبيرة عهد بقيادتها الى أخيه[2] شمس الدولة توران شاه وكلفه بالتوجه الى اليمن[3] شريطة أن يكون مارا بمكة المكرمة ليقيم الخطبة على منابرها للسلطان نور الدين محمود زنكي وللخليفة العباسي المستضيء ويوطد السيادة الأيوبية والعباسية بها، فزحف القائد الأيوبي شمس الدولة توران شاه

---

(١) أبو شامة : الروضتين ، ٢٢٩/١ ؛ جميل حرب : الحجاز واليمن ، ص ٢٩ .

(٢) تقي الدين المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك ، تصحيح محمد مصطفى زيادة ، ط٢ ، القاهرة ١٩٥٦م ، ٥٢/١

(٣) وكان سبب توجهه الى بلاد اليمن قد اختلف فيه المؤرخون فبعضهم ذكر أن رجلا من أهل اليمن يقال له ابن النساخ كتب رسالة الى الخليفة العباسي ببغداد يشكوا فيها من عبد النبي بن مهدي ويذكر قبح سيرته ، وسوء عقيدته ، وظلمه للسكان لذلك كتب الخليفة الى السلطان صلاح الدين يأمره بالتوجه الى اليمن لقتال هذا الخارجي ، كما ذكر البعض أن الشريف قاسم بن يحيى بن وهاس قد استنجد بالخليفة الفاطمي العاضد قبيل وفاته من غارات بني مهدي فطلب العاضد من صلاح الدين بأن يتوجه الى اليمن ، وقد ذكر البعض أن السبب الحقيقي في توجه تلك الحملة الى اليمن هي خوف صلاح الدين وأهله من السلطان نور الدين ، فقد كانوا يتوقعون بين الحين والآخر دخول نور الدين الى مصر وانتزاعها منهم فأراد صلاح الدين أن يرتاد موضعا يلجأ اليه اذا قصده نور الدين فوقع اختيارهم أولا على بلاد النوبة فلما سار اليها صلاح الدين لم تعجبه فقدم اليهم عمارة اليمني ومدح لهم بلاد اليمن وكثرة خيراتها وهون عليهم استيلاؤها لذلك توجهت تلك الحملة التي يرأسها توران شاه الى اليمن فاستولى على زبيد وصنعاء ومعظم مدن بلاد اليمن بعد أن قضى على الأسر التي كانت تحكم تلك المدن .
انظر : الخزرجي : العسجد المسبوك ، ورقة ١٥١-١٥٢ ؛ المقريزي : المصدر السابق نفسه ، ١/قسم ١ ، ص ٥٢-٥٣؛ العرشي : بلوغ المرام في شرح مسك الختام ، ص ١٨-٤١ .

بقواته في رجب سنة ٥٦٩هـ/١١٧٣م [1] ، واستطاع أن يدخل مكة المكرمة دون أن يجد أية مقاومة تذكر من أميرها عيسى بن فليتة الذى كان معارضا وغير راض عن دخول القوات الأيوبية الى مكة، ومما يبرهن على ذلك تلك الرواية التى أوردها سبط ابن الجوزى بقوله ان الأمير عيسى بن فليتة حينما بلغه قدوم ذلك القائد الأيوبى هرب عن مكة وأخذ معه مفاتيح الكعبة [2] .

ولكن ذلك التصرف الذى قام به أمير مكة لم يمنع القائد الأيوبى من تحقيق أهدافه ومهماته التى أرسل من أجلها حيث دخل المسجد الحرام ، وطاف بالبيت العتيق ، ودعا الله بقوله "اللهم ان كنت تعلم أنى جئت الى هذه البلاد لاصلاح العباد وتعهدها فيسر على فتح الباب وان كنت تعلم أنى جئت لغير ذلك فلاتفتحه" [3] . فاستجاب الله عز وجل دعاءه حيث تمكن من فتح الباب بعد أن جذب القفل بيده ، ودخل الكعبة وصلى ودعا الله بها .

وحينما علم الأمير عيسى بن فليتة بذلك ندم كثيرا ، وقدم الى توران شاه معلنا له عن اعتذاره وندمه على تصرفه الذى بدر منه [4] ، ثم بادر بعد ذلك بتقديم فروض الطاعة والولاء والترحيب به وبالسيادة الأيوبية والعباسية على مكة المكرمة [5] .

---

(١) أبو شامة : الروضتين ، ٢١٦/١ ؛ الخزرجى : المصدر السابق نفسه ، ورقة ١٥١ .

(٢) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، قسم ١ ، ٨/٣٠٠-٣٠١ .

(٣) المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها .

(٤) المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها .

(٥) المالكى : بلاد الحجاز ، ص ٤٠-٤١ .

وإزاء ذلك الولاء فقد خلع عليه توران شاه وعلى أصحابه وطيب قلوبهم ، وأقر الهواشم على امارة مكة المكرمة (١) ، ثم أقيمت الخطبة على منابر مكة للخليفة العباسي المستضيء وللسلطان نور الدين محمود زنكي والسلطان صلاح الدين الأيوبي وذلك سنة ٥٦٩هـ/١١٧٣م (٢) .

وتعد هذه الخطبة ايذانا ببداية النفوذ الأيوبي على بلاد الحجاز وأصبحت امارة مكة المكرمة منذ تلك الفترة تحت اشراف وسيادة الدولة الأيوبية والعباسية ببغداد ، وعلى الرغم من أن الأيوبيين قد أبقوا أمراء الهواشم في امارة مكة الا انهم لم يتمتعوا بالاستقلال التام بسبب تدخل العباسيين والأيوبيين في شئون مكة الداخلية كلما سنحت الفرصة بذلك لدرجة استخدام القوة والشدة أحيانا لاخضاع بعض أمراء الهواشم من ذوي النزعة الاسقلالية (٣) .

ولكي يبقى الهواشم في امارة مكة فقد اشترط الأيوبيون عليهم عدة شروط منها الغاء المكوس المفروضة على حجاج بيت الله الحرام ، والتعهد باقامة الخطبة على منابر مكة للسلطان الأيوبي بجانب اسم الخليفة العباسي (٤) ، كما اشترطوا عليهم أيضا القيام بتوفير الأمن لأهالي مكة وحجاج بيت الله

---

(١) سبط ابن الجوزي : المصدر السابق نفسه ، قسم ١، ٨/٣٠٠-٣٠١ ؛ القوصي : تجارة مصر ، ص ١٦٤ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ١٢٥/٩ ؛ الجزيري : الدرر الفرائد ، ٥٦٩/١ ؛ القوصي : المرجع السابق نفسه والصفحة نفسها .

(٣) العسيري : العلاقات السياسية بين الحجاز واليمن في عهد الأيوبيين ، ص ١١٤ .

(٤) السيوطي : حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، ٢٠/٢ ؛ السباعي : تاريخ مكة ، ٢٤٢/١ .

والعمل على تهيئة الظروف المناسبة لهم ليؤدوا فريضتهم بكل يسر وسهولة ، وعلاوة على ذلك أصدر السلطان الأيوبي صلاح الدين أوامره الى أمير مكة مكثر بن عيسى سنة ٥٧٩هـ/١١٨٣م يأمره بالرفق بحجاج بيت الله ويحثه على مساعدتهم وكف الظلم والاعتداء عليهم، كما أمره بانزال العقوبة على كل من حاول الاخلال بأمن البلد المقدس حيث كتب اليه خطابا جاء فيه "انما نحن وأنت متقلبون في بركة الحاج فتأمل هذا المنزع الشريف والمقصد الكريم واحسان الله يتضاعف الى من أحسن الى عباده ، واعتناؤه الكريم موصول لمن جعل همه الاعتناء بهم ، والله عز وجل كفيل بجزاء المحسنين ، انه ولى ذلك لارب سواه " (١).

وحتى يتأكد السلطان صلاح الدين الأيوبي من تنفيذ تلك الأوامر الأيوبية كلف أخاه طغتكين بن أيوب بالذهاب الى مكة ومنها الى اليمن وذلك للقضاء على الفتن والاضطرابات التي أحدثها نوابه هناك (٢).

---

(١) ابن جبير : الرحلة ، ص ٧٤ .

(٢) ابوبكر بن عبد الله بن أيبك الدواداري : كنز الدرر وجامع الغرر ، تحقيق سعيد عاشور ، القاهرة ١٣٩١هـ/١٩٧١م ، ٧٠/٧ .
وكان سبب هذه الاضطرابات هي تلك الخلافات الدائرة بين عثمان الزنجيلي والي عدن، وحطّان بن منقذ والي زبيد ، وقد بدأت تلك الخلافات بعد موت توران شاه حيث ادعى كل واحد منهم أنه أحق من الآخر في حكم بلاد اليمن عامة. فخشي السلطان صلاح الدين الأيوبي من خروج مملكة اليمن من يده فبعث أخاه سيف الاسلام طغتكين بن أيوب سنة ٥٧٩هـ/١١٨٣م ومعه قوة عسكرية كبيرة استطاع بها أن يقضي على تلك الخلافات وأن يعيد بلاد اليمن الى الحكم الأيوبي من جديد .
انظر : الدواداري : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها ، ابن الديبع : الفضل المزيد على بغية المستفيد ص ٨٢-٨٣ .

فحينما قدم طغتكين الى مكة فى رمضان سنة ٥٧٩هـ/١١٨٣م (١) كان فى مقدمة مستقبليه أميرها مكثر بن عيسى (٥٧١ - ٥٩٧هـ/ ١١٧٥ - ١٢٠٠م) الذى رحّب به وبقدومه حيث توجه الى مقر اقامته ومعسكره فى الزاهر ، وأعلن طاعته وولاءه للدولة الأيوبية والعباسية؛كما أعلن تعهده بالالتزام بجميع الأوامر التى تمليها عليه الدولة الأيوبية.فأمر فى ذلك العام بأن تقام الخطبة على منابر مكة له وللخليفة العباسى الناصر لدين الله وللسلطان صلاح الدين الأيوبى (٢)، وازاء ذلك الولاء من قبل الأمير مكثر بن عيسى قام سيف الاسلام طغتكين بن أيوب باكرامه وتشجيعه حيث خلع عليه خلعة ثمينة فى غاية الحسن والجمال قُدِّرت بألف مثقال من الذهب (٣).

ثم غادر طغتكين مكة متوجها الى اليمن لاكمال المهمة التى بعث من أجلها . الا أن الأحوال الداخلية بمكة لم تستقر بعد رحيل طغتكين عنها (٤)،فقد واصل الأمير مكثر بن عيسى سياسة الظلم والجور التى كان ينتهجها مع حجاج بيت الله الحرام حيث انه أعاد فرض المكوس والضرائب على الحجاج القادمين الى مكة والتى كان السلطان صلاح الدين الأيوبى قد أبطلها من قبل (٥).هذا اضافة الى مالقيه هؤلاء الحجاج من اعتداءات عليهم

---

(١) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٥٤٥/٢-٥٤٦ ؛ أبو مخرمة : تاريخ ثغر عدن ، ١٠١/٢ ؛ محمد عبد العال أحمد : الأيوبيون فى اليمن ، القاهرة ١٩٨٠م ، ص ١٢٠ .

(٢) ابن جبير : الرحلة ، ص ٧٣ ؛ الفاسى : شفاء الغرام ، ٣٦٩/٢ .

(٣) ابن الديبع : الفضل المزيد على بغية المستفيد فى أخبار مدينة زبيد ، ص ٨٢-٨٣ .

(٤) مورتيل : الأحوال السياسية ، ص ٣٢ .

(٥) أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين ، ٣/٢ .

من قبل عبيد الأشراف الذين لم يجدوا رادعا من أمير مكة[1] مكثر بن عيسى ، وهذا مالايريده السلطان صلاح الدين فقد نهاه من قبل عن ذلك التهاون والاهمال فيما يتعلق بأمن حجاج بيت الله الحرام .

ولما رأى منه الاعراض عن ذلك كتب اليه خطابا آخر شديد اللهجة يحمل في سطوره التهديد والوعيد له اذا لم يعمل على اقرار الأمن والاستقرار بمكة المكرمة فجاء فيه : "بسم الله الرحمن الرحيم : اعلم أيها الأمير الشريف ، أنه مازال نعمة عن أماكنها ، وأبرز الهمم عن مكامنها ، وأثار بسهم النوائب عن كنائنها كالظلم الذى لايعفو الله عن فاعله ، والجور الذى لايفرق فى الاثم بين قائله وقابله ، فاما رهبت ذلك الحرم الشريف ، وأجللت ذلك المقام المنيف ، والاقوينا العزائم ، وأطلقنا الشكائم ، وكان الجواب ماتراه لاماتقراه وغير ذلك ، فانا نهضنا الى ثغر مكة المحروسة فى شهر جمادى الأخرى ، طالبين الأولى والأخرى ، فى جيش قد ملأ السهل والجبل وكظم على أنفاس الرياح ، فلم يتسلسل بين الأسَل ، وذلك لكثرة الجيوش وسعادة الجموع ، وقد صارت عوامل الرماح تعطى فى بحر الدرر"[2] .

فلما لم يكف الأمير مكثر عن ظلمه للحجاج سارع طغتكين الى تأديبه باسم أخيه السلطان صلاح الدين الذى قدم الى مكة من اليمن فى رمضان سنة ٥٨١هـ/١١٨٥م واستولى عليها[3] ، وكلمة

---

(١) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٥٥١/٢ .
(٢) ابن فهد : المصدر السابق نفسه ، ٥٦٧/٢-٥٦٨ .
(٣) الفاسى : العقد الثمين ، ٦٢/٥-٦٣ ؛ الجزيرى : الدرر ، ٥٧٤/١ .

استولى تدل على أن مكة المكرمة في تلك الفترة كانت قد خرجت عن سيادة الأيوبيين ، وأن طغتكين قد أعاد تلك السيادة عليها من جديد ، وحتى يؤكد طغتكين السيادة الأيوبية مرة أخرى على مكة فقد أمر بأن تقام الخطبة على منابرها لأخيه السلطان صلاح الدين الأيوبي (١) ، كما أنه أمر ببناء دار لضرب النقود بمكة المكرمة وقام بسك الدراهم والدنانير فيها باسم أخيه السلطان صلاح الدين (٢) ، ثم قام أيضا بالغاء الأذان الشيعي في الحرم المكي الشريف (٣) ، والتفت بعد ذلك الى اصلاح الأمور الداخلية بمكة والقضاء على الفوضى والاضطرابات التي عادة مايحدثها عبيد الأشراف بمكة (٤) حيث قام بقتل الكثير من هؤلاء العبيد واشترط على البقية الذين لم تثبت ادانتهم باعتدائهم (٥) على الحجاج أن يكفوا عن تلك الاعتداءات والا سيتعرضون لأشد العقاب والجزاء .

أما عن موقفه مع الأمير مكثر بن عيسى الذى خرج عن طاعته وخالف أوامره فقد أرسل اليه رسولا يطلب منه أن يعيد له مفتاح باب الكعبة الذى كان قد أخذه معه عندما هرب الى جبل أبي قبيس (٦) وذلك حينما علم بقدوم طغتكين الى مكة ،

---

(١) ابن فهد : غاية المرام ، ٥٤٧/١-٥٤٨ ؛ الجزيرى : الدرر والفرائد ، ٥٧٤/١ .

(٢) العصامي : سمط النجوم العوالي ، ٢٠٦/٤ ؛ المالكى : بلاد الحجاز ، ص ١٠٥ .

(٣) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ٧٨/٦ .

(٤) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، قسم ١ ، ٣٨٨/٨ .

(٥) الفاسي : شفاء الغرام ، ٣١٤/٢-٣١٥ ؛ الجزيرى : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها .

(٦) الفاسي : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها ؛ ابن فهد : اتحاف الورى ، ٥٥٣/٢ .

الا أن مكثر قد قابل ذلك الطلب بالرفض وصمم على أن يبقى باب الكعبة مقفولا أمام طغتكين الذى لم يستسلم لموقف أمير مكة حيث أرسل اليه رسولا آخر يبدو أنه كان من أقاربه وأصحابه حيث أخبره بعزم واصرار طغتكين بأخذ مفتاح الكعبة منه بالقوة ، وكان طغتكين قد طلب من ذلك الرسول أن يبلغ الأمير مكثر تلك الرسالة الشفوية التى تتضمن العزيمة على أخذ مفتاح باب الكعبة بالقوة حيث قال له :"قل لصاحبك ان الله قد نهانا عن أشياء فارتكبناها ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم لاتأخذوا المفتاح من بنى شيبة فنأخذه ونستغفر الله تعالى" (١) . فأدرك الأمير مكثر بعد ذلك عدم استطاعته مجابهة وتحدى الأمير طغتكين لذلك قام بارسال مفتاح الكعبة اليه (٢) . ثم أعلن توبته وطاعته للأمير طغتكين عن تلك التصرفات التى بدرت منه ، كما أعلن تعهده بالالتزام بجميع الأوامر والقرارات التى تمليها عليه الدولة الأيوبية . عندئذ عفا عنه طغتكين وأقره على امارته من جديد (٣) ، ثم غادر الأمير الأيوبى مكة المكرمة متوجها الى بلاد اليمن بعد أن استطاع أن يعيد السيادة الأيوبية والعباسية على مكة ، وأن يقضى على جميع الفتن والاضطرابات الموجودة بها ، وأن يعيد الأمن والأمان لحجاج بيت الله الحرام (٤) ، كما أن هذا الأمير قد قام قبيل مغادرته مكة ببعض الأعمال الخيرية التى تعود على سكان

---

(١) سبط ابن الجوزى : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها.
(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها .
(٣) جميل حرب : الحجاز واليمن ، ص ٣٢ .
(٤) الفاسى : العقد الثمين ، ٥/٦٢-٦٣ ؛ العصامى : سمط النجوم العوالى ، ٤/٢٠٦ .

مكة بالخير والمنفعة [١] .

وعلى الرغم من أن الأيوبيين قد أقروا أمراء الهواشم على امارتهم الا انهم كانوا محل متابعة ومراقبة السلطان صلاح الدين الأيوبي لهم دائما وذلك للتأكد من مدى تطبيقهم للشروط والمواثيق المعقودة بينهما ، فتذكر بعض المصادر أن السلطان صلاح الدين الأيوبي قد استقبل في صفر سنة ٥٧٩هـ/١١٩٣م بعض الحجاج الشاميين القادمين من مكة وسألهم عن مكة المكرمة وعن أميرها وأحوالها السياسية والادارية [٢] ، فهذا بالطبع يؤكد حرص السلطان صلاح الدين واهتمامه الكبير بمكة المكرمة وأحوالها الداخلية .

والحقيقة أن أهالي مكة والحجاج القادمين اليها قدعاشوا حياة هادئة ومستقرة في ظل السيادة الأيوبية على مكة لأن السلاطين الأيوبيين قد اهتموا اهتماما كبيرا بأمور الحرمين الشريفين فقد قام السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٧٢هـ/١١٧٦م باصلاح جميع الطرق المؤدية الى مكة المكرمة وقام بتأمين تلك الطرق من هجمات الأعراب عليها ، حيث صرف للأعراب القاطنين على هذه الطرق أموالا كثيرة ليكفوا عن الاغارة على الحجاج وليقدموا لهم أقصى مايستطيعون من مساعدة [٣] ، هذا بالاضافة الى انه قد أصدر أوامره الى أمير مكة مكثر بن عيسى يأمره بتوفير الأمن لحجاج بيت الله والاعتناء بهم ، وقضاء حوائجهم ، وتوفير سبل الراحة لهم [٤] ،

---

(١) الجزيري : الدرر الفرائد ، ٥٧٤/١ .
(٢) أبو شامة : الروضتين ، ٢١١/٢-٢١٢ .
(٣) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٥٥٣/٢ ؛ باقاسي : بلاد الحجاز ، ص ٨٨ .
(٤) ابن جبير : الرحلة ، ص ٧٤ .

كما أمره برفع الظلم عنهم هذا الظلم المتمثل فى فرض المكوس والضرائب التى عانوا منها كثيرا وأثقلت عواتقهم ولاقوا بسببها الكثير من المتاعب والصعاب (١) ، فقام السلطان صلاح الدين بتعويض أمير مكة بمال يصرف له سنويا (٢) ، كما قرر له صرف ثمانية آلاف اردب من القمح ترسل اليه كل عام (٣) .

ولم يكتف السلطان صلاح الدين بتلك الأعمال الخيرية بل انه كان يرسل الى أهالى مكة والمجاورين الصلات والأموال وجميع مايحتاجونه من مواد غذائية (٤) ، وأوقف بعض الأوقاف فى صعيد مصر ومن ريعها كان يحمل القمح سنويا الى جدة تعويضا لأمير مكة بعد اسقاط المكس عن الحجاج ، وكذلك للمجاورين والفقراء بالحرمين (٥). اذن فلاغرابة أن ينال السلطان صلاح الدين الأيوبى محبة سكان مكة من مقيمين وحجاج ومجاورين لذلك يقول ابن جبير :"وعند ذكر صلاح الدين بالدعاء تخفق الألسنة بالتأمين عليه من كل مكان .... وحق ذلك عليهم لما يبذله من جميل الاعتناء بهم وحسن النظر لهم ولما رفعه من وظائف المكوس عنهم" (٦) .

كما أنه كان للأيوبيين فى اليمن أوقاف جليلة على الحرمين فى مكة والمدينة ، فقد أوقف السلطان طغتيكن بن

---

(١) ولمزيد من المعلومات عن تلك المكوس انظر الفصل الرابع ، ص٧٣.
(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ، ٢٩٩/١٢ ؛ البتنونى : الرحلة الحجازية ، ص ٣٠ .
(٣) الفاسى : شفاء الغرام ، ٣٦٨/٢ .
(٤) السيوطى : حسن المحاضرة ، ٢٠/٢ .
(٥) أبو شامة : المصدر السابق نفسه ، ٣/٢ ؛ عبد اللطيف ابراهيم : وثائق الوقف فى الأماكن المقدسة ، ص ٢٥٢ .
(٦) ابن جبير : المصدر السابق نفسه ، ص ٧٣ .

أيوب وادى الجريب[1] والحرب[2] والمسلب،في اليمن؛على البيت الحرام وذلك فى عهد امارة الهواشم وبقى دخلها يرفع الى مكة فترة من الزمن ، كما أنه أوقف عددا من الأراضى فى اليمن على المسجد النبوى الشريف .[3]

---

(١) الجريب : تصغير جرب وهى من مخاليف اليمن بمنطقة زبيد وهى سوق لأهل تهامة ومكة وعثر .
انظر عمارة : تاريخ اليمن ، ص ٢٥٠-٢٥١ ؛ الحموى : معجم البلدان ، ١٣١/٢ .

(٢) الحرب : بالفتح ثم السكون وباء موحدة وهى بلدة بين يبنبم وبيشة على طريق حاج صنعاء .
انظر ابن عبد الحق : مراصد الاطلاع ، ٣٨٩/١ .

(٣) عسيرى : العلاقات السياسية بين الحجاز واليمن فى عهد الايوبيين ، ص ١١٨ .

جهود السلطان صلاح الدين الأيوبى فى حماية الحرمين الشريفين من الخطر الصليبى .

كان للسلطان صلاح الدين دور كبير فى تطهير الساحل الحجازى وحماية المقدسات الاسلامية من الغارات والحملات الصليبية التى اخذت تتجه نحو البحر الأحمر ، والتى كانت تستهدف محاصرة مصر اقتصاديا وذلك بصرف التجارة المتجهة اليها نحو الموانىء الصليبية فى بلاد الشام (١) ، كما أن هذه الحملات الصليبية كانت تسعى الى الحيلولة دون وصول الحجاج الى مكة المكرمة وضرب المسلمين فى مقدساتهم وذلك بمهاجمة الحرمين الشريفين والاستيلاء عليهما (٢) ، كما كانت تهدف الى القضاء على السيادة الاسلامية على البحر الأحمر وتحقيق السيادة الصليبية على هذا البحر (٣) .

ولقد تعرضت الموانىء الحجازية للخطر الصليبى فى تلك الفترة ، وقام الصليبيون بعدة محاولات بغية الاستيلاء عليها فكانت المحاولة الأولى فى عام ٥٧٧هـ/١١٨١م وذلك حينما قام أرناط ، صاحب امارة الكرك (٤) ، باعداد أسطول بحرى كبير وأبحر به فى مياه البحر الأحمر (٥) ، ولكن تلك المحاولة الصليبية

---

(١) القوصى : تجارة مصر فى البحر الأحمر ، ص ١٥٣ .

(٢) أبو شامة : الروضتين ، ٣٧/٢ ، المالكى : بلاد الحجاز ، ص ٤٤ ، جميل حرب : الحجاز واليمن ، ص ٧٠ .

(٣) حسنين ربيع : بحر الحجاز فى العصور الوسطى ، (مجلة كلية العلوم الاجتماعية ، العدد الأول ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م) ، ص ٤٠٣ .

(٤) الكرك : اسم قلعة حصينة جدا فى طرف الشام من نواحى البلقاء بين أيلة والبحر الأحمر وبيت المقدس .
انظر : الحموى : معجم البلدان ، ٤٥٣/٤ .

(٥) القوصى : المرجع السابق نفسه ، ص ١٥٤ .

سرعان ماباءت بالفشل الذريع وذلك بسبب ظروف الجو القاسية التى واجهتها تلك الحملة أثناء وجودها فى واحة تيماء ، هذا بالاضافة الى أن قائد الحملة أرناط قد جاءته الأخبار بأن نائب صلاح الدين فى دمشق عز الدين فرخشاه (١) قد قام بمحاصرة أعمال الكرك بغية الاستيلاء عليها فاضطر أرناط الى العودة بأسرع وقت ممكن وذلك لانقاذ امارته (٢) . وهكذا فشلت تلك الحملة ، ولكن ذلك الفشل لم يعطل الفكرة التى كانت تدور بخاطر أرناط فقد عزم على اكمال المخطط الصليبى السابق حيث قام فى العام التالى ، بمحاولته الثانية سنة ٥٧٨هـ/١١٨٢م باعداد أسطول بحرى كبير هاجم به ميناء عيذاب (٣) وقام بسلب ونهب المراكب التجارية الراسية بذلك الميناء (٤) ، وأثار الرعب والخوف والفزع فى قلوب الناس، ونهب الصليبيون عدة سفن قدمت من جدة وعدن والهند ، ووصف ابن جبير فى رحلته تفاصيل ذلك الهجوم فقال : "وانتهوا الى عيذاب فأخذوا فيها مركبا كان يأتى بالحجاج من جدة ، وأخذوا أيضا فى البر قافلة كبيرة تأتى من قوص الى عيذاب ، وقتلوا

---

(١) هو الملك المنصور عز الدين فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب كان فاضلا متواضعا سخيا كريما شجاعا فصيحا شاعرا عالما كثير الأدب. استنابه عمه السلطان صلاح الدين على بلاد الشام. وتوفى بدمشق فى جمادى الأولى سنة ٥٧٨هـ/١١٨٢م . انظر :
أبو شامة : الروضتين ، ٣٣/٢ ؛ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ٩٣/٦ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ١٥٢/٩ ؛ باقاسي : بلاد الحجاز ، ص ٤١ .

(٣) أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ، ٦٥/٣ ؛ جميل حرب : الحجاز واليمن ، ص ٧١ .

(٤) أبو شامة : المصدر السابق نفسه ، ٣٧/٢ .

الجميع ولم يحيوا أحدا . وأخذوا مركبين كانا مقبلين بتجار من اليمن ، وأحرقوا أطعمة كثيرة على ذلك الساحل كانت معدة لميرة مكة والمدينة أعزهما الله ، وأحدثوا حوادث شنيعة لم يسمع مثلها في الاسلام" (١) .

ثم واصل أرناط وقواته مسيرهم باتجاه السواحل الحجازية حتى وصلوا الى ساحل الحوراء (٢) ، وقاموا بغزو المناطق المجاورة لذلك الساحل (٣) ، وأغاروا على القوافل التجارية المارة ، وأشاعوا الرعب في قلوب الناس وخاصة أهل المدينة المنورة الذين أدركوا أن القوات الصليبية لم يبق عليها الا مسيرة يوم واحد وتصل الى المدينة (٤) ، وكان أرناط وقواته عازمين على دخول المدينة وذلك للقيام بنبش قبر النبي صلى الله عليه وسلم ونقل جسده الكريم الى بلادهم ودفنه هناك وبالتالي لايسمح لأي مسلم بزيارته الا بعد أن يدفع مكسا مقابل ذلك (٥) .

ولكن تلك الأهداف والمخططات الصليبية لم تتحقق وذلك بفضل الله ثم بفضل جهود السلطان صلاح الدين الايوبي الذي سارع باصدار أوامره الى أخيه العادل أبي بكر بن أيوب

---

(١) ابن جبير : الرحلة ، ص ٣٤ .
(٢) ابن الأثير : الكامل ، ١٥٩/٩ .
(٣) الحوراء : كانت قديما أشهر ميناء بحري وتقع شرقي البحر الأحمر بالقرب من بلدة أملج . انظر : الحموي : معجم البلدان ، ٣١٦/٢ ؛ حمد الجاسر : بلاد ينبع ، ص ٧٢ .
(٤) أبو شامة : الروضتين ، ٣٥/٢ ؛ القوصي : تجارة مصر ، ص ١٥٥ ؛ فتحية النبراوي : العلاقات السياسية الاسلامية وصراع القوى الدولية في العصور الوسطى ، ص ٢١٨ .
(٥) ابن جبير : المصدر السابق نفسه ، ص ٣٤-٣٥ ؛ جميل حرب الحجاز واليمن ، ص ٧٠ ؛ باقاسي : بلاد الحجاز ، ص ٤٣ .

- نائبه بمصر - بتجهيز أسطول بحري كبير لمطاردة الصليبيين والحيلولة دون وصولهم الى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم (١) ، فجهز ذلك الأسطول وعهد بقيادته الى أمير البحر المصري الحاجب حسام الدين لؤلؤ الذي سار متتبعا الصليبيين حتى لحق بهم عند ساحل الحوراء ، على شاطىء الحجاز ، فدارت بينهما معركة كبيرة كان النصر فيها لقوات حسام الدين حيث انهزم أرناط وقواته (٢)، وقتل عدد كثير منهم وأسر الباقين ، وأرسل اثنين منهم الى منى وقت الحج لينحروا كما تنحر البدن (٣) . أما بقية الأسرى فقد عاد بهم حسام الدين معه الى مصر ، فصدرت الأوامر من السلطان صلاح الدين بقتلهم جميعا ليكونوا عبرة لكل من تسول له نفسه التجرؤ والاعتداء على الاراضي المقدسة والعبث بها (٤) .

أما عن موقف أمراء الحجاز من هذا الخطر الصليبي فلم يكن لهم أي دور في الدفاع عن بلادهم (٥) ، والسبب في ذلك واضح وهو قلة الامكانات العسكرية والمادية التي تؤهلهم للمجابهة والوقوف أمام القوات الصليبية الحاقدة .

---

(١) ابن الأثير : المصدر السابق نفسه ، ٩/١٥٩-١٦٠ ؛ القوصي : تجارة مصر ، ص ١٥٥ .

(٢) أبو الفدا : المختصر ، ٣/٦٥ ؛ عصام الدين عبد الرؤوف: بلاد الجزيرة في أواخر العصر العباسي ، ط١ ، القاهرة ١٩٧٥م ، ص ١٨٠ .

(٣) أبو شامة : الروضتين ، ٢/٣٥ ؛ ابن فهد : اتحاف الورى ٢/٥٤٥ ؛ الجزيري : الدرر الفرائد ، ١/٥٧٣ .

(٤) أبو شامة : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها ؛ باقاسي : بلاد الحجاز ، ص ٤٤ .

(٥) أبو شامة : المصدر السابق نفسه ، ٢/٣٧ ؛ جميل حرب : المرجع السابق نفسه ، ص ٧٥ .

ولما تقاعس أمراء الحجاز عن ذلك الدور قام به الأيوبيون خير قيام، فحموا بحر الحجاز من الخطر الصليبى وعملوا على أن يظل بحرا اسلاميا خالصا (١)، كما أنهم استطاعوا حماية المقدسات الاسلامية من تلك المخططات الصليبية العابثة.

فكانت سيادة الأيوبيين على بلاد الحجاز فى تلك الفترة خيرا لأمراء مكة والمدينة وللمسلمين فى جميع أنحاء الأرض، فاستطاع المسلمون تأدية فريضة الحج بكل أمن ويسر وسهولة، وذلك مما دفع الكثير من المسلمين فى تلك الفترة الى المسارعة الى حج بيت الله الحرام، وشهدت مكة ابان السيادة الأيوبية عليها قدوم أعداد كثيرة من الحجاج الشاميين واليمنيين والعراقيين لأداء فريضة الحج (٢).

أما عن دور الأيوبيين الاقتصادى والثقافى فقد كان لهم دور كبير فى ذلك الانفراج الاقتصادى الذى شهدته أسواق مكة المكرمة بعد عام ٥٧٢هـ/١١٧٦م وهو العام الذى أمر فيه السلطان الأيوبى صلاح الدين باسقاط جميع المكوس والضرائب عن الحجاج والتجار القادمين الى مكة المكرمة (٣)، ولاشك فى أن ذلك الاجراء كفيل بتشجيع الكثير من التجار على القدوم الى مكة والمشاركة فى حركتها التجارية طالما أن جميع الظروف الأمنية قد تهيأت لهم .

---

(١) حسنين ربيع : بحر الحجاز فى العصور الوسطى ، ص ٤٠٦ .

(٢) ابن جبير : الرحلة ، ص ١٤٧، ١٤٨، ١٥٨ ؛ ابن فهد : اتحاف الورى ، ٢/٥٥٠ .

(٣) أبو شامة : الروضتين ، ٢/٣ .
ولمزيد من الايضاح انظر الفصل الرابع ص ٧٤-٧٧ .

كما كان للاشراف الأيوبي على مكة دور كبير في نهضتها العلمية وذلك بسبب حزم وشدة الأيوبيين مع كل الذين كانوا يقفون حائلا دون وصول الحجاج والعلماء الذين عادة مايفدون الى مكة مع ركب الحجيج أيام الحج ، فقد أصدر السلطان صلاح الدين الأيوبي أوامره الى أمير مكة مكثر بن عيسى يأمره بمعاقبة العبيد وجميع المفسدين الذين يحاولون تعطيل شعيرة الحج، واثارة الاضطرابات داخل مكة والمشاعر المقدسة (١).

ولاشك أن تلك الأوامر والاجراءات الأمنية التي اتخذها السلطان صلاح الدين قد شجعت الكثير من علماء وأدباء الدول الاسلامية على أن يفدوا الى مكة (٢) ويشاركوا في نهضتها العلمية الموجودة بها في تلك الفترة (٣).

---

(١) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، قسم١ ، ٣٨٨/٨ ؛ ابن جبير : المصدر السابق نفسه ، ص ٧٤-١٠٠ .
راجع ص ٢١٦ من هذا البحث .
(٢) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٥٥٠/٢ .
(٣) ولمزيد من الايضاح انظر الفصل الرابع ، ص ٣٣٩ .

(ب) اعتداءات الأعراب على الحجاج ومواقف الهواشم منها

المخاطر التي يواجهها الحجاج في طرق الحج المؤدية الى مكة .

لقد كانت فريضة الحج في عهد أسرة الهواشم مليئة بالمخاوف والمخاطر ، فالحجاج منذ مسيرهم من بلدانهم وهم في فزع وخوف وذلك بسبب تسلط الأعراب القاطنين على طرق الحج والذين كانوا يقومون بالاغارة والهجوم على قوافل الحجاج والاعتداء على مابها من أموال وأمتعة للحجاج .

فكانت بداية هذه الغارات على حجاج بيت الله منذ أن توقف العباسيون عن دفع ماكان يعطى لهذه القبائل من نفقات وأعطيات (١) ، وقد تفنن زعماء هذه القبائل في احداث كثير من الحيل والأساليب لقطع الطريق ، فتارة يتربصون للقوافل ويقومون بمهاجمتها علانية ، وتارة أخرى يقومون بالتحكم في مصادر المياه الواقعة على طريق الحجاج حيث انهم كانوا يمنعونهم من ورود بعض الآبار اما بمحاصرتهم لها أو وضع الحنظل (٢) بها حتى لايتمكن الحجاج من الشرب منها (٣) .

وقد نتج عن تلك الغارات هلاك العديد من الحجاج، وفقد أموالهم، وعدم انتظام ركب الحج في الذهاب الى مكة (٤). فقد

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم ، ٣٠٢/٨ ؛ الجزيري : الدرر الفرائد ، ٥٣١/١ ؛ الزيلعي : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ١٠٤ .

(٢) الحنظل : هو شجر مر المذاق واحدته حنظلة والحنظل يطلق عليه أيضا اسم الشرى . انظر : ابن منظور : لسان العرب ، ١٨٣/١١ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، ٢٦٤/٧ ؛ الزيلعي : المرجع السابق ، ص ١٠٦ .

(٤) الجزيري : المصدر السابق نفسه ، ٥٣٩/١-٥٥٣ ؛ الرشيدي حسن الصفا والابتهاج ، ص ١١٣ .

انقطع ركب الحج العراقي سنوات عديدة وذلك بسبب الغارات والاعتداءات التي يجدها الحجاج العراقيون من القبائل الواقعة على طريق العراق كقبيلة طيء ، وبني هلال ، وخفاجة وغيرهم (١) .

وكانت هذه القبائل تُخير الحجاج بين أمرين اما أن يدفعوا لهم مبالغ كبيرة من الأموال،وإلاستتعرض قوافلهم وأمتعتهم للسلب والنهب (٢) .

هذا بالنسبة لطريق الحج العراقي ، أما الطريق المصري فلم يكن بأحسن حالا من الطريق العراقي فقد كانت تعتريه كثير من المصاعب والاعتداءات من وقت لآخر (٣) ، وذلك مما أدى الى توقف قدوم الحجاج المصريين فترة طويلة من الزمن (٤) ، هذا وقد تعرض الحجاج المصريون ، أبان حكم الهواشم على مكة ، لهجوم عليهم من احدى القبائل العربية القاطنة على الطريق المصري وذلك سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م ، وقد نتج عن ذلك الهجوم هلاك الكثير من المصريين وعودة بعضهم ممن تمكن من الفرار الى مصر دون أن يؤدوا فريضة الحج (٥) ، هذا اضافة الى ماكان يلقاه الحجاج المصريون من خداع ومكر قبائل البجاة (٦) الذين كانوا

---

(١) ابن الأثير : المصدر السابق نفسه ، ٥٨/٧ ؛ الجزيري : المصدر السابق نفسه ، ٥٢٩/١ ؛ العصامي : سمط النجوم العوالي ، ١٩٦/٤ .

(٢) ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ١٣٩/٤ .

(٣) الزيلعي : المرجع السابق ، ص ١٠٧ .

(٤) الرشيدي : المصدر السابق نفسه ، ص ١١٣ .

(٥) الجزيري : الدرر الفرائد ، ٥٥٣/١ .

(٦) البُجَاة : هم نوع من السودان يسكنون عيذاب ويقومون بنقل الحجاج القادمين من مصر والمغرب والأندلس وغيرها من البلدان الافريقية من ميناء عيذاب الى ميناء جدة . انظر : ابن جبير : الرحلة ، ص ٤٨-٤٩ .

يقومون بنقل الحجاج القادمين من بلاد افريقيا على مراكبهم فى البحر الأحمر فيسلكون بهم غير الطريق المعتاد حتى يموتوا جوعا وعطشا، وبالتالى يسهل عليهم سلب ماسع هؤلاء الحجاج من أموال وامتعة (١).

أما الطريق اليمنى فلم يسلم هو الآخر من هجات الأعراب فقد تعرض الحجاج القادمون من اليمن الى كثير من المتاعب والمخاطر، وذلك بسبب تربص القبائل المسيطرة على هذا الطريق كقبيلة بنى شعبة (٢) التى كانت تعتبر مصدر فزع وخوف للحجاج اليمنيين ، وقد وصفهم ابن المجاور بقوله : "ولم يكن فى جميع العالم أضلّ من هؤلاء القوم ولا أسرفُ ولا أجرمُ ولا أجسرُ منهم فى اخذ مال الحاجّ" (٣) . وكانوا ينظرون الى الحاج نظرة كسب وغنيمة لهم فكانوا يقولون :"اذا حضر جفنة الله ـ ويقصدون بها الحاج ـ أكل منها الصادر والوارد" (٤) .

ولم يكن تسلط تلك القبيلة على حجاج اليمن فقط بل كانت مصدر قلق وخوف لجميع حجاج بيت الله الحرام لأنهم كانوا يهاجمون هؤلاء الحجاج فى المشاعر المقدسة اثناء

---

(١) ابن جبير : المصدر نفسه ، ص ٤٦ .

(٢) بنو شعبة : هم فرع من كنانة ، وقيل انهم من تغلب كانوا يسكنون جنوب مكة على طريق الليث حاليا فى منطقة تسمى درب بنى شعبة فى وادى عتود ، وكان الدرب قبل أن يملوا اليه يعرف بدرب ملوح ، وقد اتصفت تلك القبيلة بالقوة والشجاعة . انظر :
محمد بن أحمد العقيلى : قبيلة بنى شعبة (مجلة العرب ج١١-١٢ ، ١٣٩٤هـ/١٩٨٤م) ، ص ٨٩٢-٨٩٣ ؛ عاتق البلادى : بين مكة وحضرموت ، ط١ ، مكة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، ص ١٧٧ ؛ البلادى : بين مكة واليمن ، ص ٢٣٦ .

(٣) ابن المجاور : صفة بلاد اليمن ، ص ٥٢ ؛ الزيلعى : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ١٠٧ .

(٤) ابن المجاور : المصدر نفسه والصفحة نفسها ؛ الزيلعى المرجع السابق نفسه ، ص ١٠٨ .

تأديتهم لمناسك الحج ، وكانوا يتربصون للحجاج في المضيق[1] الواقع بين عرفة ومزدلفة[2] ، ويقومون بمهاجمتهم وسلب مامعهم من أمتعة وأموال[3] ، ولقد هيأ الله الأمير عثمان الزنجيلي لمحاربة تلك القبيلة ومنعها من الاعتداء على حجاج بيت الله فيذكر ابن جبير أنه قد علم أثناء حجه سنة ٥٧٩هـ/١١٨٣م أن بني شعبة قد تربصوا للحجاج في مكانهم المعتاد بانتظار مرورهم بذلك المضيق فحينما علم الأمير عثمان أمر رجاله وأتباعه بالتجهز بالسلاح لمحاربة تلك القبيلة التي كانت تشكل خطرا على حجاج بيت الله ، فعسكر الأمير عثمان بذلك المضيق وصعد رجاله الى الجبال لمحاصرة هؤلاء اللصوص[4] ، وتم

---

(١) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٥٤٩/٢ ؛ الزيلعي : المرجع السابق نفسه والصفحة نفسها .

(٢) وهو المعروف بطريق المأزمين وهو عبارة عن مضيق ينحصر بين جبلين هما المأزمان ، وأصل المأزم لغة هو الطريق الضيق ،ويستحب سلوك هذا الطريق للمفيض من عرفات الى مزدلفة كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم ، ويعرف ذلك الطريق اليوم عند بادية ذلك المكان باسم "ريع المرار" . انظر :
ابن جبير : الرحلة ، ص ١٥٠ ؛ عبد الله بن محمد بن خميس : المجاز بين اليمامة والحجاز ، ط٣ ، جدة ١٤٠٢هـ/١٩٨١م ، ص ٢٩٦ .

(٣) هو الأمير فخر الدين عثمان بن علي الزنجيلي نسبة الى زنجيلة وهي قرية من قرى دمشق ، ولقد عينه توران شاه بن أيوب عند دخوله الى اليمن سنة ٥٦٩هـ/١١٧٣م نائبا عن صلاح الدين في عدن ، وبعد خروج توران شاه من اليمن خرج هو ومن معه من النواب الآخرين عن طاعة السلطان صلاح الدين الأيوبي الذي أرسل اليهم أخاه طغتكين بن أيوب سنة ٥٧٩هـ/١١٨٣م، وحينما علم الزنجيلي بقدومه هرب من اليمن متجها الى دمشق .وتوفي بها سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م ، وأثناء توجهه الى دمشق مر بمكة وأوقف بها رباطا ومدرسة عند باب العمرة . انظر :
الفاسي : العقد الثمين ، ٣٤/٦-٣٥ .

(٤) ابن جبير : المصدر السابق ، ص ١٥٠ .

تأمين الحجاج من تلك الفئة الفاسدة حيث استطاع الحجاج في ذلك العام أن يؤدوا فريضتهم وهم آمنون مطمئنون .(١)

ولقد كانت القبائل الحجازية المحيطة بمكة المكرمة والقاطنة على الطريق المؤدي الى المدينة المنورة ـ كقبيلة بلي ، وجهينة ، وحرب ، ومطير ، وبنو سليم ـ(٢) تشكل أيضا خطرا على الحجاج المتجهين الى المدينة لزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولقد تعرض الحجاج العراقيون أثناء مسيرهم من مكة الى المدينة ، في الرابع عشر من محرم سنة ٥٤٥هـ/١١٥٠م لهجوم واعتداء من قبيلة زغب(٣) وبعض القبائل(٤) التي انضمت اليهم في مكان يسمى الغرابي(٥) ، فقامت تلك

---

(١) ابن فهد : اتحاف الورى ج٢ ص ٥٤٩ .
(٢) الجزيري : الدرر ، ٢٣٠/١ .
(٣) ابن الأثير : الكامل ، ٢٧/٩ ؛ الفاسي : شفاء الغرام ، ٣٦٥/٢ .
(٤) قبيلة زغب: هي فرع من قبيلة سليم التي تسكن فيما بين مكة والمدينة،وهي منتشرة من وادي القرى الى خيبر الى شرقي المدينة الى حد الجبلين (أجا وسلمى بالقرب من حائل) الى ماينتهي الى الحرة المعروفة باسم حرة بني سليم ، ولقد انتقل ذلك الفخذ من بني سليم الى رأس الخيمة وسكنوا بجزيرة تعرف باسم جزيرة زغاب نسبة الى سكانها ، وتقع تلك الجزيرة على بعد ١٩ كيلو متر من رأس الخيمة . انظر :
عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني : الأنساب ، صححه عبد الرحمن المعلمي ، ط١ ، حيدر أباد الدكن ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م ، ٣٠٥/٦ ؛ عز الدين ابن الأثير : اللباب في تهذيب الأنساب ، بيروت ، ٧١/٢ ؛ عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، بيروت ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م ، ٤٧٤/٢ ؛ عبد القدوس الأنصاري : بنوسليم ، ط١ ، بيروت ١٣٩١هـ/١٩٧١م ، ص ١٦،٢٢،٤٤ .
(٥) الغرابي : جبل رأسه كالغراب من شدة الحمرة المتحولة الى السواد ، محدد الرأس يشرف على ميقات ذي الحليفة ويمر الطريق بين مكة والمدينة بسفحه من الشرق . انظر البلادي : معجم معالم الحجاز ، ٢٣٢/٦ .

القبائل بنهب أموال الحجاج وأمتعتهم وجميع مامعهم مما أدى الى هلاك الكثير من الحجاج بسبب الجوع والعطش الذى لاقوه أثناء هروبهم من هذه العصابة المفسدة (١) ، حتى قيل ان النساء قد وضعن الطين على أجسادهن وذلك لستر عورتهن لأن تلك العصابة قد نهبت جميع ماكن يلبسنه من ملابس (٢) .

أما مايواجهه حجاج بيت الله فى مكة من مصاعب ومخاطر فكان أشد وأعظم وذلك بسبب مايلاقونه من اعتداءات متكررة من عبيد الأشراف الموجودين بمكة المكرمة .

وقد كان للعلاقات السياسية بين أمراء الهواشم والدول الاسلامية فى تلك الفترة أثر على الأوضاع الأمنية للحجاج داخل مكة المكرمة ، ففى سنة ٥٣٩هـ/١١٤٤م تعرض الحجاج العراقيون للنهب والسلب أثناء طوافهم بالمسجد الحرام (٣) ، وذلك بسبب الخلاف الدائر بين أمير مكة فى تلك الفترة هاشم بن فليتة وبين أمير الحاج العراقى قطز الخادم (٤) .

وفى عام ٥٥٧هـ/١١٦١م قامت فئة من عبيد أشراف مكة بالاعتداء على الحجاج العراقيين اثناء وجودهم فى منى بمحاولة منهم لنهب أموالهم ولكنه لم يتحقق لهم ذلك بسبب تصدى قوات أمير الحاج العراقى برغش التركى لهم (٥) ، ولما احس هؤلاء العبيد بالهزيمة رجعوا الى مكة وذلك لاستنهاض همم

---

(١) ابن الجوزى : المنتظم ، ١٠*١٤٢-١٤٣ .
(٢) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٥١١/٢-٥١٢ .
(٣) الحافظ الذهبى : العبر فى خبر من غبر ، ٤٥٥/٢ .
(٤) ابن فهد : المصدر السابق نفسه ، ٥٠٨/٢ .
(٥) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ٨٠/٩ .

العبيد الآخرين واطماعهم بالأموال التي يحملها الحجاج العراقيون معهم ، ولقد نجح هؤلاء العبيد في تحريض أعداد كبيرة أخرى،فاتجهت تلك الجموع الى منى مرة ثانية،وهاجموا الحجاج العراقيين وهم في غفلة من أمرهم ، وقاموا بنهب أعداد كبيرة من جمال الحجاج قُدِّرت بألف جمل [1] ، ولكن أمير الحج برغش عزم على مواجهتهم والتصدى لهم واسترداد ماسلبوه من الحجاج المرافقين له،فدارت بينهما موقعة شديدة قتل فيها عدد كبير من الطرفين ، فغادر الحجاج العراقيون مكة دون أن يكملوا فريضة الحج [2] ، ولقد حدثت تلك الفتنة في عهد الأمير عيسى بن فليتة الذى لم يكن راضيا عن تلك الأعمال والتصرفات التي بدرت من عبيده بدليل أنه حينما علم بذلك الاعتداء سارع بارسال مبعوث من قبله الى أمير الحج العراقى الذى وصل معه بقية الحجاج العراقيين الى الزاهر وقدَّم هذا المبعوث الى أمير الحج كامل اعتذار وأسف أمير مكة عيسى بن فليتة عما حدث للحجاج العراقيين فطلب منه الرجوع الى مكة لاكمال فريضة الحج [3] ، ولكن أمير الحج رفض ذلك العرض وفضل المسير الى العراق خوفا من تفاقم المشكلة .

ولاشك في أن هؤلاء العبيد لم يجدوا رادعا قويا من أمراء الهواشم بل ان بعض هؤلاء الأمراء قد شجعهم على مواصلة الأعمال الوحشية والاجرامية ضد الحجاج وأحيانا يتولى الأمير بنفسه قيادة هؤلاء العبيد للتعدى على الحجاج ونهب أموالهم

---

(١) الفاسى : العقد الثمين ، ١٨٨/١ .
(٢) الرشيدى : حسن الصفا والابتهاج ، ص ١١٦ .
(٣) الجزيرى : الدرر الفرائد ، ٥٦٥/١ .

ففي سنة ٤٨٦هـ/١٠٩٣م أصدر الأمير محمد بن جعفر أوامره الى رجاله وعبيده بأن يقوموا بالتعرض لركب الحجاج القادمين من بلاد الشام والذين كانوا قد أدوا فريضة الحج وخرجوا من مكة عائدين الى بلادهم ولكن عبيد ورجال الأمير محمد بن جعفر قد تمكنوا من ايقافهم بالقرب من مكة (١) وقاموا بنهب أموالهم وجمالهم (٢) وجاءوا بها الى مكة وسلموها للأمير محمد بن جعفر فرجع حجاج الشام الى مكة ليستنجدوا بأميرها محمد بن جعفر وطلبوا منه أن يعيد اليهم ما أخذ منهم ، وشكوا اليه بعد ديارهم .ولكنه لم يرد لهم الا بعض ما أُخذ منهم.فلمايئسوا منه غادروا مكة عائدين الى بلادهم وهم غير راضين عن أعمال وتصرفات الأمير محمد بن جعفر (٣) .

والحقيقة التي يمكن أن نستشفها من دراستنا لتاريخ الهواشم هي أن أمراء الهواشم لم يكن لهم أى دور بارز في منع الأعراب والعبيد من الاعتداء والتعرض لحجاج بيت الله بل انهم كانوا هم أيضا يسيئون للحجاج خاصة في الفترة التي يتأخر فيها وصول المعونات والامدادات الفاطمية أو العباسية أو الأيوبية عن مكة المكرمة (٤) ، وقد ذكر ابن جبير في رحلته أن الأمير مكثر قد قام بارهاب الحجاج وعاملهم معاملة سيئة وتشدد في جمع الضرائب والمكوس منهم وذلك حينما تأخرت الامدادات والمعونات التي كانت تصله من السلطان صلاح الدين الأيوبي بمصر (٥) .

---

(١) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٤٨٦/٢ .
(٢) الفاسي : شفاء الغرام ، ٣٦٤/٢ .
(٣) ابن الأثير : الكامل ، ١٦٨/٨ ؛ ابن فهد : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها .
(٤) القوصي : تجارة مصر ، ص ١٦٦ .
(٥) ابن جبير : الرحلة ، ص ٥٤ .

ولكن حينما بدأ التقصير من جانب أمراء مكة في تأمين الحجاج وتوفير سبل الراحة والاطمئنان لهم كان للقوى الخارجية ممثلة في الدولة العباسية والأيوبية دور كبير في القيام بتلك المهمة فقد عملت على نشر الأمن بمكة المكرمة والقضاء على جميع الأسباب التي تؤدي الى الاخلال بالأمن ، فحينما قام الأمير داود بن عيسى بنهب أموال الكعبة وطوقها أصدر الخليفة العباسي الناصر أوامره بعزل ذلك الأمير الذي لم يعمل على استتباب الأمن فقام أمير الحاج العراقي طاشتكين سنة ٥٨٧هـ/١١٩٠م بعزله وعين أخاه مكثرا مكانه (١).

كما أن السلطان صلاح الدين الأيوبي قد كلف أخاه طغتكين (٢) بالقيام بتوفير الأمن والأمان لحجاج بيت الله فرأى طغتكين أن تحقيق ذلك لايتم الا بالقضاء على عبيد الأشراف الذين كانوا مصدر شغب وقلق وفزع لحجاج بيت الله فقام بقتل الكثير منهم واشترط على البقية عدم القيام بأي أعمال تضر بحجاج بيت الله (٣)، هذا اضافة الى أن السلطان صلاح الدين قد أرسل الى أمير مكة مكثر بن عيسى عدة رسائل يحثه فيها على بذل أقصى جهده في الرفق بحجاج بيت الله وتوفير سبل الراحة لهم (٤)، وحمايتهم من اعتداءات الأعراب والعبيد

---

(١) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٥٥٨/٢-٥٥٩ ، ابن فهد : غاية المرام ، ٥٣٦/١-٥٣٧ .
(٢) راجع ص ٢١٣ من هذا البحث .
(٣) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، قسم ١ ، ٣٨٨/٨ ، الفاسي : شفاء الغرام ، ٣١٤/٢-٣١٥ .
(٤) ابن جبير : الرحلة ، ص ٧٤ ، ابن فهد : اتحاف الورى ٥٦٧/٢-٥٦٨ .
ولمزيد من الايضاح راجع ص ٢١٣-٢١٥ من هذا المبحث .

المتكررة عليهم بمكة . وقد نفّذ الأمير مكثر بن عيسى تلك التوجيهات الأيوبية ،وأظهر شدته وحزمه على كل من حاول الاخلال والعبث بأمن البلاد. وكان نتيجة ذلك أن توقفت الاعتداءات التى كان يواجهها حجاج بيت الله بمكة ، ونعم الحجاج بأمن واستقرار لم يعهدوه من قبل .(١)

(١) ابن جبير : المصدر السابق نفسه ، ص ١٠٠ .

(ج) نهاية نفوذ الهواشم بمكة المكرمة

لقد كانت الحالة الأمنية بمكة المكرمة فى أواخر عهد الهواشم متدهورة للغاية ، فالفوضى والاضطرابات والقلاقل كانت تسود البلاد ، ولم يلاحظ أى تحرك من جانب أمراء الهواشم لمواجهة تلك الاضطرابات والقضاء عليها،والعمل على نشر الأمن بين أهالى البلاد والحجاج والتجار والمجاورين القادمين الى مكة المكرمة (١) .

ولقد بات اهتمامهم واضحا بالعمل على تحقيق مصالحهم الخاصة ، وأصبح الوصول الى كرسى الامارة فى نظرهم وسيلة للثراء السريع وسبيلا للحصول على الأموال ، ولكنهم لم يسخروا هذه الأموال لتوفير الأمن والاستقرار فى ربوع بلادهم ولم يسخروها أيضا لاقامة المشروعات والاصلاحات الداخلية بمكة المكرمة (٢) ، وعلى الرغم من وصول الأموال الكثيرة والصلات والاعانات اليهم من خلفاء وأمراء وسلاطين الدول الاسلامية الا أن بعضهم قد قام بصرف هذه الأموال على القبائل التى استعانوا بها فى الخلافات والمنازعات الدائرة بينهم (٣) ، والتى أصبحت فيما بعد عاملا من عوامل سقوط امارتهم على مكة المكرمة لأن تلك الخلافات والصراعات كانت سببا فى تدخل القوى الخارجية فى شئونهم الداخلية،فأصبح العباسيون يعزلون من لارغبة فيه من أمراء الهواشم ومن يرون أنه لايخدم مصالحهم ولايحقق لهم طلباتهم،ويعينون مكانه من يحقق لهم ذلك حتى ولو لم يكن من الأسرة نفسها .

---

(١) الفاسى : العقد الثمين ، ٧/٣٩-٤٠ .
(٢) سرور : النفوذ الفاطمى فى جزيرة العرب ، ص ٢٢ .
(٣) الفاسى : المصدر السابق نفسه ، ٧/٣٤-٣٥ .

فتذكر المصادر أنه في عام ٥٧١هـ/١١٧٥م قام أمير الحاج العراقي طاشتكين بعزل أمير مكة مكثر بن عيسى وعين الأمير قاسم بن مهنا الحسيني ، أمير المدينة ، بدلا منه ،(١) كما قام العباسيون أيضا بعزل داود بن عيسى عن امارة مكة سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م وعينوا مكانه أخاه مكثر .(٢)

والحقيقة أن أمراء الهواشم الذين تولوا امارة مكة منذ عهد الأمير عيسى بن فليتة حتى نهاية امارتهم على مكة (٥٥٦ - ٥٩٧هـ/١١٦٠ - ١٢٠٠م) هم الذين فتحوا المجال للقوى الخارجية لكي تتدخل في شئونهم الداخلية فلو كانوا وحدة مترابطة ومتماسكة لما استطاعت أي قوة خارجية أن تتدخل في شئون امارتهم،وذلك كما حدث في عهد أسلافهم السابقين الأوائل الذين تميزت سياستهم بالقوة والشدة والحزم،فلم يتركوا مجالا للقوى الخارجية لكي تتدخل في شئونهم الداخلية.فكان الخلفاء العباسيون والفاطميون يتوددون اليهم ويستميلونهم ليقيموا لهم الخطبة على منابر المسجد الحرام والمشاعر المقدسة ، فقد أرسل العباسيون الى أمير مكة محمد بن جعفر مبعوثا من قبلهم وهو أبو الغنائم الزينبي سنة ٤٥٧هـ/١٠٦٤م(٣) وأخذ ذلك المبعوث يتقرب الى الأمير محمد بن جعفر ويتودد ويتوسل اليه في أن يقيم الخطبة على منابر مكة للعباسيين كما أن السلطان السلجوقي ألب أرسلان قد قدم للأمير محمد بن

---

(١) العصامي : سمط النجوم العوالي ، ٢٠٥/٤ .

(٢) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٥٥٨/٢ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، ١٠٠/٨ .

جعفر كامل الاغراءات والوعود الجميلة وذلك فى حالة ابقاءه الخطبة للعباسيين ، كما أن الدولة الفاطمية هى الأخرى كانت تتودد وتتوسل لأمراء الهواشم الأوائل الذين كانوا يقيمون الخطبة للخليفة الذى يمدهم بالأموال والاعطيات ويسارعون بقطعها عن الخليفة الذى يقصر ويتمادى فى ذلك دون خوف أو خشية من ذلك الخليفة سواء كان عباسيا أو فاطميا. ولم تستطع أى من القوتين العباسية والفاطمية فى ذلك الوقت أن تستخدم القوة مع أمراء مكة لاجبارهم على قبول سيادتهم على مكة المكرمة، ولو حاولت أى من تلك القوتين الاستيلاء على مكة وفرض نفوذها وسيادتها بالقوة، فانه سرعان ماتنتهى تلك المحاولة بالفشل الذريع فحينما استطاع القائد العباسى أصبهبذ بن سارتكين أن يستولى على مكة سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م (١) اجتمع أمراء مكة وأشرافها ورؤساء القبائل المحيطة بمكة واتحدوا جميعا فيما بينهم وعزموا على مواجهة ذلك الخطر الخارجى على بلادهم فاستطاعوا أن يجبروا القائد العباسى على ترك بلادهم ومغادرتها (٢).

وهكذا كانت مكة المكرمة قوية فى فترة قوة أمرائها وتحالفهم وترابطهم أما حينما بدأ الخلاف والتفكك يدب فى صفوف أمراء الهواشم فقد صاروا فريسة سهلة ومطمعا للقوى الخارجية التى استغلت الخلاف الدائر بين أمراء الهواشم فى

---

(١) الفاسى : العقد الثمين ، ١٧٢/١ ؛ الجزيرى : الدرر الفرائد ، ٥٥٤/١ .

(٢) الفاسى : شفاء الغرام ، ٣١٢/٢ ؛ ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص ٣٠٧-٣٠٨ ؛ جميل حرب : الحجاز واليمن ، ص ٢٦ .

تحقيق أهدافها المرسومة، كما أن القوى الخارجية قد استغلت أيضا تلك الحالة الأمنية المتدهورة التى عانى منها أهالى مكة فى أواخر عهد الهواشم وذلك بسبب شيوع وانتشار الرعب والخوف والفزع فى قلوب الكثير من سكان مكة المكرمة سواء فى ذلك أهلها والمجاورون بها ، لقد أصبحوا لايأمنون على أنفسهم ولاعلى أموالهم أو اعراضهم، وذلك بسبب الفساد الذى استشرى بها من جراء ضعف أمراء الهواشم وانشغالهم بصراعاتهم الداخلية وعدم اهتمامهم بمصالح رعيتهم ومصالح حجاج بيت الله الحرام (١) ، فكان من البديهى أن يتطلع أهالى مكة المكرمة الى امارة جديدة تخلصهم من حكم تلك الأسرة وتنقذهم من ذلك الظلم والجور والهوان الذى يعيشون فيه ابان حكم الهواشم ، فلاشك فى أن تلك الأوضاع المتردية بمكة قد شجعت الطامعين فى امارة مكة على التحرك وخاصة بعد أن أدركوا أن امارة الهواشم فى تلك الفترة قد أصبحت لقمة سائغة فى أيديهم وهذا مادفع الشريف قتادة بن ادريس بن مطاعن بن عبد الكريم الحسنى (٢) ، الذى كان يحكم منطقة ينبع فى ذلك الوقت (٣) ، الى أن يعقد العزم على التوجه الى مكة المكرمة. ولقد وضح المؤرخ تقى الدين الفاسى السبب الرئيسى الذى جعل الأمير قتادة تتجه أنظاره الى الاستيلاء على مكة المكرمة فقال :"كان سبب طمعه فى امرة مكة على مابلغنى. مابلغه من انهماك أمرائها الهواشم بنى فليتة على اللهو

---

(١) جميل حرب : المرجع السابق نفسه ، ص ٣٥ .
(٢) ابن عنبة : عمدة الطالبة ، ص ٢٣٩ .
(٣) القلقشندى : صبح الأعشى ، ٢٧٢/٤ .

وتبسطهم في الظلم واعراضهم عن صونها ممن يريدها بسوء اغترارا منهم بما هم فيه من العز والعسف لمن عارضهم في مرادهم ، وان كان ظلما أو غيره " (١) .

ولم يكن ذلك هو السبب الوحيد الذى شجع قتادة على التوجه الى مكة والاستيلاء عليها بل كانت هناك عدة أسباب منها :

(١) تحقيق حلمه الذى كان ينشده ويتطلع اليه دائما وهو توسيع رقعة امارته حتى تشمل بلاد الحجاز كلها وخاصة المدينتين المقدستين مكة والمدينة وذلك نظرا لأهميتهما الدينية والسياسية والثقافية والاقتصادية (٢) ، ومما شجعه على التحرك لتحقيق ذلك الحلم وأعطاه احساسا كبيرا بأنه قادر على تحقيق طموحاته وأحلامه هو استيلائه على منطقة ينبع (٣) ، وعلى وادى الصفراء (٤) وانتصاره على قبائل الأشراف التى تحكم تلك المناطق كبنى عيسى ، وبنى حراب ، وبنى يحيى ، وهم جميعا من بنى الحسن بن على بن أبى طالب (٥) .

---

(١) الفاسى : العقد الثمين ، ٧/٣٩-٤٠ .
(٢) جميل حرب : الحجاز واليمن ، ص ٣٥ .
(٣) العصامى : سمط النجوم العوالى ، ٤/٢٠٨ .
(٤) وادى الصفراء : هو واد من أكبر أودية الحجاز يقع فى الطريق بين مكة والمدينة ويبعد عن المدينة بـ ٥٤ كيلو متر ، ويكثر فى هذا الوادى المزارع والبساتين المليئة بالنخيل .
انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ٣/٤١٢ ؛ البلادى : معجم معالم الحجاز ، ٥/١٤٨-١٥١ .
(٥) ابن فهد : غاية المرام ، ١/٥٥٠ ؛ العصامى : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها .

(٢) قوة نفوذ الأمير قتادة وكثرة أتباعه ومؤيديه الذين لمس منهم الاخلاص له والاستعداد التام لتنفيذ أوامره والوقوف الى جانبه في جميع تحركاته[1] .

(٣) ومن الأسباب التي جعلت الأمير قتادة تتجه أنظاره نحو مكة المكرمة تشجيع بعض القادة التابعين لأمير مكة مكثر بن عيسى وحثهم المتواصل له على الاستيلاء على بلادهم ، وكان هؤلاء القادة قد أظهروا له استياءهم وغضبهم من السياسة التي يسير عليها أمراء الهواشم ، ومن الظلم الذي أصبح صفة من صفاتهم[2] ، ومن اعراضهم عن مواجهة أي خطر خارجي قد يداهم مكة المكرمة[3] ، وعدم وقوفهم أمام القوى الخارجية التي باتت تتدخل في شؤون بلادهم الداخلية . فقام هؤلاء القادة بتسهيل أمر الاستيلاء على مكة للأمير قتادة وقدموا له أنجح السبل والخطط لدخول مكة المكرمة ، كما عرضوا عليه استعدادهم التام وقدموا خدماتهم الكاملة له في حربه مع الهواشم وفي المقابل فان قتادة قد شكر لهم تلك الخدمات الجليلة التي قدموها له ومناهم بالوعود الجميلة اذا تحقق له مايريد[4] .

وكان لهؤلاء القادة دور كبير وهام في الاستيلاء على مكة فقد اتفقوا مع الأمير قتادة على أنه حال دخوله لمكة

---

(١) الجزيري : الدرر الفرائد ، ٥٥٧/١ ؛ دحلان : أمراء البلد الحرام ، ص ٣٦ .
(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ٤٠/٧ ؛ جميل حرب : الحجاز واليمن ، ص ٣٥ .
(٣) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٥٦٦/٢-٥٦٧ .
(٤) جميل حرب : المرجع السابق نفسه والصفحة نفسها .

فانهم سيتخلون هم وجنودهم عن الأمير مكثر بن عيسى ومما يؤكد ذلك ماذكرته بعض المصادر من أن الأمير قتادة قد استطاع أن يدخل مكة المكرمة ويستولى عليها دون أن يجد أية مقاومة تذكر (١) .

(٤) ومما شجع قتادة أيضا على توجهه الى مكة ادراكه موقف أهالى مكة المعارض لسياسة الهواشم وتضجرهم من الظلم الذى وجدوه من أمراء الهواشم (٢) ودعواتهم المستمرة الى أن يتخلصوا من حكم تلك الأسرة بأسرع وقت .

ولقد أدرك أهالى مكة المكرمة أن القوة الوحيدة التى سوف تخلصهم من ذلك الظلم قوة الأمير قتادة بن ادريس الحسنى الذى ذاع صيته بين قبائل الحجاز فى تلك الفترة مما دفع أحد تجار مكة الى التوجه الى الأمير قتادة شاكيا له وممثلا عن أهالى مكة ليصف له الصورة السيئة التى يعيشها سكان مكة ابان حكم الهواشم (٣) ، فقد أخبره بأنه قد سلبت منه أمواله وبضائعه بمكة المكرمة ولم يجد بها من ينصفه ويعيد اليه حقوقه فقال له قتادة :"اذا كان موسم العام المقبل فائتنى بمكة تجد متاعك والنصفة فشكره الرجل على ذلك" (٤) .

فصمم قتادة بعد ذلك على انصاف ذلك المظلوم والاستيلاء على مكة. فكانت بداية تحركاته نحوها أنه اجتمع بكبار قواده

---

(١) محمد بن على بن عبد الله الحسينى الطبرى : اتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بنى الحسن وولاية قتادة ،مخطوط مصور بجامعة أم القرى ، رقم ١٠ ، ١/٢٩-٣٠ .
(٢) ابن فهد : المصدر السابق نفسه ، ١/٥٧٧ ؛ دحلان : المرجع السابق نفسه ، ص ٣٦ .
(٣) الطبرى : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها .
(٤) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

وأصحابه ومستشاريه وأظهر لهم عزمه واصراره على محاربة الهواشم والاستيلاء على مكة واستشارهم فى ذلك وقال لهم : "خطر ببالى أخذ مكة فان ولاتها جاروا وظلموا فأجابوه جميعا بالسمع والطاعة وقالوا نحن منقادون لما تأمرنا به" (١) .

وهكذا وجد الأمير قتادة التأييد التام من قومه الا أنهم قد اشتكوا اليه قلة مابأيديهم من خيل ومؤن وسلاح ولكن قتادة كان رجلا ثريا لذلك فقد تكفل بتجهيز قومه بكل مايريدونه من مستلزمات القتال (٢) ، كما أنه قام باستمالة بعض القبائل المجاورة له كقبيلة بنى ابراهيم (٣) ، وبنى أحمد (٤) ، وبنى مطاعن (٥) ، فزحف بهم جميعا نحو مكة المكرمة وذلك سنة ٥٩٧هـ/١٢٠٠م وكانت مكة فى تلك الفترة يحكمها الأمير مكثر ابن عيسى (٦) الذى رأى خطورة الموقف وأدرك أنه لايستطيع مواجهة

---

(١) الطبرى : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها .

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها ؛ جميل حرب : الحجاز واليمن ، ص ٣٦ .

(٣) العصامى : سمط النجوم العوالى ، ٢٠٨/٤ .

(٤) أطلق اسم بنى ابراهيم على قبائل جهينة التى تسكن فى شمال غرب المملكة العربية السعودية ، ويذكر الجاسر بأن ذلك الاسم فى الواقع يطلق على فخذ من قبيلة جهينة وليس اسم للقبيلة كلها . انظر :
حسين بن سرحان : قبيلة جهينة (مجلة العرب ، ج١٢ ، السنة الثانية جمادى الآخرة ١٣٨٧هـ/١٣٨٨هـ ، ص ١١١٢-١١١٣ .

(٥) القلقشندى : صبح الأعشى ، ٢٧٢/٤ .

(٦) السنجارى : منائح الكرم ، ٢٧٦/١-٢٧٩ .
ولقد أورد ابن عنبة رواية انفرد بها عن بقية المؤرخين حيث ذكر بأن دخول قتادة الى مكة كان فى عهد الأمير منصور بن داود بن عيسى الذى أطاح بحكم عمه مكثر وأجلاه عن مكة واستولى على امارتها سنة ٥٩٣هـ/ ١١٩٦م ولم أجد فى المصادر التى اطلعت عليها مايدعم تلك الرواية .
انظر ابن عنبة : عمدة الطالب ، ص ٢٣٧ .

قوات قتادة التي كانت تفوق قواته عددا وعدة [(١)] ، لذلك فقد فضّل الهرب عن مكة خوفا على نفسه وأهله ، أما قتادة ورجاله فقد استطاعوا الدخول الى مكة ولم يجدوا أى صعوبة أو عائق أمامهم في الاستيلاء عليها [(٢)] ، ومما يؤكد ذلك ماذكره الفاسي من قوله :"وتجهز قتادة الى مكة في جماعة من قومه ، فما شعر به أهل مكة ، الا وهو بها معهم ، وولاتهم على ماهم فيه من الانهماك في اللهو ، فلم يكن لهم بمقاومته طاقة فملكها دونهم" [(٣)] .

وهناك رواية أخرى في قصة استيلاء الأمير قتادة بن ادريس الحسني على مكة المكرمة ، وقد انفرد بهذه الرواية بعض المؤرخين [(٤)] حيث ذكروا أن قتادة قد دخل مكة في السابع والعشرين من رجب سنة ٥٩٩هـ/١٢٠٢م وكان دخوله اليها في الوقت الذى كان فيه الأمير مكثر قد خرج هو وأتباعه الى التنعيم [(٥)] لأداء عمرة الأكمة وذلك اتباعا لعمرة

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ٣٩/٧-٤٠ ؛ العصامي : سمط النجوم العوالي ، ٢٠٨/٤ .
(٢) الجزيرى : الدرر ، ٥٧٧/١ .
(٣) الفاسي : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها .
(٤) الطبرى : اتحاف فضلاء الزمن ، ٢٩/١-٣٠ ؛ أيوب صبرى باشا : مرآة جزيرة العرب ، ٩٢/١-٩٣ .
(٥) التنعيم : هو المكان الذى يحرم منه من أراد العمرة حيث يوجد به مسجد عائشة رضي الله عنها وسمي التنعيم لأن الجبل الذى عن يمينه يقال له نعيم والذى عن يساره يقال له ناعم ، ويقع التنعيم على بعد ٦ كيلو متر شمالا من المسجد الحرام على طريق المدينة المنورة وأصبح التنعيم اليوم حيا من أحياء مكة الجميلة ويعرف بحي العمرة .
انظر : الحسين بن محمد الورثيلاني : الرحلة الورثيلانية ط٢ ، بيروت ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م ، ص ٣٨٤ ؛ البلادى : معالم مكة التاريخية ، ص ٥٠-٥١ .

عبد الله بن الزبير (١) ، فاستغل قتادة تلك الفرصة ودخل مكة واستولى عليها ، ولكن هذه الرواية قد خالفها المؤرخ العصامي حيث ذكر أنه لم يجد لها أى أصل فى الكتب التى رجع اليها (٢) .

وقد اختلفت الروايات التاريخية أيضا حول السنة التى استولى فيها قتادة على مكة فذكر بعض المؤرخين أن دخوله اليها كان فى عام ٥٩٧هـ/١٢٠٠م (٣) ، وذهب آخرون الى أن ذلك قد تم سنة ٥٩٨هـ/١٢٠١م (٤) . كما أن بعض المؤرخين قد أرخ ذلك الحدث سنة ٥٩٩هـ/١٢٠٢م (٥) .

ولقد ذكر بعض المؤرخين (٦) أن الذى دخل مكة واستولى عليها ليس قتادة وانما هو ابنه حنظلة حيث ذكروا أن الأمير قتادة قد أسند الى ابنه حنظلة مهمة قيادة الجيوش والاتجاه

---

(١) هذه العمرة قام بها عبد الله بن الزبير فى مثل ذلك اليوم حيث خرج الى التنعيم بعد أن فرغ من بناء الكعبة المشرفة فبقيت تلك العمرة عادة دينية عند أهالى مكة فى مثل ذلك اليوم . انظر :
ابن جبير : الرحلة ، ص ١١٤-١١٥ ؛ باشا : مرآة جزيرة العرب ، ١/٩٢-٩٣ .
ولمزيد من الايضاح حول تلك العادة الدينية انظر الفصل الرابع ، ص ٣٠٠ .

(٢) العصامى : سمط النجوم العوالى ، ٤/٢٠٧ .

(٣) ابن عنبة : عمدة الطالب ، ص ٢٣٩ ؛ الفاسى : العقد الثمين ، ١/١٧٣ ؛ السنجارى : منائح الكرم ، ١/٢٧٩ ، الصباغ : تحصيل المرام ، ص ٢١٩ .

(٤) قاسم بن يوسف التجيبى السبتى : مستفاد الرحلة والاغتراب ، ص ٣٠٥ ؛ اليافعى : مرآة الجنان ، ٣/٤٩٤ ؛ القلقشندى : مآثر الانافة ، ٢/٦٦ ؛ ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب ، ٤/٣٣٣ .

(٥) المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، ص ١٦٢ ؛ الطبرى : اتحاف فضلاء الزمن ، ١/٢٩-٣٠ .

(٦) المقريزى : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها ؛ القوصى : تجارة مصر ، ص ١٦٦ .

الى مكة فاستطاع حنظلة أن يدخل مكة ويستولى عليها ، والحقيقة التى أجمع عليها المؤرخون هو أن قتادة هو الذى قاد الجيوش بنفسه واستولى على مكة فذكر الفاسى قصة دخول قتادة الى مكة فقال :"فما شعر به أهل مكة الا وهو بها معهم" (١) ، كما أن المؤرخ الطبرى ذكر أن قتادة دخل مكة من أعلاها ففر مكثر الى وادى نخلة (٢) ، وقد نص المؤرخ ابن خلدون بصراحة على أن انقضاء حكم الهواشم على مكة كان على يد الأمير قتادة الحسنى (٣) ، وبذلك ينتفى الشك فى ذلك ولكن يمكن القول بأنه ربما كان قتادة قد أوكل الى ابنه حنظلة قيادة بعض الفرق العسكرية المتجهة الى مكة (٤) ، أو ربما يكون قد التبس الأمر عليهم بين ذلك وبين قصة محاربة حنظلة للأمير محمد بن مكثر الذى عقد العزم على استرجاع ملك آبائه وأجداده من الأمير قتادة فقام سنة ٦٠٠هـ/١٢٠٣م (٥) بالتحالف مع أمير المدينة سالم بن قاسم الحسينى الذى كان هو الآخر قد خشى على امارته من الزوال،وكان معارضا وغير راض عن سلب قتادة لحكم الهواشم (٦).فتحالف هذان الأميران وقاما بمراقبة وترصد جميع تحركات الأمير قتادة.وذلك فى محاولة منهم لاستغلال أية فرصة للقضاء عليه واعادة حكم الهواشم على مكة. فجاءتهم الأخبار بأن قتادة ينوى التوجه الى ينبع عندئذ

---

(١) الفاسى : العقد الثمين ، ٣٩/٧-٤٠ .
(٢) الطبرى : اتحاف فضلاء الزمن ، ٢٩/١-٣٠ .
(٣) ابن خلدون : العبر ، ١١٣/٤ .
(٤) جميل حرب : الحجاز واليمن ، ص ٣٦-٣٧ .
(٥) الطبرى : الأرج المسكى فى التاريخ المكى ، ص ٩٠-٩٥ ؛ جميل حرب : المرجع السابق نفسه ، ص ٣٧ .
(٦) القوصى : تجارة مصر ، ص ١٦٦ .

قاما بتحريض بعض قبائل الأشراف القاطنة على الطريق المؤدى الى ينبع،كقبيلة بنى يحيى وغيرها، على قتل قتادة.(١) ولما فشلت محاولة قتل قتادة قام هذان الأميران بتجهيز قوة كبيرة هاجما بها مكة المكرمة،عندئذ أصدر الأمير حنظلة،الذى كان نائبا عن أبيه فى امارة مكة،(٢) أوامره الى قائده الشريف بن هانى للتصدى لقوات الأمير محمد بن مكثر فتقابل الطرفان عند موقع يعرف بالمتكأ(٣) فجرت بينهما معركة كبيرة كان النصر فيها لقوات حنظلة التى استطاعت أن تقتل الأمير محمد بن مكثر ومعه ثلاثون شخصا من كبار قواده وأتباعه(٤) فتفرق جيش محمد بن مكثر وولى هاربا .

ولم تكن لأمراء الهواشم بعد تلك المعركة أية محاولة

---

(١) ابن الحسين : غاية الأماني ، ٣٦٢/١-٣٦٣ .

(٢) ابن الحسين : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها .

(٣) الفاسى : العقد الثمين ، ٣٩/٧-٤٠ ؛ جميل حرب : الحجاز واليمن ، ص ٣٧ .
والمتكأ : هو المكان الذى يتكىء فيه الانسان ، وهو يقع فى شعب أجياد الصغير الملاصق لجبل أبى قبيس ، والمتكا أو المتكأ معروف عند أهل مكة اليوم فى شعب أجياد الصغير ويزعمون أن النبى صلى الله عليه وسلم قد اتكأ فى ذلك المكان ، ويطلق الأزرقى اسم المتكأ على مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم الواقع فى أجياد ، ولكن التجيبى يذكر فى رحلته أن المتكأ يطلق على مسجد يقع فى طريق التنعيم ، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد جلس قرب ذلك المكان مستريحا عند عودته من العمرة . انظر :
الأزرقى : أخبار مكة ، ٢٩٠/٢ ؛ البلادى : معجم معالم الحجاز ، ٢٣٢/٦ ، الجاسر : مكة المكرمة فى القرن السابع كما فى رحلة التجيبى الأندلسى (مجلة العرب ج١-٢ ، س ١١ ، رجب ، شعبان ١٣٩٦هـ) ، ص ٦٥ .

(٤) ابن الحسين : المصدر السابق ، ٣٦٢/١-٣٦٣ ؛ ابن عنبة : عمدة الطالب ، ص ٢٣٩ .

لاسترجاع امارتهم على مكة ، فاستتبت الأمور بعد ذلك للأمير قتادة الذي أخذ يوسع نفوذ امارته التي امتدت من بلاد ينبع (١) شمالا حتى حلي والقنفذة على حدود اليمن جنوبا (٢). كما أنه قد ضم أيضا بلاد الطائف الى امارته بعد أن خاض معارك عنيفة جرت بينه وبين قبائل ثقيف (٣) ، واستولى كذلك على بعض مناطق من نجد وضمها الى امارته (٤) .

ودارت بينه وبين الحسينيين حكام المدينة عدة معارك وذلك بغية الاستيلاء عليها ولكنه فشل في تحقيق ذلك (٥) .

واستمر قتادة يحكم مكة حتى وفاته سنة ٦١٧هـ/١٢٢٠م (٦) فخلفه أبناؤه من بعده (٧) واستمرت الامارة في أيديهم حتى نهاية حكم الاشراف بمكة المكرمة سنة ١٣٤٣هـ/١٩٢٤م على يد المغفور له الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود طيب الله ثراه (٨)

---

(١) جميل حرب : المرجع السابق نفسه والصفحة نفسها .
(٢) أبو الفدا : المختصر ، ١٣٠/٣ ؛ الفاسي : العقد الثمين ، ١٧٣/١ ؛ أحمد شلبي : موسوعة التاريخ والحضارة الاسلامية ، ٢٠٨/٧ .
(٣) دحلان : أمراء البلد الحرام ، ص ٣٧ .
(٤) القلقشندي : صبح الأعشى ، ٢٧٢/٤ .
(٥) الفاسي : المصدر السابق نفسه ، ٣٩/٧-٤٠ .
(٦) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ٢٤٩/٦ .
(٧) ابن خلدون : العبر ، ١١٣/٤ .
(٨) السباعي : تاريخ مكة ، ٦٤٠/٢ ؛ المالكي : بلاد الحجاز ص ٥٠ .

الفصل الرابع

أثر العلاقات الخارجية على النواحي العامة بمكة المكرمة

(أ) أثر العلاقات على الحياة الاقتصادية بمكة المكرمة .

(ب) أثر العلاقات على الحياة الاجتماعية بمكة المكرمة .

(ج) أثر العلاقات على الحياة العلمية والثقافية بمكة المكرمة .

(أ) أثر العلاقات على الحياة الاقتصادية

* الموقع الجغرافى لمكة المكرمة
  وأثره على الناحية الاقتصادية .
* التجارة بمكة وأثر العلاقات على
  توافد التجار الى مكة .
* الزراعة والصناعة بمكة المكرمة .
* الضرائب والمكوس التى فرضها أمراء الهواشم
  على الحجاج والتجار وأثرها على الحيـــــاة
  الاقتصادية بمكة المكرمة .

الموقع الجغرافي لمكة المكرمة واثره على الناحية الاقتصادية

كان للموقع الجغرافي الذي كانت تتمتع به مكة المكرمة أثر عظيم على نشاطها التجاري ، فقد كانت ملتقى للقوافل التجارية القادمة من اليمن والمتجهة الى الشام أو العكس[1] ، وكانت مكة المكرمة من أهم المراكز التجارية في شبه الجزيرة العربية في القرن السادس الهجري ، حيث اشار الرحالة ابن جبير الى تلك الأهمية بقوله :"والطريق اليها ملتقى الصادر والوارد" لذلك كانت مكة محطة تجارية تتزود منها القوافل التجارية بالماء والمؤن والبضائع ثم تتابع تلك القوافل سيرها شمالا أو جنوبا[2] .

ومما ساعد على ازدهار الحياة الاقتصادية بمكة قدوم مئات الألوف من المسلمين اليها كل عام لأداء فريضة الحج والعمرة ، فكان لهؤلاء الحجاج دور كبير في تنشيط حركة البيع والشراء في أسواقها[3] ، ومما زاد في أهميتها الاقتصادية ايضا موقعها القريب من ميناء جدة الواقع على ساحل البحر الأحمر الذي يبعد عن مكة اربعين ميلا فقط من جهة

---

(١) ابن جبير : الرحلة ، ص ٩٦-٩٧ ؛ باقاسي : بلاد الحجاز في العصر الأيوبي ، ص ٦١ .

(٢) ابن جبير : المصدر نفسه ، ص ٩٧ ؛ فريال عبد المجيد الشريف : مكة كما جاءت في كتب الرحالة المسلمين منذ القرن السادس الهجري حتى نهاية القرن التاسع الهجري رسالة ماجستير بجامعة أم القرى ١٤٠٠ - ١٤٠١هـ / ١٩٨٠ - ١٩٨١م ، ص ٩٥ .

(٣) ابن الجوزي : المنتظم ، ١٠/٢٢٢ ؛ ابن جبير : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها ، علي بن حسين السليمان : العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك ، القاهرة ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م ، ص ١٥٩ .

الغرب[(١)] ، وكان ميناء جدة يستقبل أعدادا كثيرة من المراكب التجارية القادمة من موانى مصر والحبشة والهند والصين واليمن[(٢)] .

وهكذا كان للموقع الجغرافى الذى تمتعت به مكة المكرمة فى عهد أمراء الهواشم أثر كبير فى حرص الخلافة الفاطمية على فرض سيادتها ونفوذها على مكة المكرمة لأن الفاطميين كانوا حريصين على حماية مصالحهم التجارية فى البحر الأحمر الذى تتحكم امارة مكة فى ساحله الشرقى[(٣)] .

وقد نجح الفاطميون فى تحويل تجارة الشرق الأقصى من الخليج العربى الى البحر الأحمر سعيا وراء هدف واحد هو اضعاف الخلافة العباسية من الناحية الاقتصادية[(٤)] ، وذلك مما يؤثر بالطبع على سيادة العباسيين على بلاد الحجاز .

لذلك باتت أهمية مكة الاقتصادية واضحة ، وأصبحت لها علاقات اقتصادية مع كثير من البلدان الاسلامية فى تلك الفترة[(٥)] .

ولقد اهتم أمراء مكة بمدينة جدة اهتماما كبيرا وذلك بسبب قربها من مكة ولمركزها المرموق فى التجارة الدولية ، هذا اضافة الى أهميتها كبوابة لبلاد الحجاز عامة بالنسبة

---

(١) السبتي : مستفاد الرحلة والاغتراب ، ص ٢١٨ .
(٢) السبتي : نفس المصدر السابق والصفحة ؛ غرس الدين خليل بن شاهين الظاهرى : زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، صححه بولس راويس ، باريس ١٨٨٩م ، ص ١٤ .
(٣) القوصي : تجارة مصر في البحر الأحمر ، ص ١٠٨ .
(٤) حسنين ربيع : بحر الحجاز في العصور الوسطى ، ص ٤٠١-٤٠٢ .
(٥) السليمان : العلاقات الحجازية ، ص ١٥٧ .

للقادمين اليه من مصر وافريقيا والمغرب وبلاد السودان[١] .

ولقد كانت مدينة جدة فى تلك الفترة تابعة لأمراء الهواشم الذين كانوا يعينون عليها نائبا لهم تكون مهمته مقصورة على ادارة أحوال البلاد ، وتحصيل المكوس من الحجاج والتجار ، واستقبال كبار الشخصيات الاسلامية القادمة الى مكة عن طريق ميناء جدة ، فقد ذكر ابن جبير فى رحلته أن نائب الأمير مكثر بن عيسى القائد على بن موفق[٢] قد استقبله حال وصوله الى جدة وأسكنه فى داره عدة أيام حتى غادرها الى مكة المكرمة[٣] .

وكانت تصل الى جدة جميع أنواع البضائع القادمة من شتى الأقاليم الاسلامية ، وخاصة فى موسم الحج حيث تزداد مواردها المالية فتتسع بها حركة البيع والشراء ، وتزدهر أسواقها ، وتعقد فيها الصفقات التجارية الكبرى ، ويكثر القادمون اليها والخارجون منها فيستفيد أهلها من ذلك استفادة كبيرة[٤] ، ففى خاناتها كان يسكن الحجاج والتجار ، ومن أسواقها كانت تشترى البضائع الثمينة والذخائر النفيسة التى تجلب اليها من شتى بلدان العالم .

ومما يؤكد مدى الأهمية التجارية التى كانت تتمتع بها مدينة جدة التابعة لامارة مكة فى عهد الهواشم ، هو ماورد

---

(١) ريتشارد مورتيل : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة ، ص ١٧٥ .
(٢) لم أجد له ترجمة فى المصادر التى تم الاطلاع عليها .
(٣) ابن جبير : الرحلة ، ص ٥٢-٥٧ .
(٤) السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ١٩٢-١٩٣ .

فى وثائق الجنيزة[(١)] من أن تجار المغرب والأندلس كانوا يبيعون بضائعهم كالحرير والنحاس وغيرها من منتجات بلادهم فى مصر والشام، ولكن اذا حدث ولم يصادف هؤلاء التجار نجاحا أو سوقا رائجة لتصريف بضائعهم فيها فسرعان مايتجهون بتلك البضائع الى ميناء جدة لتصريفها هناك[(٢)].

ثم تُنْقَل بعض هذه البضائع من جدة الى مكة المكرمة لتباع فى أسواقها العامرة التى يفد اليها التجار من جميع الأقطار وهم يحملون معهم شتى أنواع البضائع والمنتجات المتنوعة فى بلدانهم فيبيع هؤلاء التجار بأسواق مكة

---

(١) وثائق الجنيزة : هى عبارة عن خطابات أرسلت من عدن وجدة وغيرها من موانى الجزيرة العربية الى المدن المصرية أو العكس ، وقد وصلت هذه الوثائق الى مجموعة وثائق مهمة أصبحت مصدرا لمن يريد دراسة تجارة مصر فى البحر الأحمر والمحيط الهندى فى عهد الدولة الفاطمية والأيوبية .
وقد حُفِظت هذه الوثائق فى حجرة الجنيزة التى يحتفظ فيها اليهود بأوراقهم الخاصة لذلك سميت هذه الوثائق باسم تلك الحجرة ، ولقد أطلق الباحثون مصطلح وثائق الجنيزة القاهرية على مجموعة الوثائق التى عثر عليها فى حجرة مظلمة فى سيناجوج (معبد اليهود) بالفسطاط ، كما أطلقت أيضا على مجموعة وثائق عثر عليها فى مقبرة البساتين قرب القاهرة ، ويُقدّر عدد هذه الوثائق الموجودة الآن حوالى عشرة آلاف وثيقة ، وهى متفرقة فى مكتبات العالم ، وكانت هذه الوثائق تحتوى على خطابات وقوائم حسابات وموارد مالية متنوعة وايجارات دور وحوانيت وأثمان السلع والمتاجر المختلفة .
انظر : حسنين محمد ربيع : وثائق الجنيزة وأهميتها لدراسة التاريخ الاقتصادى لموانىء الحجاز واليمن فى العصور الوسطى (ضمن مجموعة الأبحاث المقدمة للندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية فى ٥ ـ ١٠ جمادى الأولى ١٣٩٧هـ ، ج٢ ، الرياض ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) ص ١٣١-١٣٢ ; القوصى : تجارة مصر فى البحر الأحمر ، ص ٨٤ ; الزيلعى : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ١٨١،١٨٢ .

(٢) حسنين ربيع : المرجع السابق ، ص ١٣٥ .

مايجلبونه معهم من بلادهم ويشترون منها مايجدونه رائجا في أسواق بلادهم ، ولقد وصف لنا الرحالة ابن جبير الحالة الاقتصادية التي تمتعت بها مكة المكرمة في عهد أمراء الهواشم حيث قال : "انها كانت ملتقى للصادر والوارد وملتقى لأهل المشرق والمغرب من المسلمين فالثمرات تجبى اليها من كل مكان ، فهي أكثر البلدان نعما وفواكه ومنافع ومرافق ومتاجر" (١) .

أما عن الأسواق التجارية بمكة فقد كان بها عدة أسواق فمن أهمها السوق المعروف بسوق المسعى الذي كان يعتبر من أكبر وأهم الأسواق التجارية بمكة حيث كان يمتد على جانبي الصفا والمروة (٢) .

وكانت تكثر على جانبيه حوانيت الباعة ، ولكن مما يلاحظ على تلك السوق هو عدم التنظيم ، فقد كان الساعون بين الصفا والمروة يجدون صعوبة بالغة في السعي وذلك بسبب كثرة الزحام في ذلك السوق (٣) ، وكان يباع في تلك السوق جميع أنواع البضائع الواردة من الشرق والغرب ، كالجواهر ، والذخائر النفيسة ، والأحجار الكريمة كما يباع فيها أيضا جميع أنواع الطيب كالمسك ، والكافور ، والعنبر ، والعود ، والعقاقير الهندية وغير ذلك مما هو مجلوب من الهند والحبشة وغيرها

---

(١) ابن جبير : الرحلة ، ص ٩٦-٩٧ .

(٢) خسرو : سفر نامه ، ص ١٢١-١٢٢ ، ابن جبير : المصدر السابق ، ص ٨٥ ، أبي عبد الله محمد بن محمد العبدري : الرحلة المغربية ، تحقيق محمد الفاسي ، الرباط ١٩٦٨م ص ١٧٦ .

(٣) ابن جبير : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها ، العبدري : نفس المصدر السابق والصفحة .

من البلدان كاليمن والعراق وخراسان والمغرب[(١)] ، ويباع فيها أيضا جميع أنواع الخضروات والفواكه والحبوب واللحوم والتمور وسائر المواد الغذائية[(٢)] .

وكانت توجد بمكة أيضا أسواق تجارية اختصت ببيع سلع معينة كسوق العطارين[(٣)] ، الذى اختص ببيع جميع أنواع العطارة على اختلاف أنواعها ، وسوق البزازين الذى اختص ببيع الأقمشة والنسيج ، وسوق الحجامين ، والحدادين ، وسوق الحطب[(٤)] ، وسوق الورّاقين ، وسوق الغنم[(٥)] وغير ذلك من الأسواق المنتشرة بأحياء مكة المكرمة فى تلك الفترة .

كما كانت توجد بمكة المكرمة سوقا تعرف بسوق ابن يزيد حيث ذكر أبو عبيد البكرى أن رجلا عمانيا قدم الى مكة وباع بها فى سوق ابن يزيد لؤلؤتين لم ير مثلهما وقد باعها بألفى دينار من الذهب[(٦)] .

فربما يكون ذلك السوق كان مخصصا لبيع المجوهرات والأحجار الكريمة . أما عن سبب تسميته بذلك الاسم فلم

---

(١) ابن جبير : المصدر السابق ، ص ٩٦-٩٧ ؛ جميل حرب : الحجاز واليمن ، ص ١٣٧-١٣٨ .
(٢) ابن جبير : المصدر السابق ، ص ٨٥ .
(٣) خسرو : سفر نامه ، ص ١٢٣ ؛ الفاسى : العقد الثمين ، ١٣٢/٢-١٣٣ .
(٤) شمس الدين محمد بن أحمد المقدسى : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ط٢ ، ليدن ١٩٠٦م ، ص ١٠٢ ؛ سعاد ابراهيم الحسن : النشاط التجارى في مكة المكرمة في العصر المملوكي ، رسالة ماجستير جامعة أم القرى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ، ص ٢٧١ .
(٥) الازرقى : أخبار مكة ، ٢٠١/٢، ٢٣٢، ٢٤٩، ٢٥٦، ٢٦٣ ؛ الفاسى : شفاء الغرام ، ٤١٨/١ .
(٦) البكرى : جزيرة العرب من كتاب الممالك والمسالك ، تحقيق عبد الله الغنيم ، ص ٣٦ .

تسعفنا المصادر في ذلك ولكن يبدو انه سمي بذلك نسبة الى أحد التجار المشهورين به في تلك الفترة .

وكانت تقام بالمشاعر المقدسة ، كمنى وعرفات ومزدلفة اثناء وجود الحجاج بها أسواقا تجارية تباع فيها شتى انواع البضائع التي يجلبها الحجاج معهم من بلادهم كما يباع فيها جميع مايحتاجه حجاج بيت الله الحرام في تلك الفترة من اطعمة ومواد غذائية وهدايا[١] يحملونها معهم الى أهلهم وذويهم عند عودتهم الى بلادهم .

فلقد سجلت الأسواق الموسمية في منى وعرفة نشاطا تجاريا ملحوظا فالتجمع الاسلامي الكبير كان يصاحبه دائما حركة هامة ونشطة في البيع والشراء ، ففي هذه الأسواق الموسمية كان يلتقي عدد غفير من التجار والوكلاء وغيرهم ، وتعقد فيها الصفقات التجارية الكبرى[٢] .

فهذه الأسواق التجارية الموجودة بمكة سواء الثابتة بها أو الموسمية توضح لنا طبيعة الحركة التجارية الهائلة فيها . فالأسواق المتخصصة بتجارة العطارة والبخور كانت تعج بشتى أنواع التوابل والعقاقير الطبية والعطور المختلفة ، والاسواق المتخصصة ببيع النسيج كانت تمتلىء بمختلف المعروضات من شتى انواع الاقمشة والسجاجيد الفارسية الفاخرة[٣] .

---

(١) العبدرى : الرحلة المغربية ، ص ١٨٥ ، جميل حرب : الحجاز واليمن ، ص ١٣٧-١٣٨ .
(٢) سعاد الحسن : النشاط التجاري في مكة في العصر المملوكي ، ص ٢٧٨-٢٨٠ .
(٣) سعاد الحسن : المرجع السابق نفسه ، ص ٢٨٠ .

وكانت هناك صلات وعلاقات تجارية واقتصادية بين تجار مكة وتجار العراق ومصر واليمن ، وتزداد هذه الصلات نشاطا في مواسم الحج والعمرة ، وكانت قوافل التجار من العراق والشام تتردد باستمرار على مكة المكرمة[1] .

ومما لاشك فيه أن رحلات الحج التي كان يقوم بها المسلمون من شتى أقطار العالم الاسلامي قد زادت من حجم التجارة الأمر الذي دفع الخلافة العباسية الى أن تهتم بتنظيم الطرق وخاصة الطرق التي تربط عاصمتها بغداد بمكة المكرمة[2] .

وكان لمكة المكرمة في عهد أمراء الهواشم علاقات اقتصادية وتجارية مع بلاد اليمن حيث كانت معظم المواد الغذائية ترد الى مكة من بلاد السراة وأهلها من القبائل اليمنية الموالية لمكة المكرمة كقبيلة بجيلة وغامد وزهران وغيرهم[3] والذين عرفوا بتلك الفترة باسم قبائل السرو[4] ، ولقد كان أهالي مكة المكرمة يستبشرون بقدوم تلك القبائل الى بلادهم وذلك ليحملوا منهم على جميع مايريدونه من الأطعمة[5] التي يجلبونها معهم كالحنطة والشعير والقمح والسمن والعسل والزبيب الأحمر والأسود واللوز وغيرها من المواد الغذائية والتي كانوا يبيعونها لأهالي مكة ومجاوريها ولكنهم كانوا

---

(١) حسين علي المصري : تجارة العراق في العصر العباسي ، الكويت ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، ص ٣٧٧ .
(٢) المصري : نفس المرجع ، ص ٣٨١ .
(٣) ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٦٠ ; الزيلعي : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ١٦٦ .
(٤) سبق تعريف هذه القبائل في الفصل الأول ص ٧١، حاشية (١).
(٥) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٢/٥٤٨ .

لايبيعون ذلك بدراهم أو دنانير وانما كانوا يأخذون بدلا منها الأقمشة والعباءات والشمل والملاحف المتان التى اعتاد أهالى مكة تجهيزها لهم .(١)

والحقيقة أن أهالى مكة المكرمة فى تلك الفترة قد اعتمدوا فى وارداتهم من المواد الغذائية على تلك القبائل كما اعتمدوا على تجار العراق فى الحصول على الدنانير الذهبية ، فيروى لنا ابن المجاور أن أهل مكة كانوا يقولون عن حجاج العراق وحجاج اليمن "حاج العراق أبونا نكسب منه الذهب ، والسرو أمنا نكسب منهم القوت" .(٢)

وكانت مكة المكرمة أيضا تربطها بمصر فى عهد الخلافة الفاطمية روابط اقتصادية قوية اذ كان أهالى مكة المكرمة وتجارها يعتمدون اعتمادا كبيرا على التجار المصريين القادمين من بلاد مصر . ومما يؤكد ذلك القول تلك الآثار الاقتصادية السيئة التى تعيشها مكة المكرمة وقت توقف قدوم التجار المصريين اليها(٣) إما بسبب ظروف بلادهم الاقتصادية ، أو بسبب سوء علاقة أمراء مكة الهواشم بالدولة الفاطمية ، فيظهر أثر ذلك التوقف على تدهور الناحية الاقتصادية بمكة المكرمة .(٤)

ولقد أدرك الخلفاء الفاطميون مدى أهمية وصول الحجاج والتجار المصريين الى مكة فأصبحوا يساومون بهم أمراء

---

(١) ابن جبير : الرحلة ، ص ١١٠ .
(٢) ابن المجاور : صفة بلاد اليمن ومكة ، ص ٢٧ ؛ الزيلعى مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ١٦٧ .
(٣) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٥٢٩/٢ .
(٤) ابن الجوزى : المنتظم ، ٢٢٢/١٠ ؛ الجزيرى : الدرر الفرائد ، ٥٦٧/١ .

الهواشم وذلك ليقيموا لهم الخطبة على منابر مكة المكرمة فإذا رفض أحد هؤلاء الأمراء قبول السيادة الفاطمية فانه سرعان مايصدر الخليفة الفاطمى أمرا يمنع فيه السفر الى مكة المكرمة لأى غرض سواء كان تجاريا او دينيا [١]. وهذا مما يؤثر بالطبع على أوضاع مكة الاقتصادية ، كما انه كان لسوء علاقة أمراء الهواشم بالمليحيين فى بعض الفترات أثر على تردى الأوضاع الاقتصادية داخل مكة المكرمة ، فقد كان أمير اليمن على بن محمد المليحى يدرك تمام الادراك مدى الأهمية الاقتصادية التى كانت تلعبها قبائل السرو فى أسواق مكة المكرمة لأنه كان يعلم أن عدم قدوم هذه القبائل اليمنية الى مكة يعنى عدم وصول المواد الغذائية اليها والتى عادة مايحملها هؤلاء معهم أثناء قدومهم الى مكة لأداء فريضة الحج أو العمرة .

فأراد المليحى أن يستغل ذلك فى تحقيق مصالحه وأهدافه السياسية . فتذكر بعض المصادر أن المليحى حينما علم بخروج أمير مكة محمد بن جعفر عن طاعة الفاطميين سنة ٤٥٨هـ / ١٠٦٥م [٢] أصدر قراره الذى يقضى بعدم سفر الحجاج والتجار اليمنيين الى مكة [٣]. فظهر أثر ذلك القرار على تردى الأوضاع الاقتصادية بمكة المكرمة فى تلك الفترة [٤]، حيث انعدمت بها

(١) المقريزى : اتعاظ الحنفاء ، ٢ /٩٠ .
(٢) ابن خلدون : العبر ، ٤ /١٠٣ ، راجع الفصل الثانى ص١٤٦ .
(٣) الرشيدى : حسن الصفا والابتهاج ، ص ١١٤ .
(٤) الفاسى : شفاء الغرام ، ٢ /٣١١ ؛ ابن فهد : اتحاف الورى ، ٢ /٤٧٠ .

المؤن وارتفعت أسعار السلع في أسواقها [١] ، وخاصة أسعار المواد الغذائية التي كانت تستورد من بلاد اليمن .

وقد نشطت حركة البيع والشراء بمكة المكرمة وقامت بها حركة استيراد وتصدير واسعة النطاق بينها وبين كثير من البلدان الاسلامية [٢] ، فكانت أهم السلع الواردة الى مكة هي التوابل كالفلفل ، والقرنفل ، والقرفة (الدارصيني) ، والزنجبيل ، والكافور ، والعود الهندي ، والزعفران ، والبهار ، وجميع أنواع التوابل الأخرى التي اعتاد تجار [٣] الكارمية [٤] جلبها الى ميناء جدة ومن ثم نقلها الى مكة المكرمة لتباع في أسواقها ، لأن تجار الكارم يعتبرون مكة

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ٤٤٠/١ ، ابن فهد : غاية المرام ، ٥١٠/١ .
(٢) الزيلعي : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ١٩٢ .
(٣) القوصي : تجارة مصر في البحر الأحمر ، ص ١٠٣ ؛ باقاسي بلاد الحجاز ، ص ٦٨ .
(٤) تجار الكارمية : هم فئة من التجار تخصصوا في تجارة التوابل ، وكانت عدن مركزا لتجارة الكارم وذلك طوال العصر الفاطمي ، حيث ان توابل الهند كانت تصل الى عدن ومنها تصدر الى بقية الموانى كميناء جدةوعيذاب وغيرها . أما عن سبب اطلاق ذلك الاسم على هؤلاء التجار فقد اختلف المؤرخون به فالبعض ذكر أن كلمة الكارمية مأخوذة من الكانم وهي منطقة في السودان الغربي وان هذا الاسم قد انتشر بين من اشتغل بتجارة البهار ، وبعضهم نسبها الى كلمة كاريام وهي كلمة هندية معناها الأعمال والأشغال ، كما نسبها بعضهم الى كلمتين وهما "كار" بمعنى الحرفة أو العمل أو التجارة و "يم" معناها المحيط أو البحر ثم سقط حرف الياء من كاريم فأصبحت كارم فيصبح معنى الكلمة حسب ذلك التفسير هوحرفة التجارة في البحار ، كما ذكر البعض أن كلمة الكارم تعني العنبر الأصفر ، وكيفما كان الأمر فان ذلك الاسم أطلق على تجار التوابل والبهار وسمي تجارها بالأكارم أو الكارمية . انظر :
صبحي لبيب : التجارة الكارمية وتجارة مصر في العصور الوسطى (المجلة التاريخية المصرية مجلد ٤ ، عدد ٢ ، ١٩٥٢م) ، ص ٧٠،٦٠٥ ؛ القوصي : المرجع السابق ، ص ١٠٠-١٠١ .

من أهم مراكزهم للاستثمار والاتجار على أوسع نطاق .[١]

وكانت ترد الى مكة أيضا المواد الغذائية والمحصولات الزراعية ، والجلود ، والثياب ، والملاحف القطنية ، والصمغ العربى ، والمواد التى تدخل فى صناعة الألوان كالوَرْس[٢] الذى يستخدم فى صباغة الملابس ، ويستخدم أيضا كمادة للتجميل تستخدمه النساء فى تلك الفترة[٣] . كما كان يرد الى مكة كثير من منتجات بلاد الشام ومصر كالزيتون ، والغلال ، والأصباغ ، والمنسوجات وغير ذلك من البضائع الثمينة التى تجد لها رواجا فى أسواق مكة المكرمة .[٤]

ولم تكن هذه هى البضائع الوحيدة التى كانت ترد الى مكة بل انه كان يرد اليها كثير من المنتجات الهندية والحبشية والعراقية والخراسانية والمغربية والأندلسية ، وقد وصف ابن جبير ذلك بقوله : "فما على الأرض سلعة من السلع ولاذخيرة من الذخائر الا وهى موجودة فيها مدة الموسم فهذه بركة لاخفاء بها وآية من آياتها التى خصها الله بها".[٥]

---

(١) صبحى لبيب : نفس المرجع السابق ، ص ١٩ .

(٢) الورس : نبات كالسمسم أصفر اللون يزرع فى اليمن ويبقى بعد زرعه عشرين سنة نافع للكف طلاء ، وللبهق شربا ، وينبت أيضا فى بلاد الحبشة ولكنه أقل جودة من ورس اليمن ، ويتخذ منه الأصباغ التى تضعها النساء على وجوهها ، كما تصبغ بها الملابس لتعطيها اللون الأصفر . انظر : مجد الدين الفيروز ابادى : القاموس المحيط ، ط٣ ، القاهرة ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م ، ٢٥٧/٢ ؛ البكرى : جزيرة العرب من كتاب الممالك والمسالك ، ص ١١٩ .

(٣) البكرى : المصدر السابق نفسه ، ص ١٢٦-١٢٧ .

(٤) الرشيدى : حسن الصفا والابتهاج ، ص ٤٦-٤٧ ؛ المالكى : بلاد الحجاز ، ص ٩٥-٩٦ .

(٥) ابن جبير : الرحلة ، ص ٩٧ .

ولقد كان هؤلاء التجار الذين يفدون الى مكة يعودون الى بلادهم وهم محملون بكثير من البضائع التى وجدوها بأسواق مكة المكرمة حيث كانوا يشترون مايرونه رائجا فى أسواقهم ويحرصون على شراء شيلان الكشمير وثياب الموسلين المنسوبة الى الموصل والأقمشة الفاخرة التى ترد الى ميناء جدة حيث يتم توزيعها وبيعها بمكة المكرمة .

وكانت القوافل التجارية تحمل عند عودتها من مكة السنا المكى[(١)] الذى كان يستخدم فى صباغة الشعر حيث يقوم النساء بخلطه بالحناء فيعطى اللون الأسود لشعر المرأة[(٢)] . وقد كانت هذه القوافل التجارية العائدة من مكة تحدث تغيرات فى الأسواق الدولية فلقد ورد فى وثائق الجنيزة نصائح من كبار التجار لشركائهم فى بعض البلدان بعدم التسرع فى شراء بضائعهم ومتاجرهم حتى يعود التجار من مكة بعد موسم الحج من كل عام[(٣)] ، حيث تكثر البضائع التى يجلبها التجار معهم من مكة وذلك مما يؤدى بدوره الى رخص أسعار هذه البضائع فى البلدان الأخرى . فهذا يدل دلالة واسعة على مدى الأهمية التجارية التى كانت تتمتع بها مكة المكرمة فى عهد أمراء الهواشم[(٤)] .

---

(١) السنا المكى : هو نبات كانه الحناء ، له زهر مائل الى الزرقة وحبه مفرطح الى الطول ، ومنه نوع عريض الأوراق أصفر الزهر . انظر :
غوستاف لوبون :حضارة العرب ، نقله الى العربية عادل زعيتر ، ط٤ ، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م ، ص ٤٢ ، جميل حرب : الحجاز واليمن ، ص ١٢٤ .

(٢) البكرى : المصدر السابق ، ص ١٢٧ .

(٣) ربيع : وثائق الجنيزة ، ص ١٣٥ ، الزيلعى : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ١٨٢ .

(٤) نفس المرجعين السابقين ونفس الصفحات .

الزراعة بمكة المكرمة .

قال الله تعالى فى كتابه الكريم : "ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون" (١) .

فمن هذه الآية الكريمة يتضح لنا أن منطقة مكة المكرمة تقع فى واد غير صالح للزراعة (٢) ، فأرضها جرداء شحيحة المياه ومناخها جاف وحار ، فابن حوقل يقول : "وليس بمكة ماء جار الا شيئا أجرى اليها من عين كان قد عمل فيها بعض الولاة ... وليست لهم آبار يشربون منها ... ولكن اذا جزت الحرم فهناك عيون وآبار وحوائط كثيرة ، وأودية ذات خضر ، ومزارع ونخيل" (٣) .

وقد استجاب الله عز وجل دعوة ابراهيم الخليل عليه السلام فرزق أهل مكة والحجاج القادمين اليها بالثمرات والمواد الغذائية (٤) التى كانت تجلب اليها من المناطق المجاورة لها والتابعة لامارتها فى تلك الفترة كمنطقة عسفان (٥) ، ومر الظهران ، ووادى نخلة ، وحداء ، والطائف ،

---

(١) سورة ابراهيم : ٣٧
(٢) ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٢٥-١٢٦ .
(٣) أبو القاسم محمد بن على بن حوقل : صورة الأرض ، بيروت ١٩٧٩م ، ص ٣٧ ؛ السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ص ١٧١ .
(٤) ابن جبير : الرحلة ، ص ٩٧ .
(٥) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٣٩ ؛ ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص ١٢٤-١٢٦ ؛ شرف البركاتى : الرحلة اليمانية ، ص ١٤١ .

وأدم (١) ، وبرقة (٢) ، وغير ذلك من القرى والمناطق المجاورة لمكة المكرمة والتي تكثر فيها الآبار والعيون كعين سليمان (٣) وغيرها .

وكانت تلك القرى المحيطة بمكة تصدر اليها الخضروات ، والفواكه كالتين ، والرمان ، والعنب ، والسفرجل ، والخوخ والاترج ، والجوز ، والبطيخ ، والقثاء ، والخيار ، والباذنجان ، واليقطين ، واللفت ، والجزر ، والكرنب ، والحناء ، وجميع انواع الرياحين والورود والأزهار المعطرة (٤) ، والرطب الذي كان أهالي مكة يجففونه ثم يضعونه في السلال ليقوموا بأكله طوال العام (٥) .

كما كان يجلب الى مكة من بلاد تهامة والسراه الحنطة ، واللوبيا ، وسائر أنواع الحبوب ، والزبيب بنوعيه الأحمر والأسود ، واللوز ، وقصب السكر وغير ذلك من الخضروات والفواكه (٦) .

---

(١) أدم : هي قرية من قرى الطائف اشتهرت بزراعة انواع عديدة من الفواكه وتبعد عن مكة مسيرة يوم واحد .
انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ٢٦/١ ، ابن جبير : الرحلة ، ص ٩٩ .

(٢) خسرو : سفر نامه ، ص ١٣٤ .
وبرقة : هي عين كانت تقع بطرف وادى فاطمة من جهة الجنوب . انظر :
البلادى : معجم معالم الحجاز ، ٢٠٦/١ .

(٣) ابن جبير : نفس المصدر السابق والصفحة .
عين سليمان : هي عين تقع في وادى ضيم جنوب مكة وتبعد عنها بـ ٤١ كيلو متر يربطها درب المعرفات بعرفة ، والعابدية شمالا ، ودفاق وادام جنوبا . وتعرف اليوم باسم عين الباشه او عين ضيم . انظر :
البلادى : نفس المرجع السابق ، ٢٠٤/٦-٢٠٥ .

(٤) ابن جبير : المصدر السابق ، ص ٩٧ .

(٥) نفس المصدر السابق ، ص ٩٩ .

(٦) ابن جبير : نفس المصدر ، ص ١١٠ .

وكان يوجد في الأحياء القريبة من مكة بعض المزارع والبساتين القليلة ، ففي منطقة الزاهر كان يوجد بها بعض المزارع التي كانت تزرع فيها الفواكه والخضروات والنخيل (١) حيث يُجْلب منها الرطب الى مكة المكرمة (٢) ، وكان بمنطقة المسفلة الواقعة جنوب مكة بستان كبير تحف به أشجار النخيل والعنب والرمان (٣) .

كما أن مكة المكرمة قد اشتهرت بوجود نبات القرض بها (٤) ونظرا لأهمية ذلك النبات في دباغة الجلود فقد كانت القوافل التجارية تحرص عند مغادرتها للأراضي المكية بحمل ذلك النبات ليباع في المدن التي تشتهر بدباغة الجلود .

ومما تنبغي الاشارة اليه أن أهالي مكة المكرمة قد استعانوا بخبرة المزارعين المغاربة الذين استخدموهم في زراعة بعض الأراضي . ولقد أشار الرحالة ابن جبير الى ذلك حيث قال : "والفواكه تجلب اليها من الطائف ..... ، ومن بطن مر ، وهو على مسيرة يوم أو أقل ، ومن نخلة ، وهي على مثل هذه المسافة ، ومن أودية بالقرب من البلد كعين سليمان وسواها ، قد جلب الله اليها من المغاربة ذوي البصارة بالفلاحة والزراعة فأحدثوا فيها بساتين ومزارع ، فكانوا أحد الأسباب في خصب هذه الجهات ، وذلك بفضل الله ، عز وجل

---

(١) نفس المصدر السابق ، ص ٨٨ ؛ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٣٨-١٣٩ .

(٢) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٣٧ .

(٣) ابن جبير : المصدر السابق ، ص ٩٣ .

(٤) أحمد فاروق : دباغة الجلود وتجارتها عند العرب في مستهل الاسلام (مجلة العرب ، السنة العاشرة ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م ، ج ٧-٨) ، ص ٥٤٢ .

وكريم اعتنائه بحرمه الكريم ، وبلده الأمين" .(١)

وهكذا كان لهؤلاء المغاربة دور كبير في اخصاب بعض الأراضي المالحة للزراعة في المناطق القريبة من مكة المكرمة .(٢) فهذا يدل دلالة واضحة على أن أهالي مكة المكرمة كانت تنقصهم الخبرة الكاملة في الزراعة ولاغرابة في ذلك لأنهم يعيشون في بلاد معظم أراضيها مجدبة قليلة المياه وذلك مما أدى الى قلة المزارع بها والذي أدى بدوره الى جهل الكثير من أهالي مكة بالأمور الزراعية .

---

(١) ابن جبير : الرحلة ، ص ٩٩ .
(٢) فريال عبد المجيد : مكة المكرمة كما جاءت في كتب الرحالة ، ص ١٠٤ .

الصناعة بمكة المكرمة .

كانت الصناعة بمكة المكرمة في عهد أمراء الهواشم تعتمد على جهد الانسان وقوته وطاقته [(١)] ، فمن أهم الصناعات التي اشتهرت بمكة المكرمة في تلك الفترة صناعة دبغ الجلود حيث كان يوجد بها صناع مهرة متخصصون في هذا المجال وقد ذاع صيتهم في البلدان الاسلامية ، فيذكر ابن المجاور أن سكان بلاد المشرق كانوا يشترون جلود البغال والبقر من الموصل واربل وينقلونها الى مكة لتدبغ هناك [(٢)] ، وكانت جلود الحيوانات التي تدبغ بمكة المكرمة تجلب اليها من بلاد اليمن ، وعمان ، وهجر وبقية المدن الاسلامية الأخرى ثم تدبغ بها وتصدر الى مصر والحبشة وفارس وماوراء النهر [(٣)] .

ولقد كان يصنع من هذه الجلود المدبوغة بمكة القِرَب التي كانت تستخدم لحفظ الماء والعسل والزيت واللبن وبقية السوائل [(٤)] ، كما يصنع منها أيضا الألبسة الشتوية والأحذية التي يلبسها الرجال والنساء [(٥)] ، وكان الأعراب أيضا يضعون التمر في جوارب من الأديم .

اذن فلا نغالي اذا قلنا ان دباغة الجلود كانت من أهم الصناعات الموجودة بمكة المكرمة وبالقرى المحيطة بها ،

---

(١) جميل حرب : الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ، ص ١٢٦ .
(٢) ابن المجاور : صفة بلاد اليمن ومكة ، ص ١٣ .
(٣) أحمد فاروق : دباغة الجلود وتجارتها عند العرب ، ص ٥٣٨-٥٤٠ .
(٤) الزيلعي : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ١٨٩ .
(٥) جميل حرب : المرجع السابق نفسه ، ص ١٢٧ .

ومما ساعد على النهوض بتلك الصناعة بمكة توفر نبات القرض الذى يستخدم فى دباغة الجلود ، بوفرة فى مكة المكرمة .(١)

كما أن أهالى مكة المكرمة قد عرفوا أيضا صناعة الحلوى وقد تفننوا فى هذه الصناعة كثيرا .(٢) وكان اهالى مكة يستخدمون سعف النخيل الذى كان يجلب اليهم من مزارع النخيل الموجودة بكثرة فى المدينة وينبع ، فى صناعة المراوح اليدوية ، والحصير ، والزنابيل وهى من السلع المتداولة بمكة فى تلك الفترة .(٣)

---

(١) أحمد فاروق : دباغة الجلود ، ص ٥٤٢-٥٤٨ .

(٢) ابن جبير : الرحلة ، ص ٩٨ ؛ المالكى : بلاد الحجاز ، ص ١٠٣ .

(٣) محمد طاهر الكردى : التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم ، ط١ ، مكة ١٣٨٥هـ ، ١٣٥/٢ ؛ سعاد الحسن : النشاط التجاري فى مكة ، ص ١٩٥ .

الضرائب والمكوس التى فرضها أمراء الهواشم على الحجاج والتجار وأثر ذلك على الحياة الاقتصادية بمكة المكرمة .

لقد كان أمراء الهواشم مصدر قلق للحجاج والتجار القادمين الى مكة المكرمة وذلك بسبب السياسة التى انتهجها هؤلاء الأمراء ضدهم وذلك حينما فرضوا عليهم الضرائب والمكوس، فأمراء الهواشم اعتبروا أنفسهم مستقلين بامارتهم ومن حقهم أن يتمتعوا بجميع المقومات التى كانت تتمتع بها الدول المستقلة كفرض الضرائب والمكوس والعشور ، وجباية الزكاة الى غير ذلك من المقومات الأخرى (١) .

وكان أمراء الهواشم قد فرضوا تلك الرسوم لسد العجز المالى الذى كانت تعانى منه امارتهم فى تلك الفترة .

ومما يؤكد ذلك تلك المحاورة التى جرت بين أمير مكة مكثر بن عيسى وبين المبعوث الأيوبى علوان الاسدى الذى سأل الأمير مكثر عن سبب فرضه الرسوم غير الشرعية على الحجاج القادمين الى مكة فقال له الأمير مكثر :"نحن قوم ضعفاء ، ومالنا الا هذه الجهة ، والملوك قد استولوا على البلاد ولايؤدون لنا شيئا" (٢) .

وكان أمراء الهواشم يصرفون تلك الايرادات على متطلبات امارتهم كرواتب الموظفين والخدم والعسكريين ، وأجور الضيافة لكبار الشخصيات القادمة الى مكة بالاضافة الى أجور

---

(١) السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ١٦٠ .
(٢) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٥٤٠/٢ .

اقامة الحفلات والمناسبات العامة في بلادهم .

والمكوس نوع من الضرائب غير الشرعية (١) وهي تعني في اللغة الضريبة التي كانت تؤخذ من بائعي السلع في الأسواق الجاهلية (٢) .

أما المكوس في مصطلح مؤرخي العصور الوسطى فكانت تعني كل ماتحصل من الأموال لديوان السلطان أو لأصحاب الاقطاعات أو لكبار موظفي الدولة خارجا عن الخراج الشرعي (٣) ، كما أن هذه الضريبة كانت تعرف باسم الهلالي ، وذلك لأنها كانت تستأدى على حكم الشهور الهلالية (٤) ، وقد عرفت هذه الرسوم بمصر منذ عهد الدولة الفاطمية باسم المكوس (٥) ، وكانت تلك المكوس تفرض على المراكب التجارية القادمة الى بلاد مصر ، كما كانت تفرض على جميع أنواع المحاصيل الزراعية ، والحيوانية ، والمصائد ، وجميع أنواع الصناعات (٦) .

أما المكوس في مكة المكرمة فكانت تستحصل من جميع الحجاج والتجار القادمين اليها وكان هذا المكس يجبى من الحجاج القادمين عن طريق البحر من بلاد مصروالمغرب والأندلس

---

(١) المقريزي : الذهب المسبوك ، ص ٨٨ .
(٢) بطرس البستاني : محيط المحيط ، بيروت ١٩٧٧م ، ص ٨٥٩ ، جميل حرب : الحجاز واليمن ، ص ١٢٨ .
(٣) المقريزي : السلوك ، ٢٦٧/١ ؛ جميل حرب : نفس المرجع السابق والصفحة .
(٤) عبد المنعم ماجد : نظم الفاطميين ورسومهم في مصر ، ط٢ ، القاهرة ١٩٧٣م ، ١١٧/١ ؛ توفيق اليوزبكي : تاريخ تجارة مصر البحرية في العصر المماليكي ، الموصل ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م ، ص ١١٦ .
(٥) جميل حرب : المرجع السابق نفسه والصفحة نفسها .
(٦) عبد المنعم ماجد : المرجع السابق نفسه والصفحة نفسها

وغيرها من البلدان الافريقية فى ميناء عيذاب ومن لم تجب منه فى عيذاب جبيت فى جده[1] ، فقد كانت أسماء هؤلاء الحجاج تكتب فى كشوف ويؤشر المسؤول عن جمع هذه المكوس بعيذاب أمام اسم كل من دفع الرسم المطلوب منه ومن لم يدفع هذا الرسم عليه تسديد المبلغ كاملا فى ميناء جدة[2] ، فهذا يدل دلالة واضحة على أن حاكم عيذاب التابع للفاطميين كان يتقاسم هذه المكوس مع أمير مكة[3] لأنه كان يرسل الكشوف الى أمير مكة برفقة الحجاج وذلك لمعرفة عدد هؤلاء الحجاج ومعرفة نصيبه وحصته من تلك المكوس .

أما بالنسبة للحجاج القادمين من بلاد العراق والمشرق الاسلامى فلم يعفوا أيضا من دفع تلك المكوس حيث كانوا يدفعونها بالقرب من مكة فى مكان يسمى سطح ، بين مكة المكرمة ووادى نخلة[4] ، أما عن مقدار المكس المقرر على كل حاج فكان سبعة دنانير ونصف[5] يجب على كل حاج قادم الى مكة المكرمة أن يقوم بدفعها كاملا ومن لم يدفعها يعاقب بأشد العقوبات حيث كان يحرم من اداء فريضة الحج التى جاء لأدائها. فقد كان يوضع فى سجن عام قد أعد لهذا الغرض ويبقى

---

(١) المقريزى : السلوك ، ٦٤/١ ؛ ابن فهد : اتحاف الورى ، ٥٣٨/٢ ؛ الزيلعى : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ١٦٨ .

(٢) ابن جبير : الرحلة ، ص ٣١ ؛ الفاسى : العقد الثمين ، ٢٧٤/٧ .

(٣) البتنونى : الرحلة الحجازية ، ص ٣٠ .

(٤) ابن عبد الحق :مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ٧١٣/٢ ؛ جميل حرب :الحجاز واليمن ، ص ١٢٩ .

(٥) الفاسى : المصدر السابق ، ٢٧٧/٧ ؛ الجزيرى : الدرر الفرائد ، ٥٧٢/١ ؛ الرشيدى : حسن الصفا ، ص ١١٨ .

مسجونا به طيلة أيام الحج[1] ثم يسمح له بعد ذلك بالخروج والتوجه الى بلاده . ولم يكن أثناء اقامته فى ذلك السجن يعامل معاملة طيبة بل كان يعذب بشتى أنواع العذاب حتى ان الواحد منهم كان يعلق من انثييه أو غير ذلك من الامور الشنيعة[2] .

ولقد استمر ذلك المكس يجبى من الحجاج فترة طويلة من الزمن حتى سقطت الدولة الفاطمية وقامت على أنقاضها الدولة الأيوبية بمصر . فأمر السلطان صلاح الدين الأيوبى وقت ان كان مشرفا على شؤون الحرمين الشريفين سنة ٥٧٢هـ/١١٧٦م[3] باسقاط جميع المكوس التى كانت مفروضة على حجاج بيت الله لأنه اعتبر تلك المكوس غير شرعية طالما تتسم بطابع الظلم والقسر فألغاها[4] وكان سبب الغائه أنه حج فى ذلك العام الشيخ علوان بن عبد الله بن علوان الأسدى الحلبى وهو أحد المقربين لدى السلطان صلاح الدين الأيوبى ، فلما وصل الى جدة طولب بدفع المكس وجرت بينه وبين متولى قبض المكس مناقشة ومناظرة طويلة حيث قال له أدوا الحق . فقال له علوان ويلك ، ما الحق ؟ فقال : الحق على كل رأس سبعة

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ، ٢٩٩/١٢ ؛ السيوطى : حسن المحاضرة ، ٢٠/٢ .
(٢) ابن جبير : الرحلة ، ص ٣١ .
(٣) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، قسم ١ ، ٣٣٨/٨ ؛ أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين ، ٣/٢ ؛ السنجارى منائح الكرم ، مخطوط ، ٢٧٦/١ .
(٤) محمود ياسين أحمد التكريتى : الأيوبيون فى شمال الشام والجزيرة ، بغداد ١٩٨١م ، ص ٣٨٢ .

دنانير ونصف فلطمه وقال : ويلك تسمون المظالم حقا [(١)] !! فهم الشيخ علوان بالرجوع وترك الحج فلاطفوه وطلبوا منه التريث حتى يخبروا الأمير مكثر بن عيسى بالأمر ، فحينما علم الأمير بذلك أصدر أمره باطلاقه واكرامه وايصاله [(٢)] الى مكة معززا مكرما فلما وصل الى مكة اجتمع به واعتذر اليه ووضح له الأسباب التي أجبرته على فرض تلك المكوس [(٣)] .

واقتنع الشيخ علوان بذلك العذر وأرسل الى السلطان صلاح الدين كتابا يخبره فيه بحاجة أمير مكة وأهلها الى المساعدة [(٤)] . فأرسل اليه السلطان صلاح الدين ثمانية آلاف اردب من القمح وأمر بأن ترسل تلك الصلة [(٥)] الى مكة كل عام لتكون عونا لأميرها وأتباعه ، كما قرر أيضا حمل الغلات والصلات الى المجاورين والفقراء بالحرمين الشريفين وأوقف بعض الأوقاف بمصر لتكون تلك الأعطيات خالدة ومستمرة لهم [(٦)] .

ولقد نعم أهالي مكة المكرمة بتلك الخيرات ، كما نعم أيضا جميع الحجاج القادمين الى مكة باسقاط المكوس التي كانت مفروضة عليهم فزالت بذلك أكبر العقبات التي كانت

---

(١) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٥٣٨/٢-٥٣٩ ، السنجاري : منائح الكرم ، ٢٧٦/١ .
(٢) الكردي : التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم ، ١٧٩/٢ .
(٣) ابن فهد : المصدر السابق ، ص ٥٣٩-٥٤٠ .
(٤) دحلان : أمراء البلد الحرام ، ص ٣٥ .
(٥) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، قسم١ ، ٣٨٨/٨ ؛ أبو شامة : الروضتين ، ٣/٢ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٢٩٩/١٢ ؛ السيوطي : حسن المحاضرة ، ٢٠/٢ .
(٦) أبو شامة : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها .

تواجه حجاج بيت الله وخاصة الفقراء منهم الذين لايستطيعون دفع تلك المكوس .

هذا بالنسبة لحجاج بيت الله ، أما مايواجهه التجار القادمون الى مكة من محن وشدائد وضرائب فلاتقل ضررا عما يواجهه حجاج بيت الله، فكانت المكوس المفروضة على التجار[1] تجبى منهم في ميناء جدة والذى يعتبر المورد الرئيسى لدخل مكة من الضرائب في تلك الفترة[2] فقد كان يؤخذ على القوافل التجارية القادمة الى مكة على كل جمل حنطة نصف دينار، وكيل[3] من فرد الزاملة[4] ، وعلى سفط[5] ثياب الشطوى[6] ثلاث دنانير ، وعلى سفط الدبيقى ـ المنسوب الى مدينة دبيق بمصر ـ ديناران . وحمل الصوف ديناران وعلى سلة الزعفران دينار وكذلك على رؤوس الرقيق[7] .

وكان التجار القادمون الى مكة يدفعون تلك الضرائب لأمراء مكة ليحققوا لأنفسهم وبضائعهم الحماية الكاملة من اللصوص وقطاع الطرق الذين عادة مايتربصون للتجار في الطرق

---

(١) ابن الجوزى : المنتظم ، ٣٠٤/٨ .
(٢) الزيلعى : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ١٧٠ .
(٣) الكيل : هو المكيال كيل البر ونحوه والمكيال هو الصاع الذى يتعلق به وجوب الزكاة والكفارات والنفقات انظر : ابن منظور : لسان العرب ، ١٢٥/١٤ .
(٤) الزاملة : هو البعير الذى يحمل عليه الطعام والمتاع انظر : ابن منظور : المصدر السابق نفسه ، ٣١٠/١١ .
(٥) السفط : هو الذى يعبى فيه الطيب وما أشبهه من أدوات النساء . انظر : ابن منظور : المصدر السابق ، ٣١٥/٧.
(٦) الشطوى : هى نوع من ثياب الكتان تصنع في شطى وهى قرية بناحية مصر . انظر : ابن منظور : المصدر السابق ١٦٢/١٩ .
(٧) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ١٠٤ ؛ آدم متز : الحضارة الاسلامية ، ٢٢٤/١ .

المؤدية الى مكة وخاصة الطريق الواقع بين مكة وجدة (١) .

ولم يكن ميناء جدة هو المكان الوحيد الذى كانت تجبى به الضرائب على التجار بل ان أمراءمكة قد وضعوا على الطرق المؤدية الى مكة عدة مراصد لتقوم برصد القوافل التجارية القادمة الى مكة المكرمة (٢) .

وقد ذكر المقدسى أنه كان يوجد بمكة المكرمة مرصدان لرصد القوافل التجارية أحدهما بمنطقة القرين (٣). والآخر ببطن مر وكان يؤخذ على كل حمل جمل يمر فى أحد هذين المرصدين مبلغ نصف دينار (٤) .

كما أن ابن المجاور قد ذكر أنه كان يوجد فى منطقة حداء مرصد لجباية الضرائب على القوافل التجارية المارة عبر تلك المنطقة .

---

(١) الزيلعى : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ١٧٠ .

(٢) نفس المرجع والصفحة .

(٣) القرين : هو جبل عرفة الذى يصعد اليه الناس يوم الوقفة ويسمى جبل الرحمة ، أو جبل عرفة ، وهناك مكان آخر يعرف بالقرين وهو اسم للأكمة الصغيرة البارزة التى بطرف بلدة بحرة من الشرق ، بين مكة وجدة وكانت تلك المحطة تعرف بالقرين ذكرها ابن جبير فى رحلته فقال ان ذلك الموضع هو منزل الحاج ومحط رحالهم ومنه يحرمون .
انظر : ابن جبير : الرحلة ، ص ٥٧ ؛ البلادى : معجم معالم الحجاز ، ١٢٦/٧ .
فيبدو أن المرصد المذكور أعلاه كان يقع فى ذلك القرين الذى ذكره ابن جبير وذلك نظرا لأهمية موقعه فهو على طريق التجار القادمين من جدة الى مكة واستبعد أن يكون المقصود من كلام المقدسى هو القرين الواقع بعرفات .

(٤) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ١٠٤-١٠٥ ؛ الزيلعى : المرجع السابق نفسه والصفحة نفسها .

وكانت هذه المراصد قد وضعت في أماكن مرتفعة وبنيت على شكل حصون مربعة الشكل مزودة بأبراج عالية[١] وذلك لمراقبة القوافل التجارية التي تحاول أن تتحاشى المرور بهذه المراصد تفاديا لدفع المكس المقرر عليها[٢] .

وكانت الضرائب التي فرضت على التجار في عهد أمراء الهواشم لم تكن ثابتة وانما كانت قابلة للزيادة والنقصان بالنسبة لحاجة أمراء الهواشم الى المال من ناحية ، وبالنسبة لازدياد قدوم التجار من ناحية أخرى ، وقد ذكرت بعض المصادر أن الضرائب بمكة قد ارتفعت في عهد الأمير هاشم ابن فليتة (٥٢٧ - ٥٤٩هـ) الذي أصدر قرارا يقضي بزيادة الضرائب على القوافل التجارية القادمة الى مكة بحيث أصبح يؤخذ على كل حمل جمل يمر بأحد المراصد المكية دينار كامل[٣] .

ومما سبق يتضح لنا أثر علاقات مكة الخارجية على أوضاعها الاقتصادية في عهد أمراء الهواشم ، حيث ان المتخصص في دراسة الحياة الاقتصادية بمكة في تلك الفترة يجد أن جميع السلع الواردة اليها والموجودة في أسواقها لم تكن ثابتة الأسعار وانما كانت متفاوتة من فترة الى أخرى ، وذلك راجع الى أثر علاقاتها بالدول الخارجية وخاصة بلاد مصر واليمن اللتين تعتمد عليهما مكة كثيرا في أحوالها

---

(١) ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ص ٤١ .
(٢) الزيلعي : نفس المرجع السابق والصفحة .
(٣) ابن المجاور : نفس المصدر والصفحة .

الاقتصادية [(١)] .

فحينما تصاب تلك الدول بأزمات اقتصادية أو سياسية فان ذلك يؤدى الى توقف قدوم السلع والمواد الغذائية الى مكة وبالتالى الى ازدياد أسعار السلع الموجودة بها [(٢)] ، وهنا تلعب علاقات مكة الخارجية دورا كبيرا فى تخليص مكة من تلك المحن الاقتصادية حيث ان أميرها يضطر الى الاتصال والاستنجاد بجهة أخرى تدعمه وتمده بكامل المؤن والغلال [(٣)] . فحينما حدثت الأزمة الاقتصادية بمصر سنة ٤٥٩هـ/١٠٦٦م ساءت الأحوال الاقتصادية أيضا بمكة المكرمة لأن السلع والمواد الغذائية التى عادة مايحملها المصريون الى مكة قد توقف قدومها، فضاق الأمير محمد بن جعفر ذرعاً واضطر الى الاتصال بالدولة العباسية ببغداد لعلها تخلص بلاده من تلك الأزمات الاقتصادية التى تعيشها . فاستجابت الخلافة العباسية للنداء المكى بشرط اقامة الخطبة للخليفة العباسى القائم بأمر الله وللسلطان السلجوقى الب ارسلان وذلك فى موسم حج عام ٤٦٢هـ/١٠٦٩م [(٤)] فتتابعت بعد ذلك النفقات والأعطيات من حكومة بغداد الى مكة المكرمة [(٥)]، وبدأت قوافل التجار العراقيين تفد

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ٧٩،٧٣/٨ ؛ الفاسى : شفاء الغرام ، ٤٣١-٤٣٠/٢ ؛ ابن فهد : اتحاف الورى ، ٤٧٢،٤٦٨،٤٦٤/٢ .

(٢) المقريزى : اتعاظ الحنفاء ، ٢٩٧-٢٩٦/٢ ؛ ماجد : السجلات المستنصرية ، ص ٢٠٢-٢٠٣ .

(٣) ابن فهد : المصدر السابق نفسه والجزء نفسه ، ص ٤٧٢-٤٧٣ ؛ الزيلعى : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ٧٢

(٤) ابن خلدون : العبر ، ١٠٣/٤ .
ولمزيد من التفاصيل حول ذلك الحدث انظر ص١٥٣ من الفصل الثانى .

(٥) ابن فهد : المصدر السابق نفسه ، ٤٧٥،٤٧٣،٤٧٢/٢ .

الى مكة المكرمة وذلك مما يؤدى بالطبع الى حدوث انفراج اقتصادى وتحرك تجارى كبير داخل أسواق مكة المكرمة .

كما أن الحياة الاقتصادية بمكة كانت تتأثر تأثرا بالغا وكبيرا بسوء علاقة أمرائها بالدول الخارجية وخاصة الدول التى تعتمد عليها مكة المكرمة فى اقتصادها ، فتذكر المصادر أن الأحوال الاقتصادية بمكة سنة ٤٦٧هـ/١٠٧٤م قد تدهورت ووقع الغلاء فى أسعار السلع الموجودة فى أسواقها وذلك لأن الأمير محمد بن جعفر قد رفض أن يعيد الخطبة على منابر مكة للخليفة الفاطمى المستنصر بالله فاضطر الأخير الى أن يصدر قرارا يقضى بقطع الميرة عن مكة المكرمة (١) مستغلا توقف وصول النفقات والمؤن التى ترسلها بغداد الى مكة فى تلك الفترة بسبب انشغالها بوفاة الخليفة القائم بأمر الله والسلطان السلجوقى ألب أرسلان (٢) .

كما أنه كان لسوء علاقة الأمير محمد بن جعفر بوالى اليمن الأمير على بن محمد المليحى أثر فى تدهور الأوضاع الاقتصادية بمكة المكرمة سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٣م فقد ذكر المؤرخ تقى الدين الفاسى أن المليحى قد منع حجاج اليمن من التوجه الى مكة (٣) فكان لذلك القرار أثر كبير فى انعدام المؤن والمواد الغذائية التى عادة ماتحملها قبائل السرو اليمنية

---

(١) ابن الجوزى : المنتظم ، ٢٩٤/٨ ؛ العوفى : العلاقات السياسية بين الدول الفاطمية والدولة العباسية فى العصر السلجوقى ، ص ٢١٦ .

(٢) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٤٧٧/٢ ؛ العوفى : المرجع السابق ، ص ٢١٥ .

(٣) الفاسى : شفاء الغرام ، ٣١١/٢ .

معها الى مكة أثناء تأديتهم لفريضتي الحج والعمرة [١] ، والذى أدى بدوره الى غلاء الأسعار بأسواق مكة المكرمة فى تلك الفترة [٢] .

وكان لسوء علاقة أمير مكة قاسم بن محمد بن جعفر (٤٨٧ - ٥١٨هـ) بالدولة الفاطمية سنة ٥١٢هـ/١١١٨م [٣] أثر كبير جدا فى تدهور أوضاع مكة الاقتصادية لأن الأمير قاسم قد أمر قواته فى ذلك العام بمهاجمة المراكب التجارية المصرية الراسية بميناء عيذاب ونهب مابها من بضائع وأموال [٤] ، عندئذ أصدر الوزير الفاطمى الأفضل بن بدر الجمالى أوامره بقطع علاقة بلاده السياسية والاقتصادية بامارة مكة المكرمة حيث منع السفر اليها سواء كان للحج أو التجارة [٥] ، ولاشك فى أن ذلك القرار الذى أصدره الوزير الفاطمى كان يهدف مِن ورائه الى محاصرة مكة المكرمة اقتصاديا . وقد نجح ذلك الوزير فى خطته ، فحينما ضاق أهالى مكة وأشرافها بتلك الأزمة الاقتصادية التى عاشوها ابان تلك الفترة [٦] استنجدوا بأميرهم وطلبوا منه أن يقدم اعتذاره للحكومة المصرية وأن يتعهد برد جميع الأموال والبضائع التى نهبت من التجار المصريين [٧] .

---

(١) وعن أثر تلك القبائل اليمنية فى ازدهار سوق مكة التجارى راجع ص٢٦١ - ٢٦٢ .
(٢) ابن فهد : المصدر السابق ، ٤٧٠/٢ .
(٣) الفاسى : العقد الثمين ، ٢٨/٧-٢٩ .
(٤) وعن ذلك الاعتداء راجع الفصل الثانى ص١٧٤ .
(٥) المقريزى : اتعاظ الحنفاء ، ٥٨/٣-٥٩ .
(٦) الرشيدى : حسن الصفا والابتهاج ، ص ١١٥ .
(٧) الجزيرى : الدرر الفرائد ، ٥٥٨/١ .

فاضطر الأمير قاسم بن محمد الى قبول ذلك الطلب فعادت بعد ذلك الأمور الى مكة كما كانت من قبل وأصبح التجار المصريون يفدون اليها وهم محملون بشتى أنواع البضائع .

كما أنه لايمكن أن ننسى أن سوء علاقة أمراء الهواشم بالدولة العباسية فى بعض الفترات قد أدى الى حدوث بعض المناوشات الحربية بين الطرفين وذلك مما يؤدى بالطبع الى فقدان الأمن بين التجار الموجودين بمكة المكرمة فى تلك الفترة وبالتالى يؤدى الى تدهور الأوضاع الاقتصادية بها .

فحينما حدثت تلك المناوشات الحربية بين الأمير قاسم بن محمد وبين القائد العباسي اصبهبذ بن سارتكين سنة ٤٨٧هـ ١٠٩٤م[١] عاش أهالى مكة وتجارها فى حالة يرثى لها من فقدان الأمن والهدوء والاستقرار[٢] .

وجرت أيضا بين أمير مكة مكثر بن عيسى (٥٧١ - ٥٩٧هـ) وبين أمير الحج العراقى طاشتكين مناوشات حربية جرت أحداثها بمكة المكرمة سنة ٥٧١هـ/١١٧٥م[٣] فمن البدهى أن يظهر أثر تلك المناوشات على تدهور الأوضاع الاقتصادية بمكة فى تلك الفترة حيث عاش التجار فى ذلك العهد فى رعب وخوف وأصبحوا لايأمنون على متاجرهم وبضائعهم التى عادة ماتتعرض للنهب والسلب ، فيصف لنا ابن الأثير الحالة الأمنية المضطربة وقت دخول قوات طاشتكين الى مكة فى عهد

---

(١) الفاسى : العقد الثمين ، ٢٨/٧ ؛ ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص ٣٠٧-٣٠٨ .
(٢) ابن خلدون : العبر ، ١٠٤/٤ ؛ سرور : النفوذ الفاطمى فى جزيرة العرب ، ص ٢٣ .
(٣) ابن الأثير : الكامل ، ١٣٧/٩-١٣٨ .

مكثر بن عيسى فيقول : "ونهب كثير من الحاج وأخذوا من أموال التجار المقيمين بها شيئا كثيرا وأحرقوا دورا كثيرة " .(١)

ومما لاشك فيه أن تلك الأحداث السياسية الناتجة عن علاقات مكة الخارجية تؤدى أحيانا الى حدوث الاضطراب العام فى البلاد حيث يضطر التجار الموجودون بمكة الى اغلاق متاجرهم ، هذا فضلا عن توقف قدوم تجار الدول الخارجية الى مكة وذلك حفاظا على أموالهم وبضائعهم وحماية لأرواحهم، فتنشل بذلك حركة البيع والشراء بأسواق مكة المكرمة فى تلك الفترة .

ومما ينبغى الاشارة اليه أن تلك الأحوال الاقتصادية المتقلبة بمكة المكرمة فى عهد أمراء الهواشم لايمكن اسناد أسبابها الى علاقات مكة الخارجية فحسب وانما كان للفتن والخلافات التى دارت بين أمراء الهواشم أثر أيضا على الأوضاع الاقتصادية بمكة المكرمة . فتذكر لنا بعض المصادر أن مكة المكرمة قد عانت سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م(٢) من أزمة اقتصادية حادة فقد غلت الأسعار فى أسواقها وذلك بسبب انعدام الأمن والهدوء والاستقرار الناتج عن الخلاف الدائر بين الأميرين عيسى بن فليتة وأخيه مالك بن فليتة .(٣)

وقد اتخذ الأمير مالك فى حربه ضد أخيه عيسى وسيلة الحصار الاقتصادى ومنع وصول المؤن والغلال والمواد الغذائية التى ترسلها الدولة الأيوبية فى تلك الفترة الى مكة(٤) ، وذلك

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، ١٣٨/٩ .
(٢) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٥٣٣/٢ .
(٣) وعن ذلك الخلاف راجع الفصل الأول ، ص ١١٠ .
(٤) الفاسى : العقد الثمين ، ٦٦٤/٦.

مما يؤدى بالطبع الى قلة تلك المؤن وانعدامها بأسواق مكة وبالتالى الى ازدياد وغلاء الأسعار بها . وكان هؤلاء المتنافسون يستولون على أموال التجار وبضائعهم ويقومون بصرفها وانفاقها على تلك الحروب الدائرة بينهم. فقد قام أصحاب وأتباع الأمير مالك بن فليتة بمهاجمة السفن التجارية الموجودة بميناء جدة واستولوا على مافيها من بضائع وأموال[(١)] .

وهكذا كان لتلك الفتن والاضطرابات أثر سيء على الأوضاع العامة بمكة بما فيها الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية . وكان ينبغى لأمراء الهواشم أن يقوموا بتوفير سبل الأمن والراحة والاستقرار لجميع التجار القادمين الى بلادهم وذلك ليستفيدوا منهم فى انعاش اقتصادهم واقامة المشروعات فى بلادهم كبناء المدارس ، والمستشفيات ، والأربطة ، وغير ذلك من المشاريع الاقتصادية التى تعود منفعتها على أهالى البلاد .

وسبق أن أشرنا فى بداية هذا الفصل الى الأهمية الاقتصادية التى كانت تتمتع بها مكة المكرمة ابان عهد الهواشم وذلك بسبب موقعها الجغرافى والدينى[(٢)] ، فلو ضم لهذين العاملين الهامين حسن معاملة أمراء الهواشم للتجار القادمين الى بلادهم وحماية متاجرهم وبضائعهم من الاعتداء عليها ، وتخفيف أو ازالة الضرائب التى كانوا يجبونها منهم لازدادت أهميتها التجارية والاقتصادية أكثر من ذلك .

---

(١) ابن فهد : <u>اتحاف الورى</u> ، ٥٣٢/٢ ؛ السنجارى : <u>منائح الكرم</u> ، ٢٧٤/١ .

(٢) انظر ص ٥٤-٥٥ من هذا البحث .

(ب) أثر علاقات مكة الخارجية على الحياة الاجتماعية

لقد كان الوافدون الى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج أو التجارة أوطلب العلم يشكلون كتلة كبيرة من السكان لأن أكثر هؤلاء الوافدين قد فضل الاقامة والبقاء بمكة لينعموا بجوها الروحانى وليطلبوا العلم على أيدى علمائها .

وكان كثير من هؤلاء الوافدين قد قدموا الى مكة وذلك لبعدها عن الفتن والأحداث السياسية الموجودة فى البلدان الأخرى (١) ، فكان طبيعيا أن ينصهر هؤلاء الوافدون مع سكان مكة الأصليين وأصبحوا جزءا لايتجزأ من المجتمع المكى (٢) .

أما اذا نظرنا الى أهم الطبقات الاجتماعية التى كان يتكون منها المجتمع المكى فاننا نجد أنه كان هناك عدة طبقات منها طبقة الأشراف ولهم امرة مكة المكرمة ، وهم من بنى الحسن بن على بن أبى طالب ، ومن هؤلاء الأشراف تلك الأسرة التى حكمت مكة من عام ٤٥٦هـ/١٠٦٣م الى عام ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م والمعروفة باسم أسرة الهواشم ، والحقيقة أن أمراء الهواشم لم يتعالوا أو يترفعوا على المجتمع المكى بل انهم كانوا يشاركونهم فى أعيادهم وأفراحهم وأحزانهم (٣) ، فقد شاهد ابن جبير ، أثناء وجوده بمكة ، الأمير مكثر بن عيسى وهو يشارك أهالى مكة فى جميع احتفالاتهم وأعيادهم الدينية (٤) .

---

(١) جمال الدين عبد الرحيم الاسنوى : طبقات الشافعية ، تحقيق عبد الله الجبورى ، الرياض ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، ٥٦٢/٢-٥٦٣ ; باقاسى : بلاد الحجاز فى العصر الأيوبى ، ص ١٠٢ .

(٢) مالكى : بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف ، ص ١٠٩ .

(٣) مالكى : المرجع السابق ، ص ١١٠ .

(٤) ابن جبير : الرحلة ، ص ١٣٤-١٣٥ .

أما الطبقة الثانية بمكة فكانت تتكون من حاشية الأمير كالمستشارين والقضاة والوزراء والقواد والعبيد (١) الذين يسهرون على راحته وخدمته وحمايته ، وكان لكل أمير من أمراء الهواشم مجموعة من العبيد تكثر أو تقل حسب مركزة في الامارة (٢) .

والطبقة الثالثة بمكة كانت تتمثل في سكان مكة الأصليين كالقرشيين الذين كان أغلبهم يسكنون في وادي نعمان بالقرب من مكة المكرمة ، وكان هؤلاء القرشيون يشكلون الربع أو الثلث من مجموع القاطنين بمكة المكرمة (٣) . وكانت تتبع تلك الطبقة بقية القبائل الموجودة بمكة وأطرافها كهذيل ورواحة وغيرهما (٤) ، وقد لعبت تلك القبائل دورا كبيرا في السياسة الداخلية بمكة المكرمة (٥) .

أما الطبقة الرابعة فكانت تتألف من جميع الوافدين الى مكة من التجار والعلماء وطلاب العلم وغيرهم من الذين قدموا الى مكة وفضلوا المجاورة بها ، وقد كان هؤلاء المجاورون يمثلون جنسيات مختلفة من شتى الأقطار الاسلامية كالمصريين والشاميين والعراقيين والأندلسيين واليمنيين. ولقد لعبت علاقات مكة الخارجية دورا كبيرا في نقص وازدياد

---

(١) المصدر نفسه ، ص ١١٧-١٣٤ .
(٢) جميل حرب : الحجاز واليمن ، ص ٢٣٠ .
(٣) على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٣٠٧-٣٠٨ ؛ باقاسي : بلاد الحجاز ، ص ٨٠ .
(٤) بنو رواحة : بطن من غطفان من العدنانية . انظر : القلقشندى : نهاية الارب في معرفة أنساب العرب ، ص ٢٦٦ .
(٥) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٤٣١/٢ . ولمزيد من الايضاح راجع الفصل الأول ، ص ١٠٨ - ١١٢ .

أعداد تلك الطبقة ، ففى الوقت الذى تتحسن فيه علاقة أمراء مكة بالدول الخارجية كالعباسية والفاطمية والصليحية يقدم الى مكة أعداد كثيرة من سكان تلك الدول لأداء فريضة الحج والمجاورة بها .

أما اذا ساءت علاقة مكة باحدى تلك الدول فان ذلك يعني توقف قدوم حجاج تلك الدول الى مكة وبالتالى يؤدى الى قلة أعداد المجاورين بها .

ومما شجع هؤلاء المجاورين على الاقامة بمكة تلك المعاملة الحسنة التى كانوا يجدونها من أهالى مكة المكرمة. يذكر ابن بطوطة أنه كان لأهل مكة الأفعال الجميلة والمكارم التامة والأخلاق الحسنة وايثار الضعفاء والمنقطعين وحسن الجوار للغرباء ، ومن مكارمهم أنهم متى صنع أحدهم وليمة يبدأ فيها باطعام الفقراء المنقطعين المجاورين ، ويستدعيهم بتلطف ورفق وحسن خلق ثم يطعمهم" (١).

والحقيقة أن هؤلاء المجاورين قد اندمجوا مع أهالى مكة وأصبحوا يرتبطون معهم برباط النسب اذ أن بعض هؤلاء المجاورين قد تزوجوا من نساء مكيات ، ولاشك أن ذلك التزاوج قد ترك بصماته على المجتمع المكى وأدى الى تحسين أحوال مكة الاجتماعية والعلمية والثقافية (٢).

أما الطبقة الخامسة بمكة المكرمة فقد كانت تتألف من بقية فئات الشعب كالتجار الذين كانت لهم أصول قديمة بمكة

---

(١) ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٤٣ ؛ فريال عبد المجيد : مكة كما جاءت في كتب الرحالة ، ص ١١٦-١١٧ .

(٢) الزيلعى : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ١٥٠-١٥١ .

المكرمة فكانت أحوالهم قد اتسمت بالثراء لما كان يعود عليهم من الأرباح لاشتغالهم بالتجارة بين الشرق والغرب .[1]

كما كانت تلك الطبقة تضم أيضا الزراع والفلاحين الذين كانوا قلة قليلة نظرا لقلة المزارع بمكة المكرمة وأطرافها وكان بعض هؤلاء المزارعين من الأسر الميسورة لذلك نجدهم يستعينون ببعض المزارعين من بلاد المغرب الذين لديهم خبرة بالأعمال الزراعية[2] وذلك مقابل اعطائهم راتبا شهريا او نصيبا من غلال تلك المزارع التى يتم تسويقها فى مكة وخاصة فى أوقات المواسم .

كما يدخل فى هذه الطبقة أيضا بقية أهالى مكة الذين يعملون فى الحرف الأخرى كالصناع الذين كانوا يؤلفون فئة قليلة من سكان مكة وذلك لازدراء الناس فى ذلك العهد تلك الحرفة[3] ، والرعاة الذين يقومون برعى المواشى فى البرارى المحيطة بمكة ويقومون بتسويق ماتنتجه مواشيهم من البان وأجبان وسمن فى أسواق مكة المكرمة .

ولقد كان تعداد السكان بمكة المكرمة يتاثر بتأثر الأوضاع الاقتصادية الموجودة بها ، ففى الوقت الذى تعانى فيه من أزمات اقتصادية وتنعدم بها الأقوات فان بعض أهلها والقادمين اليها سرعان مايهاجرون منها الى البلدان الاسلامية الأخرى[4] ، وذلك مما يؤدى بالطبع الى قلة أعداد

---

(١) جميل حرب : الحجاز واليمن ، ص ٢٣٠ .
(٢) ابن جبير : الرحلة ، ص ٩٩ .
(٣) جميل حرب : المرجع السابق ، ص ٢٣٠ .
(٤) خسرو : سفر نامه ، ص ١٢٣ .

سكانها فى ذلك الوقت وقد يزداد تعداد هؤلاء السكان فى بعض الفترات خاصة فى الوقت الذى يفد اليها كثير من الهاربين من المجاعات والحروب والفتن السياسية الموجودة فى بلدانهم .(١)

---

(١) الدوادارى : كنز الدرر وجامع الغرر ، ١٤٩/٧ ؛ الاسنوى طبقات الشافعية ، ٥٦٢/٢-٥٦٣ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ١٧٣/٦ ؛ باقاسى : بلاد الحجاز ، ص ١٠١ .

أثر العلاقات على العادات الاجتماعية لأهالى مكة المكرمة .

لقد بات أثر علاقات مكة الخارجية فى عهد أمراء الهواشم واضحا على عادات وتقاليد المجتمع المكى فقد عرف أهالى مكة الكثير من عادات وتقاليد الشعوب الاسلامية وخاصة الشعوب التى كانت لحكوماتهم علاقة بأمراء مكة المكرمة ، وكان لأهل مكة عادات اجتماعية ودينية كثيرة ، وحيث انها لاتدخل فى نطاق دراستنا هذه لذلك سنتطرق اليها تطرقا سريعا مع التركيز على أثر علاقات مكة الخارجية على ظهور بعض العادات والتقاليد فى المجتمع المكى .

فمن العادات الاجتماعية بمكة الاحتفال بمطلع أول كل شهر هجرى فحينما يرى الهلال يبادر أمير مكة صبيحة أول يوم (١) من أيام الشهر بالاتجاه نحو المسجد الحرام ومعه كبار قواده وحاشيته فعند دخوله المسجد الحرام يتقدمه القراء والعبيد المخصصون لحراسته ويصلى عند مقام ابراهيم ركعتين ، ثم يقبل الحجر الأسود ، ثم يطوف حول الكعبة سبعة أشواط ، وكلما أكمل الأمير شوطا وقرب من الحجر الأسود يرتفع صوت رئيس المؤذنين - الذى يقف أعلى قبة زمزم - فيدعو للأمير ويهنئه بحلول الشهر ويستفتح دعاءه بقوله :

"صبح الله مولانا الأمير بسعادة دائمة ونعمة شاملة" (٢) .

ثم يقوم بانشاده ثلاثة أبيات أو أربعة من الشعر فى مدحه ومدح سلفه الكريم ثم يسكت حتى يتم الأمير شوطه الأول ،

---

(١) ابن جبير : الرحلة ، ص ٧٤ ؛ جميل حرب : الحجاز واليمن ، ص
(٢) ابن جبير : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها .

ويطل عليه من جهة الركن اليماني فيندفع بدعاء آخر وينشده أبياتا من الشعر غير الأبيات الأولى ويستمر على تلك الطريقة حتى يكمل الأمير سبعة أشواط [١]، ثم اذا فرغ من الطواف صلى عند الملتزم ركعتين ثم صلى خلف المقام ركعتين أيضا ثم يغادر هو وحاشيته ولايظهر فى الحرم الا فى مستهل هلال آخر [٢].

وكان أهالى مكة المكرمة عند مستهل كل شهر هجرى يقومون بزيارة أقاربهم ومعارفهم ويهنىء بعضهم بعضا، ويتصافحون فى الأسواق وفى الطرقات وأماكن تجمعاتهم . وقد أثنى ابن جبير على أهالى مكة ووصف تلك العادة بأنها حسنة حيث قال : "وتلك طريقة من الخير واقعة فى النفوس، تجدد الاخلاص وتستمد الرحمة من الله ، عز وجل ، بمصافحة المؤمنين بعضهم بعضا وبركة مايتهادونه من الدعاء" [٣].

أما عن عادات أهالى مكة فى الملبس فقد كانوا يتأنقون فى اللباس ، وكان أكثر لباسهم البياض ، فكانوا يلبسون الثياب والعمائم البيضاء الناصعة ويستعملون الطيب كثيرا ، ويكتحلون ويكثرون من استعمال السواك [٤].

أما النساء فهن ذات صون وعفاف ، وهن يكثرن التطيب ويقول ابن بطوطة ان النساء : "كن يقصدن الطواف بالبيت فى كل ليلة جمعة ، فيأتين فى أحسن زى ، وتغلب على الحرم رائحة طيبهن وتذهب المرأة منهن فيبقى أثر الطيب بعد

---

(١) ابن جبير : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها ؛ باقاسى : بلاد الحجاز ، ص ٨٢ .
(٢) ابن جبير : المصدر نفسه ، ص ٧٥ .
(٣) ابن جبير : المصدر السابق ، ص ١٠٢ .
(٤) ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٤٣ .

ذهابها عبقا " .[1]

ولقد عرف أهالي مكة ثيابا متنوعة من الحرير والكتان والقطن والصوف وأنواعا براقة تتلألأ اذا انعكست عليها اشعة الشمس ، كما عرفوا أيضا العمائم المزركشة المقصبة .[2]

ومما ينبغي الاشارة اليه أنه كان لعلاقة واحتكاك أمراء الهواشم بالدول الخارجية كالعباسية والفاطمية والأيوبية أثر كبير على لباس أهالي مكة وأمرائها . ومعروف أن خلفاء وسلاطين تلك الدول كانوا يخلعون على أمرائهم ووزرائهم وكبار قوادهم الخلع الخاصة وذلك فى أوقات الأعياد والاحتفالات والمناسبات الرسمية ، وكانت تلك الخلع توشى بخيوط الذهب والفضة[3] ، وكان لأمراء مكة وأتباعهم نصيب وافر من هذه الخلع[4] ، وقد وصف لنا ابن جبير في رحلته لباس أمير مكة مكثر بن عيسى فى المناسبات الرسمية فقال : "طلع علينا الأمير مكثر وغاشيته[5] الأقربون حوله وهو رافل فى حلة ذهب كأنها الجمر المتقد يسحب أذيالها وعلى رأسه عمامة شرب[6]

---

(١) ابن بطوطة : نفس المصدر السابق والصفحة .

(٢) السباعي : تاريخ مكة ، ٢١٧/١ ؛ مالكسي : بلاد الحجاز ، ص ١٢٦ .

(٣) الأمين عوض الله : الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي جدة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ، ص ١٠١-١٠٢ .

(٤) السباعي : المرجع السابق نفسه والصفحة نفسها .

(٥) غاشيته : وغاشية الرجل من ينتابه من زواره وأصدقائه انظر : ابن منظور : لسان العرب ، ١٢٦/١٥ .

(٦) عمامة شرب : أشرب اللون أشبعه وكل لون خالط لون آخر فقد أشربه والاشراب خلط لون بلون، والمقصود هنا عمامة من نسيج رقيق اشتهرت به مدينتا دمياط وتنيس من مصر . انظر : ابن جبير : الرحلة ، ص ١٢٦ ؛ ابن منظور : المصدر السابق ، ٤٩١/١ .

رقيق سحابي اللون قد علا كورها[1] على رأسه كأنها سحابة مركومة وهي مصفحة بالذهب ، وتحت الحلة خلعتان من الدبيقي المرسوم البديع الصنعة "[2] .

وكانت تلك الخلعة قد أهداها له الأمير سيف الاسلام طغتكين بن أيوب حين قدومه الى مكة المكرمة سنة ٥٧٩هـ / ١١٨٣م[3] .

وكانت هذه الملابس الموشاة بخيوط الذهب والفضة قد انتشرت بين سكان مكة وخاصة في الأوساط الراقية بها وتركت أثرا في أزياء وملابس بقية أهالي مكة الى حد تبدو فيه ملابسهم قريبة من شبه أزياء أمرائهم ووزرائهم[4] .

أما القضاة والخطباء فقد تحكمت علاقات مكة بالخلافتين العباسية والفاطمية في لباسهم فحينما تقام الخطبة لبني العباس على منابر مكة كان الخطباء يتخذون السواد الذي هو اللون الرسمي للعباسيين[5] ، وحينما يخطب للفاطميين كان الخطباء يتخذون اللون الأبيض في لباسهم لأنه كان شعار الفاطميين[6] .

---

(١) كورها : لوث العمامة يعني ادارتها على الرأس ، وكل دارة من العمامة كور ، والكور هنا الدور منها .
ابن جبير : المصدر السابق والصفحة ؛ ابن منظور : المصدر السابق ، ١٥٥/٥ .
(٢) ابن جبير : المصدر السابق ، ص ١٢٦ .
(٣) المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها ؛ ابن فهد : اتحاف الورى ، ٥٤٥/٢-٥٤٦ .
(٤) السباعي : تاريخ مكة ، ٢١٧/١ .
(٥) ابن جبير : الرحلة ، ص ١٣٥ ؛ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٥٥-١٥٦ .
(٦) آدم متز : الحضارة الاسلامية ، ١٠٨/٢ .

ومن عادات أهل مكة أنه اذا أصابهم القحط والجدب والجفاف وانحبس عنهم نزول المطر اجتمع بهم قاضي مكة وحثهم على صيام ثلاثة أيام قبل أن تقام صلاة الاستسقاء ، وفي اليوم الرابع يجتمع أهالي مكة في المسجد الحرام فيتقدم القاضي الى البيت العتيق ويخرج منه مقام ابراهيم ويخرج أيضا مصحف عثمان رضي الله عنه وينادي في الناس بالصلاة جامعة فيصلي القاضي بهم خلف المقام ركعتين ثم يخطب خطبة بليغة يحث فيها الناس على الاستغفار وطلب الرزق والغيث .(١)

وكان لميسل أمراء الهواشم للخلافة الفاطمية بمصر أثر على نظام الادارة والتقاليد العامة بمكة ، ومن المعروف للدارس في تاريخ الفاطميين ونظمهم أنهم كانوا يرون في امامهم شخصا مقدسا تحيطه هالة من الجلال والتنزيه ،(٢) فظهر أثر ذلك على نظرة الناس بمكة الى حكامهم من الأشراف الذين أحاطوا أنفسهم ومراكزهم بشيء من التعظيم ،(٣) ومما لاشك فيه أنه كان للخلفاء الفاطميين أثر في احلال ذلك الشعور في نفوس الأشراف وذلك بسبب الألقاب التي كانوا يمنحونها لهم كلقب الشريف الأمير فخر المعالي ذي المجدين ،(٤) لذلك فقد أمعن الناس بمكة في تعظيم كل شريف ينتسب الى بيت الامارة ، واستمر ذلك الامعان في التعظيم حتى أصبح الرجل منهم يعتقد أنه يستحق الميزة الشرعية على سائر الأجناس من غير

---

(١) ابن جبير : الرحلة ، ص ٨٠-١٣٨ ؛ جميل حرب : الحجاز واليمن ، ص ٢٣٤-٢٣٥ .

(٢) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٣٥٥-٣٥٦ ؛ السباعي : تاريخ مكة ، ص ٢١٤ .

(٣) السباعي : المرجع السابق ، ص ٢١٥ .

(٤) ماجد : السجلات المستنصرية ، ص ٥٦ .

الأشـــــراف .[1]

وكـان أمـراء مكـة قـد تأثروا بمظاهر الفخامة والأبهة التـي عاشها الخلفاء الفاطميون حيث ظهرت الأبهة في مجالسهم ومواكبهم وحفلاتهم وأعيادهم .[2]

وعرفت امارة مكة المكرمة بعض التقسيمات الادارية التي كانت معروفـة عند الفاطميين فأضيفت بعد وظيفة القاضي وبيت المـال وصاحب البريد وظيفـة المحتسب الذي كان يشرف على الأسواق[3] ، وصاحب الشرطة المسؤول عن الأمن[4] ، والذي كان يتبعه كثير من الجنود الذين عرفوا في عهد الهواشم باسم الحرابة[5] وكـانت معظم هذه الأعمـال الادارية تدار في قصور خاصة بها بالقرب من دار أمير مكة الذي كان مجاورا للمسعى .[6]

ونظرا لشدة الحر الذي كان يجتاح مكة المكرمة في فترة الصيف فقد كان أمراء مكـة الأشراف وأتباعهم وبعض الأسر الميسورة يتجهون الـى الطائف ليقضوا بها فترة الصيف ولينعموا بجوها البارد الممتع .[7]

---

(١) السباعي : المرجع السابق نفسه والصفحة نفسها .
(٢) ابـن جبير : الرحلـة ، ص ١٠٧،١٠٩،١٣٤ ؛ السـباعي : تاريخ مكة ، ٢١٥/١ .
(٣) ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٤٦ .
(٤) السباعي : المرجع السابق نفسه والصفحة نفسها .
(٥) ابن جبير : الرحلة ، ص ٧٤،١٠٩ .
(٦) المصدر السابق نفسه ، ص ٨٤ ؛ السباعي : المرجع السابق ص ٢١٥ .
(٧) المقدسي : أحسـن التقاسـيم ، ص ٧٩ ؛ البتنـوني : الرحلة الحجازية ، ص ٥١ .

أثر العلاقات على ظهور بعض الأعياد والبدع بمكة المكرمة .

لقد كان لأهالي مكة المكرمة احتفالات دينية متعددة في مختلف المناسبات فمن أهم هذه الاحتفالات الاحتفال بظهور هلال شهر رجب الذي يعتبر من أكبر أعيادهم لأنهم يعتبرونه من الشهور المباركة وهو أحد الأشهر الحرم[1] ، فعند ظهور هلال ذلك الشهر تضرب الطبول والأبواق اشعارا بدخول الشهر[2] فيستعد الناس للعمرة في بداية ذلك الشهر لأنهم يعتبرون العمرة في رجب تعادل وقفه في عرفة[3] ، فيتجه جميع أهالي مكة الى التنعيم ومعهم أميرهم الذي يشاركهم في ذلك الاحتفال وبعد قضاء العمرة يذهب أهل مكة للسعي بين الصفا والمروة لاكمال العمرة . وقد وصف لنا ابن جبير - وهو ممن شارك أهالي مكة في ذلك الاحتفال الديني - مدى الازدحام الذي كان يجده الناس في المسعى حيث يقول : "فلما قضينا العمرة وطفنا وجئنا للسعي بين الصفا والمروة ، وقد مضى هدء من الليل ، أبصرناه كله سرجا ونيرانا وقد غص بالساعين والساعيات على هوادجهن ، فكنا لانتخلص الا بين هوادجهن وبين قوائم الابل لكثرة الزحام واصطكاك الهوادج بعضها على بعض"[4] .

ولم تكن العمرة في هذا الشهر مقصورة على أوله بل كانت متصلة طوال الشهر ليلا ونهارا ، وبالأخص ليلة أوله

---

(١) ابن جبير : الرحلة ، ص ١٠٦ ؛ السليمان : العلاقات الحجازية ، ص ٢١٣ ؛ المالكي : بلاد الحجاز ، ص ١١٨ .
(٢) ابن جبير : المصدر السابق ، ص ١٠٨ .
(٣) ابن جبير : المصدر السابق ، ص ١٠٦ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٠٨ .

ونصفه والسابع والعشرين منه[1] ، ففي ليلة ذلك اليوم يحتفل أهالي مكة احتفالا عظيما ويعتمرون بها ويسمون تلك العمرة بالعمرة الأكمية لأنهم كانوا يحرمون فيها من أكمة مسجد عائشة رضي الله عنها[2] ، والأصل في هذه العمرة أنهم يحتفلون بذكرى اتمام بناء البيت زمن عبد الله بن الزبير[3] .

كما أن أهالي مكة المكرمة كانوا يحتفلون أيضا بليلة النصف من شهر شعبان من كل عام حيث يخرج الرجال والنساء عامة الى المسجد الحرام فيوقدون السرج والمصابيح ويصلون ويطوفون ويقرأون القرآن حتى الصباح[4] .

وكان أهالي مكة يحتفلون بقدوم شهر رمضان الكريم حيث يقومون بتجديد الحصر وتكثير الشموع وذلك لاضائتها طوال ليالي رمضان وخاصة العشر الأواخر منها التي كانوا يحيونها بالصلاة والطواف وقراءة القرآن[5] .

وبعد أن ينقضي شهر رمضان يحتفل أهالي مكة المكرمة بعيد الفطر المبارك حيث يلبسون فيه أحسن الثياب ويسارعون لصلاة العيد بالمسجد الحرام وكان أمراء الهواشم يشاركون أهالي مكة في احتفالهم بعيد الفطر المبارك اذ يؤدون معهم صلاة العيد ثم يغادر الجميع المسجد الحرام ويقومون بزيارة

---

(١) ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٥٨ .
(٢) ابن جبير : الرحلة ، ص ١١٤-١١٥ .
(٣) ابن جبير : نفس المصدر والصفحة ، باقاسي : بلاد الحجاز ، ص ٨٣ .
(٤) ابن جبير : المصدر السابق ، ص ١١٩-١٢٠ ، ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص ١٦١ .
(٥) ابن جبير : المصدر السابق ، ص ١٢٢ .

بعضهم البعض ويتبادلون التهنئة بذلك العيد .(١)

وكان بعض الفئات بمكة المكرمة تحتفل باحتفالات دينية أخرى كانت وليدة للاتصالات المكية الفاطمية فى عهد أمراء الهواشم ، وهذه الاحتفالات ماهى الا بدع انتقلت من بلاد مصر زمن الفاطميين الى مكة ، فمن هذه البدع والأعياد الشيعية عيد مولد النبى صلى الله عليه وسلم الذى كان يقام فى ١٢ من ربيع الأول من كل عام ، وعيد مولد السيدة فاطمة الزهراء ومولد السيدة ميمونة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، وعيد مولد السيدة خديجة والسيدة آمنة ، ومولد الامام على بن أبى طالب كرم الله وجهه(٢) ، فكل هذه المناسبات كان يحتفل فيها بمصر فى عهد الخلافة الفاطمية .(٣)

وكان أمراء الهواشم الذين تأثروا بالفاطميين كثيرا قد أمروا جميع أهالى مكة المكرمة بضرورة صيام يوم الشك وهو اليوم الأخير من شهر رمضان فهم بذلك يسيرون على المذهب الشيعى الذى ينص على أن صيام يوم الشك يعتبر فرضا وواجبا على كل فرد .(٤)

فهكذا كان لعلاقة أمراء الهواشم بالخلافة الفاطمية أثر كبير فى امتداد المذهب الشيعى نحو مكة المكرمة . ومما يدل على ذلك اضافة "حى على خير العمل" الى الآذان فى مآذن

---

(١) ابن جبير : الرحلة ، ص ١٣٤ ؛ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٦٣ .

(٢) ولقد استمرت تلك البدع والأعياد بمكة المكرمة حتى دخلت مكة تحت الحكم السعودى سنة ١٣٤٣هـ/١٩٢٤م فأبطلت تلك البدع وحوربت . انظر السباعى : تاريخ مكة ، ٢١٦/١ .

(٣) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٦٤٨ .

(٤) ابن جبير : الرحلة ، ص ١٢٢ .

المسجد الحرام والمشاعر المقدسة وهو تقليد شيعي كان يعمل به الفاطميون ويحرصون على اقامته في المناطق التي تخضع لنفوذهم وسيادتهم [(١)] ، ولقد حرص أمراء الهواشم على ابقاء ذلك الأذان [(٢)] حتى في الوقت الذي كانت فيه مكة خاضعة للنفوذ العباسي واستمر ذلك الأذان الشيعي بمكة المكرمة حتى ألغاه السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨١هـ/١١٨٥م [(٣)] .

(١) السباعي : تاريخ مكة ، ص ٢١٦ .
(٢) ابن جبير : الرحلة ، ص ٧٨ .
(٣) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ٧٨/٦ ؛ ابن فهد : اتحاف الورى ، ٥٥٣/٢ .

(ج) أثر العلاقات على الحياة العلمية بمكة المكرمة

* المسجد الحرام ودوره العلمي .
* نظام الدراسة بمكة - الحلقات العلمية الرحلات - الاجازات .
* المجاورون بمكة ودورهم العلمي وأثر العلاقات على جذب هؤلاء المجاورين الى مكة .
* الأربطة ودورها العلمي .
* الكتاب والمدارس والمكتبات بمكة ودورها العلمي .
* مشاهير العلماء بمكة وأهم العلوم التي نبغوا فيها وأهم مؤلفاتهم العلمية .
* المرأة بمكة ودورها في الحركة العلمية .

المسجد الحرام ودوره العلمى .

لقد كان للمكانة الروحية التى تمتعت بها مكة المكرمة أثر عظيم فى استقطاب عدد كبير من المسلمين الذين قدموا اليها لأداء فريضة الحج التى أمرهم الله بها (١) ، فكانت مكة المكرمة عبارة عن بوتقة يجتمع بها العلماء والمفكرون الوافدون اليها من شتى الاقطار الاسلامية حيث كان هؤلاء العلماء يترددون الى مكة المكرمة وهى المركز الاسلامى العظيم وبها يلتقى رجال العلم والفقه والأدب والتاريخ الذين يأتون اليها من أرجاء العالم الاسلامى ويُؤخذ عنهم ، اذ فيها كانت تعقد الحلقات العلمية والمناظرات الفقهية (٢) .

ولاشك بأن المسجد الحرام قد لعب دورا كبيرا وهاما فى النهوض بالحركة العلمية والثقافية بمكة المكرمة (٣) ، لأن المسجد فى تلك الفترة لم تكن وظيفته قاصرة على الصلاة فقط وانما كان مركزا للتوجيه الفكرى والأخلاقى والتربوى والاجتماعى (٤) . فالمسجد هو المدرسة الأولى التى يتخرج منها المسلم ، وهو بيت الأتقياء ، ومكان اجتماع المسلمين يوميا

---

(١) تاج الدين أبى نصر السبكى : طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق عبد الفتاح الحلو ومحمود الطناحى ، ط١، ١٣٨٥هـ ١٩٦٦م ، ٥/١٥٣، ١٥٦، ١٥٨ ؛ الزيلعى : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ١٣٧ .

(٢) أحمد بن عبد الله الرازى الصنعانى : تاريخ مدينة صنعاء ، تحقيق حسين عبد الله العمرى وعبد الجبار زكّار ط١ ، اليمن ١٩٧٤م ، ص ٢٧ .

(٣) حمزة يونس : رسالة المسجد (بحوث مؤتمر رسالة المسجد ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م) ، ص ٥١١ .

(٤) محمد حسين الذهبى : رسالة المسجد فى العالم عبر التاريخ (بحوث مؤتمر رسالة المسجد ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م) ، ص ٤٥٧-٤٦٠ .

ومركز مؤتمراتهم ، ومحل تشاورهم وتناصحهم ، والمنتدى الذى فيه يتعارفون ويتآلفون وعلى الخير يتعاونون، فمن المسجد خرجت الجيوش الاسلامية ففتحت مشارق الأرض ومغاربها ، ومن المسجد تخرج العلماء والفقهاء [١] والمحدثون والقراء والمفسرون وغيرهم من العلماء . وبذلك يعتبر المسجد بمثابة الجامعة الشعبية المفتوحة الأبواب لكل راغب فى العلم والمعرفة لايُقيَّد بدوام معين ولاتُفرَض عليه مادة دون أخرى ، بل يختار الطالب الاتجاه الذى يتلاءم مع ميوله واستعداده وقدراته [٢] .

وكانت الحلقات العلمية التى تعقد فى المسجد الحرام تضم الجميع بلاتفرقة [٣] بين غنى أو فقير صغير أو كبير ، وكانت هذه الحلقات تدور فيها الدراسات الدينية والمناظرات والمحاضرات العلمية ويتدارس العلماء بها أحوال المسلمين ويأخذون عن بعضهم كثيرا من العلوم فيتدارسون علوم القرآن والحديث ، والتفسير ، والفقه ، وعلوم اللغة العربية ، والأدب ، والتاريخ [٤] .

وقد كانت اسطوانات وسوارى المسجد الحرام مستندا لظهور العلماء والفقهاء والأدباء والمحدثين والمفسرين وكان

---

(١) خير الدين وانلى : المسجد فى الاسلام ، ط٢ ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ، ص ٥ .

(٢) محمد المجذوب : رسالة المسجد قديما وحديثا (بحوث مؤتمر رسالة المسجد ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م) ، ص ٤٨٣ .

(٣) المالكى : بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف ، ص ١٨٧.

(٤) الفاسى : العقد الثمين ، ١١٩/٧، ١٣٧، ١٣٨، ٣٢٨ ؛ السخاوى : التحفة اللطيفة ، ٦٢/٢-٦٣ ؛ محمد الحسينى: الحياة العلمية فى الدولة الاسلامية ، الكويت ١٩٧٣م ، ص ٣٧-٣٨ ؛ حمزة يونس : رسالة المسجد ، ص ٥١١ .

الطلاب يتحلّقون حولهم وينهلون من علمهم وفقههم [١] ، وقد وصف ابن جبير في رحلته الى مكة هذه الحلقات العلمية التى كانت تعقد فى المسجد الحرام حيث قال : "والحرم مُحدقٌ بحلقات المدرسين وأهل العلم" [٢] .

كما أن كتب التراجم قد حددت الأماكن التى كانت تعقد فيها هذه الحلقات : فيذكر الفاسى أن العالم أحمد بن على القيسى ، وهو أحد علماء القرن السادس الهجرى ، قد درس على يديه كثير من العلماء فى قبة الشراب داخل المسجد الحرام [٣] .

وكانت ساحات المسجد الحرام تعج بالكثير من الطلاب والمدرسين والعلماء الذين قدموا الى مكة للاستفادة والدراسة على أيدى علمائها وفقهائها [٤] . فكان لكل هؤلاء دور كبير فى النهوض بالحركة العلمية .

كما أن مكة المكرمة كانت محطة لمرور العلماء القادمين من شتى الأقطار الاسلامية فقلما نجد ترجمة لأى عالم من علماء المسلمين فى تلك الفترة الا وقد ذكر أنه جاور أو

---

(١) ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٢٧ ؛ خير الدين وانلى : المسجد في الاسلام ، ص ١٦٥ .

(٢) ابن جبير : الرحلة ، ص ٦٨ ؛ باقاسى : بلاد الحجاز ، ص ١٠١ .

(٣) الفاسى : العقد الثمين ، ١٠٥/٣-١٠٦ .
وقبة الشراب هى قبة كانت تقع فى الجهة الشرقية من المسجد الحرام بجوار قبة زمزم كان يستقى منها الناس فى رمضان ويجرى اليها الماء فى قناة تحت الأرض من قبة زمزم وبازائها بيت صغير هو مخزن الكعبة وليس فى المسجد الحرام فى تلك الفترة بنية سوى هذه الثلاث .
انظر : الجاسر : فى رحاب الحرمين ، (مجلة العرب السنة العاشرة ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م ، ج ٩-١٠) ، ص ٧٣٦ .

(٤) ابن الأبار : تكملة الصلة ، القاهرة ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م ، صححه عزت العطار الحسينى ، ١٦٧/١-١٦٨ ؛ السبكى : طبقات الشافعية الكبرى ، ٢٩/٤ .

مر بمكة المكرمة ليتلقى العلم بها أو ليحمل على اجازة علمية من أحد علمائها الذين كانت لهم حلقات علمية بالمسجد الحرام [(١)] .

وقد كان نظام الحلقات هو النظام المتبع في الدراسة في معظم البلدان الاسلامية في تلك الفترة ، وكانت هذه الحلقات وسيلة هامة من وسائل نشر العلم والثقافة بطريقة سهلة وميسرة وذلك مما أوجد الرغبة لدى الكثيرين من الناس في تلقي العلم ونشره [(٢)] .

فكان الطلاب يقبلون على الحلقة التي يريدونها وعلى الشيخ الذي يريدون السماع منه ، فلم تكن الدراسة تسير على منهج معين ومقرر بل كان الشيخ الذي يعقد الحلقة هو الذي كان يقرر مايريد تدريسه لطلبته ، وهو الذي يختار المنهج الملائم لهم [(٣)] ، فكانت الحلقات العلمية تكبر أو تصغر على حسب قدر المعلم أو تبحره في العلوم التي يلقيها على الطلاب [(٤)] ، ولم يكن هؤلاء المعلمون أو الشيوخ الذين نصبوا أنفسهم للتدريس في المسجد الحرام يتقاضون راتبا معينا من أمير مكة أو من أي حاكم آخر لقاء تدريسهم في المسجد الحرام ،

---

(١) أبو القاسم خلف بن عبد الملك ابن بشكوال : كتاب الصلة ، القاهرة ١٩٦٦م ، ٧٤/١ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ٢٢٨/١٢ ؛ حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٥٢٠ .

(٢) حسن عبد العال : التربية الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، القاهرة ، ص ١٢٩ .

(٣) المالكي : بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف ، ص ١٨٧

(٤) لطيفة محمد البسام : الحركة العلمية في الحجاز من ظهور الاسلام الى قيام الدولة العباسية ، رسالة ماجستير جامعة الملك سعود ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ، ص ١٥٤ .

ولم يأخذوا أيضا من الطلبة راتبا أو صدقة أو زكاة بل كان تعليمهم لله وفي سبيل الله[1] ، فأصبح التعليم في تلك الفترة في متناول الجميع،وذلك مما شجع الكثير من أهالي مكة والمناطق المجاورة لها على الاقبال على هؤلاء المدرسين للدراسة على أيديهم .

كما أن المسجد الحرام كان مقرا ومكانا لالقاء المحاضرات والنشاطات الثقافية التي يشارك بها كبار العلماء الوافدين الى مكة ، حيث كان هؤلاء العلماء يقومون بالقاء المحاضرات العديدة ، فكل واحد منهم يلقي محاضرة في المجال الذي كان متخصصا فيه ، وقد شهدت ساحات المسجد الحرام كثيرا من هذه المحاضرات والخُطَب الدينية والثقافية[2] وقد ذكرت كتب التراجم والوفيات أسماء كثيرين من العلماء الذين قدموا الى مكة للمشاركة في نهضتها العلمية ، فلقد قدم اليها العالم أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي سنة ٥٥٣هـ/١١٥٨م وقام بالقاء بعض المحاضرات والخطب وعقد مجلسا للوعظ والارشاد بالمسجد الحرام وذلك طوال فترة اقامته بمكة المكرمة[3] .

كما أن الامام عبد الملك بن عبد الله الجويني قدم الى مكة في القرن الخامس الهجري وكرّس معظم وقته بها في

(١) عبد الرحمن صالح عبد الله : تاريخ التعليم في مكة المكرمة ، ط١ ، جدة ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م ، ص ٣٩ .

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ٥٢/٢ ؛ ابن العماد الحنبلي شذرات الذهب ، ١٤٨/٤ ، الرشيدي : حسن الصفا والابتهاج ص ١١٦ .

(٣) الجزيري : الدرر الفرائد ، ١٨١٥/٣-١٨١٦ ؛ الرشيدي : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها .

التدريس والافتاء والقاء المحاضرات بالمسجد الحرام (١) .

وقدم الى مكة أيضا الامام أبو حامد الغزالى والذى كان لمشاركته لعلماء مكة أثر عظيم فى النهوض بالحركة العلمية الموجودة بها (٢) .

لذلك كانت مكة المكرمة فى عهد أمراء الهواشم من أهم البلدان والمناطق التى كان يقصدها العلماء من شتى الاقطار اذ كان العلماء يتنقلون بين العراق والشام ومصر والمغرب والاندلس والحجاز واليمن وخراسان والهند وفارس وماوراء النهر (٣) . وكان هؤلاء العلماء يقومون بهذه الرحلات ليأخذوا العلم على أيدى كبار العلماء والأئمة الذين كانوا قد تفرقوا فى الأمصار الاسلامية (٤) . وكانت قيمة الطالب فى تلك الفترة تُقدَّر بما قام به من رحلات وبما قام به من لقاء لكبار الشيوخ والعلماء . وكان من بين هؤلاء الطلاب الذين قدموا الى مكة لتلقى العلم على أيدى شيوخها وعلمائها المؤرخ أبو بكر الخطيب صاحب كتاب تاريخ بغداد حيث قرأ صحيح البخارى فى خمسة أيام فقط على يد عالمة مكة المشهورة كريمة المروزية (٥) .

---

(١) أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ، ١٩٦/٢ ؛ الفاسى : العقد الثمين ، ٥٠٧/٥ .

(٢) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٤٨٩/٢ .

(٣) ناجى معروف : تاريخ علماء المستنصرية ، ط٣ ، ٣٧٦/٢ .

(٤) حسن عبد العال : التربية الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، ص ١٥٦ .

(٥) السبكى : طبقات الشافعية الكبرى ، ٢٩/٤ .
كريمة بنت أحمد بن محمد بن حاتم المروزية أم الكرام كانت عالمة ومتبحرة فى العلم سمع منها جماعة من الأعيان منهم الخطيب البغدادى ، وماتت وهى بكر لم تتزوج سنة ٤٦٥هـ/١١٦٩م ، وقيل سنة ٤٦٣هـ بعد أن بلغت مائة عام .
انظر الفاسى : العقد الثمين ، ٣١٠/٨ .

كما قدم اليها أيضا بطّال بن أحمد الرُّكبى من اليمن حيث استمر مجاورا بها أربع عشرة سنة قضاها فى تلقى العلم بها فلم يترك أحدا من القادمين والمقيمين بمكة لديه علم ومعرفة الا وقد أخذ العلم عنه (١). وكثيرا مايقرأ فى كتب تراجم علماء تلك الفترة هذه العبارات : كان رحالا فى طلب العلم - وطاف فى البلدان (٢) - ورحل حاجا فحضر مجالس الحديث بالحرمين الشريفين (٣) - وتلقى العلم على أئمة العلماء والفقهاء فى أمهات العواصم الاسلامية من أمثال مكة وبيت المقدس وبغداد والبصرة (٤)، وكان لهذه الرحلات ، التى قام بها العلماء أثر فى سرعة انتقال العلوم والمعارف والمؤلفات العلمية الى جميع أنحاء العالم الاسلامى (٥). وقد كان الدارسون بالمسجد الحرام وبمدارس مكة فى تلك الفترة لايحصلون بعد دراستهم على شهادات دراسية بل كانوا يحصلون على اجازات علمية من أساتذتهم وشيوخهم (٦)، وكانت هذه الاجازة عبارة عن الاذن الذى يمنحه الشيخ أو المدرس لطالبه ليقوم بمهنة التدريس أو رواية الأحاديث المأذون له فى روايتها (٧)، ويشترط

---

(١) الفاسى : العقد الثمين ، ٣٧٦/٣ ؛ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى : بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاه ، ط١ ، القاهرة ١٣٢٦هـ ، ص ١٧-١٨ .

(٢) حسن عبد العال : التربية الاسلامية فى القرن الرابع ، ص ١٥٦ .

(٣) ابن الأبار : تكملة الصلة ، ١٦٧/١-١٦٨ .

(٤) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٥٢٠ .

(٥) حسن عبد العال : المرجع السابق والصفحة .

(٦) أحمد شلبى : تاريخ التربية الاسلامية ، ط٢ ، القاهرة ١٩٦٠م ، ص ٢١٩ ؛ مالكى : بلاد الحجاز ، ص ١٨٨ .

(٧) ناجى معروف : تاريخ علماء المستنصرية ، ص ٤٧٧ ؛ حسن عبد العال : المرجع السابق ، ص ١٤٣ .

أن يكون المجيز عالما بما يجيز به ثقة فى دينه ، معروفا بالعلم والمعرفة كما يشترط في طالب الاجازة أن يكون من طلاب العلم المجدين والمثابرين وذلك حتى لايوضع العلم الا عند أهله (١) .

وكان بمكة فى تلك الفترة كثير من العلماء والمشايخ المشهورين بالعلم والمعرفة حيث كان الطلاب يفدون اليهم من جميع أرجاء العالم الاسلامى وذلك حتى يستجيزوهم فى العلوم التى برعوا فيها ، أما الطالب الذى يتعذر حضوره فانه كان يرسل الى الشيخ أو العالم ، الذى يريد منه الاجازة ، رسالة يطلب منه منحه تلك الاجازة بالمراسلة فكان العالم لايمانع فى ارسال ذلك له طالما انه يرى أنه جدير بتلك الاجازة (٢) .

وكانت هذه الاجازات تتضمن التعريف بالعالم وموطنه وشيوخه الذين درس عليهم ، وموضوع الاجازة ، كما تحمل اسم طالب العلم المجاز ، وتوقيع العالم وخاتمه ، وتاريخ الاجازة (٣) .

كما أن الطلاب المقيمين بمكة المكرمة كانوا يجدون فى فريضة الحج فرصة لهم للالتقاء بعلماء وأئمة العالم الاسلامى المشهورين والأخذ عنهم والحصول منهم على اجازات علمية تؤهلهم للتدريس فى ساحات المسجد الحرام (٤) .

---

(١) الحسينى : الحياة العلمية في الدولة الاسلامية ، ص ٣٩.
(٢) الفاسى : العقد الثمين ، ١٥٢/٢-١٥٣ .
(٣) عبد الكريم كريم : بلاد الحجاز في المخطوطات المغربية المدونة (دراسات فى تاريخ الجزيرة ، الجزء الأول) ، ص ٤١٣ .
(٤) ابن بشكوال : كتاب الصلة ، ٤٢٦/٢ ؛ ابن الأبار : تكملة الصلة ، ٨٢/١-٨٣ .

وهكذا كان للمسجد الحرام دور علمي كبير لم تقتصر فائدته على المكيين أنفسهم ، بل نهل من هذه المدرسة علماء من شتى البلدان الاسلامية (١) .

---

(١) عبد الرحمن صالح عبد الله : تاريخ التعليم في مكة المكرمة ، ص ٣٩ .

المجاورون بمكة المكرمة ودورهم العلمى .

كان العلماء يفدون الى مكة من شتى الأقاليم الاسلامية ليؤدوا الفريضة التى أمرهم الله بأدائها ، لذلك أصبح موسم الحج فرصة للقاء العلماء من كافة الأقطار الاسلامية اذ أنهم كانوا يتدارسون العلوم فيما بينهم ويأخذون عن بعضهم كثيرا من العلوم كالتفسير والحديث والفقه والعربية . ثم يعود أكثر هؤلاء العلماء الى بلادهم وهم حاملون معهم ماوجدوه بمكة من كتب وعلوم ومعارف وأحاديث . أما بعض هؤلاء العلماء فكان يُفضِّل الاقامة والبقاء بمكة بجوار بيت الله الحرام (١) ، ومن هنا نشأ ماعرف فى التاريخ الاسلامى باسم المجاورة فكانت الغاية من هذه المجاورة الانقطاع للعبادة والطاعة وطلب العلم والمعرفة بجوار بيت الله الحرام (٢) . ولقد كان لهؤلاء المجاورين أثر علمى كبير بمكة المكرمة حيث أسهموا فى الحركة العلمية الموجودة بها وهذا ماجعل مكة المكرمة فى تلك الفترة تصبح واحدة من البلدان التى تُشَدُّ اليها الرحال لطلب العلم والمعرفة (٣) .

ومما ينبغى الاشارة اليه أنه كان لعلاقات مكة الخارجية أثر فى اجتذاب عدد كبير من المجاورين اليها وخاصة المصريين وذلك بسبب الارتباط الوثيق الذى كان يربط أمراء

---

(١) على حسين السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٢٢٢ .

(٢) ابن الجوزى : المنتظم ، ١٣٣/٩ ؛ السزيلعى : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ١٣٧-١٣٩ .

(٣) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، ٢١٩/٨ ؛ الفاسى : العقد الثمين ، ٥٥/٥ ؛ ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب ، ٣٠٤/٤-٣٠٥ .

الهواشم بالخلفاء الفاطميين حكام مصر فى تلك الفترة (١) . هذا بالاضافة الى قرب المسافة التى كانت تربط مكة المكرمة بالقاهرة (٢) ، ولكن ذلك لايعنى أن المجاورة كانت قاصرة على المصريين فقط وانما كان هناك مجاورون قد قدموا الى مكة من العراق والشام والمغرب والأندلس (٣) والجزائر (٤) واليمن وبلاد ماوراء النهر (٥) .

وكان السبب فى قدوم هؤلاء المجاورين الى مكة والمدينة بالذات العامل الدينى وهو وجود الحرمين الشريفين بهما فكان هؤلاء المجاورون يقضون معظم وقتهم فى الصلاة والعبادة فى هذين الحرمين ، كما أن هاتين المدينتين المقدستين كانتا بعيدتين عن الحروب والفتن السياسية التى كانت موجودة فى المناطق الأخرى (٦) . فتذكر بعض المصادر أن الفقيه زيد بن عبد الله اليفاعى قدم الى مكة هاربا من اليمن وذلك بسبب الفتن والاضطرابات التى كانت موجودة بها وكان قدومه اليها فى عام ٥٠٠هـ/١١٠٦م واستمر بعد ذلك مجاورا بها اثنى عشر عاما (٧) . كما أن هناك عدة عوامل أخرى قد شجعت علماء وأدباء البلدان الاسلامية على القدوم الى مكة والمجاورة بها

---

(١) المالكى : بلاد الحجاز ، ص ٢٠٧ .
(٢) السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٢٢٩ .
(٣) الفاسى : العقد الثمين ، ٤٢٦/٤ ، ٥٢٠/٥ ، ١٤/٦ ؛ ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب ، ١٠٦/٤، ٢٥٣ .
(٤) الاسنوى : طبقات الشافعية ، ٢١٣/١-٢١٤ .
(٥) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، ١١٤/٨ .
(٦) باقاسى : بلاد الحجاز فى العصر الأيوبى ، ص ١٠٢ .
(٧) الجعدى : طبقات فقهاء اليمن ، ص ١١٩-١٢٠ ؛ الاسنوى : المصدر السابق ، ٥٦٢/٢-٥٦٣ ؛ الفاسى : المصدر السابق ٤٨٠/٤-٤٨١ .

وهي أن هؤلاء العلماء قد أرادوا أن يكون لهم نصيب وافر من تلك النفقات والصدقات التي كان يرسلها خلفاء وأمراء وسلاطين وتجار الدول الاسلامية الى مكة المكرمة[1] ، هذا بالاضافة الى أن هؤلاء الأمراء والسلاطين والتجار قاموا ببناء كثير من الأربطة والمدارس بمكة المكرمة فكان ذلك حافزا لهؤلاء المجاورين على القدوم الى مكة طالما أنهم قد وجدوا بها المدارس التي يدرسون بها والأربطة التي يعيشون فيها[2] ، ولم تكن هذه الأربطة مجرد اقامة لهؤلاء المجاورين فقط وانما كانت تعقد فيها حلقات التدريس[3] وتوضع بها الكتب القيمة والنفيسة[4] وهذا ماجعل علماء مكة وطلابها يرتادون هذه الأربطة ليطلعوا على ماتحويه مكتباتها من كتب وعلوم هامة .

ومن بين الأربطة الموجودة بمكة في تلك الفترة :

(١) رباط السِّدرة :

ويعد هذا الرباط من أقدم الأربطة التي بنيت بمكة فقد ذُكِر أنه كان موقوفا في عام ٤٠٠هـ/١٠٠٩م وكان هذا الرباط يقع بالجانب الشرقي للمسجد الحرام[5] .

---

(١) السليمان : العلاقات الحجازية ، ص ٢٢٢ .
(٢) المالكي : بلاد الحجاز ، ص ٢٠٧-٢٠٨ .
(٣) الفاسي : العقد الثمين ، ١٨٢/٣ .
(٤) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٥٦٤/٢ ؛ عبد الله الماجد : المكتبات في جزيرة العرب (مجلة العرب ، السنة الثانية ، رجب ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م) ، ص ٨٩٤ .
(٥) الفاسي : شفاء الغرام ، ٥٢٧/١ .

(٢) رباط الخزامية :

ويعرف أيضا باسم رباط الدمشقية وهو خاص بالعلماء والقراء والفقراء القادمين من دمشق والعراق وقد تأسس ذلك الرباط سنة ٥٢٩هـ/١١٣٤م (١) .

(٣) رباط السبتية :

كان هذا الرباط موجودا بمكة منذ عام ٥٢٩هـ/١١٣٤م (٢) .

(٤) رباط رامشت :

لقد أوقف هذا الرباط الشيخ أبو القاسم ابراهيم بن الحسين بن شيرويه بن الحسين بن جعفر الفارسي المعروف برامشت (٣) ، وقد سمى هذا الرباط برباط رامشت نسبة الى كنيته وقد أوقف هذا الرباط سنة ٥٢٩هـ/١١٣٤م وكان هذا الرباط يقع بجانب المسجد الحرام وكان مخصصا ومقصورا على الرجال القادمين من بلاد العراق (٤) .

---

(١) الفاسي : المصدر السابق ، ٥٣٥/١ .
(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ١٢٢/١-١٢٣ .
(٣) رامشت بن الحسين بن شيرويه بن الحسين بن جعفر الفارسي يكنى أبا القاسم واسمه ابراهيم ، كان من أعيان تجار العجم وخيارهم وله في الحرم مآثر منها الميزاب الذى عمله للكعبة المشرفة والكسوة التي كلفت ثمانية عشر الف مثقال من الذهب . توفي سنة ٥٣٤هـ / ١١٣٩م . ودفن بالمعلاه بمكة المكرمة .
انظر : الفاسي : العقد الثمين ٣٨٥/٤ .
(٤) الفاسي : شفاء الغرام ، ٥٣٠/١ ؛ ابن فهد : اتحاف الورى ، ٥٠٤/٢ ؛ محمد الفعر : تطور الكتابات والنقوش في الحجاز ، ص ٢٨٤-٢٨٥ .

(٥) رباط الأرسوفي :

يرجع تاريخ انشاء هذا الرباط الى عام ٥٧١هـ/١١٧٥م وذلك حينما أمر التاجر عبد الله بن محمد الأرسوفي ببنائه (١) وايقافه على الفقراء والمساكين ، كما أمر بأن يكون خاصا بالرجال دون النساء واشترط أيضا على ساكنيه أن لاتتجاوز اقامة كل منهم في هذا الرباط ثلاث سنوات فقط (٢) وذلك لإفساح المجال لغيرهم من المحتاجين للسكن في هذا الرباط .

(٦) رباط المراغي أو القيلاني :

لقد أمر القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن عبد الرحيم المراغي (٣) سنة ٥٧٥هـ/١١٧٩م بايقاف ذلك الرباط الملاصق للمسجد الحرام من جهته الشرقية والواقع عند باب الجنائز (٤) .

---

(١) هو عبد الله بن محمد بن عبد الله الملقب بالعفيف والمعروف بالأرسوفي وذلك نسبة الى مدينة ارسوف بالشام توفي سنة ٥٩١هـ/١١٩٤م . انظر :
الفاسي : العقد الثمين ، ٢٤٧/٥ .

(٢) الفاسي : شفاء الغرام ، ٥٣٦/١ .

(٣) هو محمد بن عبد الله بن عبد الرحيم القاضي صدر الدين أبو بكر المراغي كان من أعيان أهل زمانه فضلا وتقدما أشتهر بكثرة ماله وحسن هيئته . كانت له آثار حسنة بالحرمين . توفي سنة ٥٩٠هـ/١١٩٣م . انظر :
الفاسي : العقد ، ٦٦/٢-٦٧ .

(٤) وهذا الباب هو أحد أبواب المسجد الحرام في تلك الفترة وقد سمي بباب الجنائز لأن جنائز الموتى كانت تخرج من ذلك الباب ، أو لأن الجنائز كان يصلى عليها عند ذلك الباب الذي يعرف اليوم باسم باب السلام .
انظر : الفاسي : شفاء الغرام ، ٣٨١/١-٣٨٢ ؛ الفعر : تطور الكتابات والنقوش في الحجاز ، ص ٢٩٦-٢٩٧ .

وقد عرف هذا الرباط أيضا باسم رباط القيلانى وذلك نسبة الى شخص معروف بمكة يدعى القيلانى حيث كان يقيم فى هذا الرباط طوال وجوده بمكة المكرمة .(١)

(٧) رباط الخاتون :

أوقفت هذا الرباط الخاتون الشريفة فاطمة بنت الأمير أبى ليلى الحسنى سنة ٥٧٧هـ/١١٨١م وقد عرف هذا الرباط فيما بعد باسم رباط ابن محمود ويبدو أنه قد سمي بذلك الاسم نسبة الى أحد الأشخاص الذين كانوا يقيمون به . وكان هذا الرباط يقع عند باب العمرة ، وقد أُشتُرط أن يكون خاصا بالرجال الصالحين من العرب والعجم .(٢)

(٨) رباط قايماز :

وقد أوقف هذا الرباط الأمير قايماز بن عبد الله بن قليج ارسلان السلجوقي وهو أحد أمراء سلاجقة الروم حيث أوقفه عام ٥٧٨هـ/١١٨٢م وقد اشترط فى وقفيته أن يكون خاصا بجميع المقيمين والمجاورين والمنقطعين للعبادة بمكة من الأحناف .(٣)

---

(١) الفاسى : المصدر السابق ، ٥٢٦/١-٥٢٧ .

(٢) الفاسى : المصدر السابق ، ٥٢٩/١ ؛ باقاسى : بلاد الحجاز ، ص ٩١ .

(٣) الفاسى : العقد الثمين ، ٨٣/٧-٨٤ ؛ ابن فهد : اتحاف الورى ، ٥٤٥/٢ .

(٩) رباط أم الخليفة العباسي الناصر :

أوقفت هذا الرباط أم الخليفة العباسي الناصر وذلك سنة ٥٧٩هـ/١١٨٣م وقد اشترطت أن يكون قاصرا على الفقراء والصوفية ومن يثبت أنه من ذوى التقى والعبادة والصلاح (١).

(١٠) رباط ابن السوداء :

وقد سمي هذا الرباط بذلك الاسم نسبة الى أحد الأشخاص الذين كانوا يسكنون به وقد أوقفت هذا الرباط كل من خديجة ومريم (٢) ابنتي القائد أبى شامر المبارك بن عبد الله القاسمي وذلك سنة ٥٩٠هـ/١١٩٣م وقد اشترطتا فى وقفيته أن يكون خاصا بالنساء الخاليات من الأزواج الشافعيات المذهب (٣).

(١١) رباط ربيع :

أوقف هذا الرباط التاجر ربيع بن عبد الله بن محمود الماردينى وكان السلطان الملك الأفضل نور الدين على بن

(١) الفاسى : شفاء الغرام ، ٥٢٧/١ .
(٢) خديجة ومريم هما ابنتى القائد المعروف بمكة أبى شامر المبارك القاسمي المكنى أبا حسن والذى توفى يوم السبت التاسع من رمضان لعام ٥٧٥هـ/١١٧٩م ودفن بالمعلاه مقبرة أهل مكة وترجم على حجر قبره بالقائد . والقاسمى نسبة الى أمير مكة القاسم بن محمد بن جعفر بن أبى هاشم . انظر :
الفاسى : العقد الثمين ، ٣٩٤/٣ .
(٣) الفاسى : شفاء الغرام ، ٥٣٧/١ .

السلطان صلاح الدين الأيوبي[1] قد أوكله ببناء هذا الرباط والاشراف عليه وأمره بأن يكون هذا الرباط وقفا على من يثبت اعساره وفقره من المسلمين ، وقد تم انشاء هذا الرباط في عام ٥٩٤هـ/١١٩٧م[2] .

(١٢) رباط الزنجيلي :

لقد أمر بانشاء هذا الرباط الأمير عثمان بن علي الزنجيلي نائب السلطان صلاح الدين الأيوبي على عدن وتم بناء هذا الرباط عام ٥٧٩هـ/١١٨٣م واشترط في وقفيته أن يكون مأوى ومسكنا لجميع المحتاجين من اتباع مذهب الامام أبي حنيفة المقيمين بمكة المكرمة[3] .

فكان لهذه الأربطة جميعا دور علمي كبير لأنها كانت عاملا من العوامل التي شجعت علماء البلدان الاسلامية الذين كانت لحكوماتهم علاقة طيبة بأمراء مكة ، على القدوم الى

---

(١) السخاوي : التحفة اللطيفة ، ٦١/٢ .
علي بن يوسف بن أيوب الملك الأفضل بن السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي ، تولى دمشق بعهد من أبيه واستمر بها مدة حتى أخرجه منها أخوه الوزير عثمان وعمه العادل أبو بكر ثم ولي نيابة السلطنة بمصر عن ابن أخيه العزيز فجاء اليه عمه العادل فأخرجه منها ومكث بعد ذلك بأحد المدن المصرية حتى توفي سنة ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م . وكان سمحا جوادا كريما رحيما عالما بالفضائل فعالا للمكارم . انظر :
الفاسي : العقد الثمين ، ٢٧٥/٦-٢٧٦ .
(٢) الفاسي : شفاء الغرام ، ٥٣٤/١ ؛ باقاسي : بلاد الحجاز ص ٩٣ .
(٣) الفاسي : العقد الثمين ، ١١٩/١-١٢٠ ؛ ابن فهد : اتحاف الورى ، ٥٤٩/٢ ؛ جميل حرب : الحجاز واليمن ، ص١٩٧ .

مكة والمشاركة في نهضتها العلمية ، فكانت تقام في هذه الأربطة الحلقات العلمية وتعقد بها الدروس العديدة ، فقد ذكر أن العالم أبي الفتح الكروخي كان يُدَرِّس عددا من الطلاب في رباط أم الخليفة العباسي الناصر، وكان من بين الطلاب الذين درسوا على يديه العالم احمد بن معد التجيبي المعروف بالأقليشي حيث درس عليه جامع الترمذي (١) واستفاد ذلك العالم من العلوم والمعارف العديدة التي درسها في أربطة مكة وقت مجاورته بها، وأصبح من العلماء الكبار الذين اشتهروا بتصانيفهم العديدة حيث ألف عدة مؤلفات منها كتاب الكواكب وكتاب النجم من كلام سيد العرب والعجم ، وكتاب الغرر من كلام سيد البشر ، وكتاب ضياء الأولياء (٢). ولم تكن هذه هي المؤلفات الوحيدة للعلماء الذين قدموا الى مكة وجاوروا بها بل كان هناك عدة مؤلفات ومصنفات لو تُتُبِّعت لاحتاجت لبحث مستقل بها .

هذا ولم تقتصر الدراسة بمكة على تلك الحلقات العلمية التي كانت تعقد في المسجد الحرام وفي الأربطة التي أوقفت بها . بل كان للكتّاب دور علمي كبير فقد وجد الكتاب جنبا الى جنب مع المسجد الحرام، وأسهم في الحركة العلمية الموجودة بمكة. والكتاب كلمة تطلق على تلك المؤسسة التعليمية التي وجدت في المجتمع الاسلامي لتقوم بتربية صغار المتعلمين القراءة ، والكتابة ، وتعليم الخط ، وتحفيظ

(١) ابن الأبار : تكملة الصلة ، ١/٦٠-٦١ .
(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ٣/١٨٢-١٨٣ .

القرآن الكريم ، وتعليم قواعد اللغة العربية[1] . أما القراءة والكتابة فكانت تعلم للصبيان في دراسة الشعر والأدب التي تعتبر في هذه المرحلة مواد مساعده[2] ، اذ يبدأ تعليمهم بالحروف الهجائية ثم الحروف المحركة بالحركات المختلفة ، ثم دراسة أرقام الحروف الأبجدية ، ويتم ذلك بأن يقوم مدرس الكتّاب بكتابة ثلاثة أو أربعة أحرف من الحروف الهجائية على لوح الطالب ، وكل حرف مكتوب ثلاث مرات ولكنه مختلف التشكيل فيه علامة الفتح ، والضم ، والكسر ، ويطلب من الصبي قراءة ذلك عدة مرات حتى يتم له حفظها[3] . أما تعليمهم وتحفيظهم للقرآن الكريم فيبدأ المدرس بتدريس طلابه السور القصيرة من القرآن الكريم وأول سورة يبدأ بقراءتها عادة سورة الفاتحة ثم يتدرج في السور القصار حتى يتم جزء عم ، ومن ثم ينتقل الى تعليم بقية الأجزاء[4] .

---

(١) عبد الرحمن صالح عبد الله : تاريخ التعليم في مكة ، ص ٤٩-٥٠ ؛ محمد الحسيني : الحياة العلمية في الدولة الاسلامية ، ص ٣٢-٣٣ .

(٢) محمد حلمي محمد أحمد : الحياة العلمية في مصر والشام (المجلة التاريخية المصرية مجلد ٧ ، ١٩٥٨م) ، ص ٧ .

(٣) عبد اللطيف عبد الله بن دهيش : الكتاتيب في الحرمين الشريفين ، ط١ ، مكة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ، ص ٤٧ .

(٤) نفس المرجع والصفحة .

المدارس بمكة المكرمة ودورها العلمي .

لقد أنشئت المدارس بمكة المكرمة لتسهم في تربية المقيمين بها وتعليمهم وتثقيفهم .

واذا كانت المدارس الاسلامية قد بدأت في الظهور منذ منتصف القرن الخامس الهجري /الحادي عشر الميلادي ، فان ظهورها بمكة لم يبدأ الا في الربع الأخير من القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي .(١)

وكانت المدارس بمكة منذ انشائها قد اعتنت واهتمت بتدريس العلوم الدينية كالحديث والتفسير ، والفقه ، وعلوم التصوف ، والعلوم العربية وقليلا ماتذكر كتب التراجم أن عالما أو طالبا قد درس بمكة الشعر والعلوم العقلية كالمنطق والفلسفة .(٢)

ومنذ أن بدأ الاهتمام بانشاء المدارس بمكة كانت تلك المدارس موزعة بين المذاهب الأربعة الرئيسية .

هذا وكان يوجد بمكة ابان عهد الهواشم ثلاث مدارس هي

(١) مدرسة الأرسوفي :

وتعد هذه المدرسة من أقدم المدارس التي أنشئت بمكة

(١) عبد الرحمن صالح : المرجع السابق ، ص ٥٩ .
(٢) علي السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٢٢٣ .

المكرمة ويرجع الفضل فى انشاء تلك المدرسة الى العفيف عبد الله بن محمد الأرسوفى (١) .

ولم توضح المصادر التى بين أيدينا تاريخا محددا لانشاء تلك المدرسة ولكن يبدو أن الأرسوفى قد أسسها فى الوقت الذى بنى فيه رباطه بمكة فى عام ٥٧١هـ/١١٧٥م (٢) ، ولقد كانت هذه المدرسة تقع بالقرب من باب العمرة وكان من بين المدرسين الذين درّسوا بها العالم ناصر بن عبد الله بن عبد الرحمن المصرى وهو أحد علماء مصر الذين قدموا الى مكة وقضى معظم عمره مجاورا بها (٣) .

(٢) مدرسة الزنجيلى :

أنشئت هذه المدرسة سنة ٥٧٩هـ/١١٨٣م . وقد قام الأمير عثمان بن على الزنجيلى بانشائها فى العام نفسه الذى أوقف فيه رباطه بمكة (٤) وكانت هذه المدرسة قد خصصت لتدريس العلوم الدينية على مذهب الامام أبى حنيفة ، وقد بنيت هذه المدرسة عند باب العمرة على يمين الداخل للمسجد الحرام (٥) ، وكان من بين المدرسين الذين أسندت اليهم مهمة التدريس بتلك المدرسة العالم والفقيه صديق بن يوسف بن قريش ، وهو أحد

---

(١) الفاسى : شفاء الغرام ، ١/٥٢٦-٥٢٧ ؛ عبد الرحمن صالح تاريخ التعليم فى مكة ، ص ٥٩ .
(٢) الفاسى : المصدر السابق ، ١/٥٣٦ .
(٣) الفاسى : العقد الثمين ، ٧/٣١٦-٣١٧ .
(٤) الفاسى : المصدر السابق ، ٦/٣٤-٣٥ ؛ بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ، ٢/١٣١-١٣٢ ؛ أبو شامة : الروضتين ، ٢/٢٦ .
(٥) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٢/٥٤٩ .

العلماء الذين قدموا الى مكة لأداء فريضة الحج وفضل الاقامة والمجاورة بها .(١)

(٣) مدرسة طاب الزمان الحبشية :

لقد أسست هذه المدرسة طاب الزمان الحبشية عتيقة الخليفة العباسي المستضيء(٢) وذلك سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م وقد خصصت هذه المدرسة لتدريس العلوم الدينية على المذهب الشافعي .(٣)

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ٣٥/٥ .
(٢) ابن فهد : المصدر السابق ، ٥٥٣/٢ .
(٣) الفاسي : المصدر السابق ، ١١٧/١ ؛ المالكي : بلاد الحجاز ، ص ١٩٢ .

المكتبات الموجودة بمكة فى عهد أمراء الهواشم .

لقد كان بمكة فى عهد أمراء الهواشم مكتبتان تذخران بالكتب النفيسة التى يجلبها علماء البلدان الاسلامية معهم اثناء قدومهم الى مكة المكرمة ومن أهم المكتبات التى كانت موجودة بمكة فى تلك الفترة مكتبة الحرم المكى الشريف فقد كانت هذه المكتبة تضم العديد من الكتب المتخصصة فى شتى العلوم والمعارف ولكن هذه الكتب لم تحفظ فى غرف خاصة وانما كانت موضوعة فى دواليب فى دائر حائط الحرم المكى . وقد كانت هذه الدواليب مكشوفة وهذا ما اثر على الكتب الموجودة بها وخاصة حينما داهمها السيل الذى دخل المسجد الحرام سنة ٤١٧هـ/١٠٢٦م والذى أدى فى النهاية الى اتلاف جزء كبير من هذه الكتب .(١)

ولاشك أن تلك الحادثة قد جعلت العلماء يتنبهون لذلك فيما بعد ويحرصون على وضع الكتب والمراجع فى خزائن خاصة وذلك لحمايتها من أى طارىء قد يطرأ عليها ، ففى عام ٥٥٨هـ/١١٩٢م قام امام مقام المالكية بالمسجد الحرام الشيخ محمد ابن عبد الله بن الفتوح بن محمد المكناسى(٢) بانشاء خزانة للكتب الدينية الخاصة بالمذهب المالكى(٣) وكان من أهم الكتب التى أوقفها بتلك الخزانة كتاب المقرب لابن زمنين المالكى

---

(١) البتنونى : الرحلة الحجازية ، ص ٥٨ .
(٢) تولى مقام المالكية بالمسجد الحرام سنة ٥٥٨هـ/١١٩٢م توفى فى جمادى الاولى سنة ٥٩٢هـ/١١٩٥م . انظر : الفاسى : العقد الثمين ، ٢/٧٤-٧٥ .
(٣) الفاسى : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها .

وكان هذا الكتاب مكونا من ست مجلدات[١] ، أما عن مكان تلك الخزانة فقد حققه الرحالة ابن جبير فى رحلته حيث ذكر أنها كانت تقع داخل المسجد الحرام بالقرب من باب ابراهيم[٢] .

هذا وكانت بعض الأربطة الموجودة بمكة تضم العديد من الكتب والمراجع التى يحتاجها طلاب العلم والمعرفة فقد كان برباط ربيع مجموعة من الكتب النفيسة ومن بينها الكتب التى أوقفها السلطان الملك الأفضل نور الدين على بن صلاح الدين الأيوبى فى ذلك الرباط كمثل كتاب المُجمل فى اللغة لابن فارس وكتاب الاستيعاب لابن عبد البر[٣] .

وأصبح رباط ربيع فيما بعد من أحفل الأربطة التى كانت موجودة بمكة من ناحية الكتب[٤] ، وأصبح مرتادا لكثير من العلماء والطلاب الذين جاءوا اليه للاطلاع على مابه من كتب نادرة ونفيسة .

وكان للمثقفين من الحجاج شغف كبير بالبحث عن الذخائر ونوادر المؤلفات العلمية، كما أن بعض الحجاج وخاصة حجاج المغرب والأندلس قد نقلوا عن علمائهم فى الحرمين ودونوا ذلك فى مخطوطاتهم ، وقام البعض منهم بشراء العديد من المؤلفات فى الموضوعات المختلفة مثل كتاب أخبار مكة للمؤرخ محمد بن عبد الله الأزرقى[٥] .

---

(١) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٤٨٧/٢-٤٨٨ ؛ عبد الله الماجد : المكتبات فى جزيرة العرب ، ص ٨٩٤ .

(٢) ابن جبير : الرحلة ، ص ٨٣ .

(٣) ابن فهد : المصدر السابق نفسه ، ٥٦٤/٢ .

(٤) الماجد : المرجع السابق نفسه والصفحة نفسها .

(٥) محمد المنونى : الجزيرة العربية فى الجغرافيا والرحلات المغربية (ضمن أبحاث دراسات فى تاريخ الجزيرة العربية ، الجزء الثانى) ص ٣٠١ ؛ عبد الكريم كريم : بلاد الحجاز فى المخطوطات المغربية المدونة ، ص ٤١٣ .

مشاهير العلماء والمجاورين بمكة وأهم العلوم التى نبغوا فيها وأهم مؤلفاتهم العلمية .

لقد كانت العلوم الدينية هى العلوم التى يركز عليها العلماء والطلاب فى دراستهم وتدريسهم بمكة المكرمة فقد أقبل الطلاب على دراسة الحديث ، والتفسير ، والفقه ، وعلوم القرآن بالاضافة الى دراسة العلوم العربية كالنحو والأدب والبلاغة (١) .

وكان المحدثون يعتبرون أكبر العلماء شأنا وكانوا يعدون من أعظم رجال الاسلام (٢) .

والواقع أن كتب التراجم التى تتعرض للحقبة التاريخية التى نحن بصددها تؤكد لنا على أن هذا العصر كان حافلا بالشخصيات العلمية العظيمة فكان من بين العلماء الذين برعوا فى علم الحديث بمكة المكرمة ، فى عهد امارة الهواشم العالم الحسين بن على بن الحسين الطبرى (ت ٤٩٥هـ/١١٠١م) وكان هذا العالم المكى قد توجه الى العاصمة العباسية بغداد فأخذ العلم عن كبار شيوخها وعلمائها حيث تفقه على شيخ الشيوخ ببغداد فى تلك الفترة الامام أبو اسحاق الشيرازى (٣) ، ثم عاد الى مكة المكرمة ولازم بها التدريس أكثر من ثلاثين عاما ، وقد تخرج على يديه كثير من العلماء ،

---

(١) محمد عبد الرحمن الشامخ : التعليم فى مكة والمدينة آخر العهد العثمانى ، ط٣ ، الرياض ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ، ص ١١ .

(٢) آدم متز : الحضارة الاسلامية ، ص ٣٥٥ .

(٣) الجعدى : طبقات فقهاء اليمن ، ص ١٤٣ .

وكان من بين الكتب التي ألفها كتاب "العدة"[1] .

ولقد أقبل عليه طلاب العلم من شتى الأقطار وذلك للاستفادة من علمه والاستجازة منه ، وكان من بين العلماء الذين درسوا على يديه العالم غالب بن عبد الرحمن المحاربى الذى قدم الى مكة ليؤدى فريضة الحج وليلتقى بالعالم الحسين بن على الطبرى وقد تحقق له ما أراد حيث سمع منه صحيح مسلم وبعدما أتم الدراسة على يديه طلب منه أن يمنحه اجازة علمية يستطيع بها تدريس ذلك العلم الذى تلقاه منه فحينما رأى الطبرى بأن المحاربى جدير وقادر على تدريس ذلك العلم منحه اجازة علمية بذلك[2] ، كما قدم اليه من الأندلس عبد الله بن محمد الخشنى الذى تتلمذ على يديه وقرأ عليه صحيح مسلم[3] .

كما نبغ فى علم الحديث بمكة المكرمة أيضا العالم عيسى بن عبد بن أحمد الهروى (ت ٤٩٧هـ/١١٠٣م) الذى درس الحديث على أبيه وعلى عدد من العلماء حتى أصبح عالما ومتبحرا فى علم الحديث فوفد اليه كثير من علماء البلدان الاسلامية وذلك للسماع منه والأخذ عنه وكان ممن قدم اليه الأمير ميمون بن ياسين الصنهاجى ، وهو أحد أمراء المرابطين حيث درس على يديه صحيح البخارى مدة من الزمن ثم عاد الى بلاده[4] .

---

(١) الفاسى : العقد الثمين ، ٤/٢٠٠-٢٠١ .
وكتاب العدة موضوعه شرحا على كتاب الإبانة للفورانى وهو كتاب نادر الوجود . انظر الجعدى : طبقات فقهاء اليمن ، ص ١١٩ .

(٢) ابن بشكوال : كتاب الصلة ، ٢/٤٥٧-٤٥٨ .

(٣) شمس الدين محمد بن على الداودى : طبقات المفسرين ، ط١ ، بيروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، ١/٢٥٤ .

(٤) الفاسى : المصدر السابق ، ٦/٤٦١-٤٦٢ .

ومن العلماء الذين اشتهروا بعلم الحديث بمكة في تلك الفترة أيضا العالم عمر بن عبد المجيد القرشي المعروف بالميانشي (ت ٥٨٣هـ/١١٨٧م) وكان هذا العالم قد رحل الى عدد من البلدان الاسلامية والتقى بكثير من علمائها حتى أصبح من العلماء المحدثين الثقاة وانتشر صيته بين علماء الأقطار الاسلامية وذلك مما جعل عددا كثيرا من طلاب العلم والمعرفة يفدون اليه بمكة المكرمة لدراسة الحديث على يديه (١) ، وكان لهذا العالم مؤلفات عديدة قد استفاد منها الطلاب المهتمون بدراسة ذلك العلم ومن هذه المؤلفات :

"المجالس المكية في الأحاديث النبوية" ، وكتاب "ايضاح مالايسع المحدث جهله" ، وكتاب "الروضة في الرقائق" (٢) .

كما اشتهر بمكة في تلك الفترة المحدث محمد بن اسماعيل اليمني المعروف بابن أبي الصيف (ت٦٠٧هـ/١٢١٠م) وكان هذا العالم قد قدم الى مكة والتقى بكثير من علمائها وجمع العلم منهم حتى أصبح فيما بعد من كبار علماء الحديث المشهورين بمكة المكرمة (٣) ، وأصبح من أشهر العلماء الذين كان يفد اليهم طلاب العلم والمعرفة من شتى الأقطار الاسلامية ليتلقوا العلم على أيديهم (٤) .

كما اشتهر بمكة المكرمة في تلك الفترة كثير من العلماء الذين نبغوا في علم الفقه وذلك مما جعل الكثير من

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ٣٣٤/٦-٣٣٥ .
(٢) الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر ، ٨٣/٣ ؛ السبتي : مستفاد الرحلة والاغتراب ، ص ٣٩٢ .
(٣) الفاسي : المصدر السابق ، ٤١٥/١ .
(٤) ابن الأبار : تكملة الصلة ، ٥٨٥/٢ .

الفقهاء والمهتمين بدراسة العلوم الفقهية يفدون الى مكة للدراسة على أيديهم ، ومن أشهر علماء الفقه بمكة فى تلك الفترة الفقيه عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجوينى النيسابورى (ت ٤٧٨هـ/١٠٨٥م) الذى قدم الى مكة وجاور بها أربع سنين قضى جزءا منها بالمدينة المنورة . وكان طوال اقامته بمكة يُدرِّس فقه الامام الشافعى ويؤم الناس بالصلاة لذلك وصف بامام الحرمين (١) ، ولقد استفاد منه الفقهاء الموجودون بمكة المكرمة استفادة عظيمة ، ودرس على يديه كثير من الطلاب المقيمين بمكة والوافدين اليها ، وكانت له عدة مؤلفات من أهمها كتاب "نهاية المطلب فى دراية المذهب" (٢) كما اشتهر بمكة فقهاء آخرون منهم أبو نصر محمد بن هبة الله البندنيجى (ت ٤٩٥هـ/١١٠١م) وهو أحد العلماء الذين قدموا الى مكة وجاور بها أربعين عاما وكان هذا العالم متخصصا فى علم الفقه لذلك أطلق عليه بمكة لقب فقيه الحرم وقد ألف كتابا فى الفقه أسماه "المعتمد فى الفقه" (٣) .

ومن بين العلوم التى نبغ بها العلماء بمكة المكرمة أيضا علم القراءات فقد كان القراء فى البلدان الاسلامية يرحلون الى مكة للقراءة على شيوخها والحصول على الاجازات العلمية منهم (٤) ، وكان ممن اشتهر بمكة فى ذلك العلم المقرىء عبد الكريم بن عبد الصمد بن محمد المعروف بأبى معشر

---

(١) الفاسى : المصدر السابق ، ٥٠٧/٥ ؛ المالكى : بلاد الحجاز ، ص ٢٠٤ .
(٢) أبو الفدا : المختصر ، ١٩٦/٢ .
(٣) الاسنوى : طبقات الشافعية ، ٢٠٤/١ .
(٤) ابن بشكوال : كتاب الصلة ، ٣٨٠/٢ ؛ الفاسى : العقد الثمين ، ٨١/٤-٨٢ .

الطبرى (ت ٤٧٨هـ/١٠٨٥م) وهو مقرىء مكة المكرمة وشيخ القراء بها ، وكان قد رحل الى كثير من البلدان الاسلامية للقراءة على شيوخها حيث قرأ بحران (١) على الشريف أبى القاسم الزيدى وبمصر على أبى العباس بن نفيس ، واسماعيل بن راشد الحداد ، وقرأ أيضا على الحسين بن محمد الأصبهانى ، وأبى الفضل الرازى ، وطائفة أسند عنهم فى تآليفه التى ألفها فى هذا العلم (٢) وكان من بين مؤلفاته التى ألفها كتاب "التلخيص" وكتاب "سوق العروس فى القراءات المشهورة والغريبة" وكتاب "الرشاد فى شرح القراءات الشاذة" وكتاب "طبقات القراء" (٣) وقد قرأ على هذا المقرىء كثير من العلماء الذين قدموا الى مكة ومن بينهم العالم أحمد بن شعبان الكلبى الذى لقب بالبكى وذلك بسبب طول اقامته بمكة وكان طوال اقامته بها يقرأ القرآن على أبى معشر الطبرى ومن ثم غادر ذلك المقرىء مكة متوجها الى أشبيلية فتصدر بها للاقراء حيث قرأ عليه هناك كثير من العلماء (٤) ، كما قدم على المقرىء أبى معشر الطبرى بمكة العالم عبد الله بن عمر بن على القيروانى ، المعروف بابن العرجاء ، حيث قرأ عليه القرآن بروايات

---

(١) حران : هى مدينة عظيمة بينها وبين الرها مسيرة يوم وهى تقع على طريق الموصل والشام فتحت فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه كما يطلق اسم حران أيضا على قرية من قرى حلب بالشام ، ويطلق أيضا على قرية بغوطة دمشق . انظر :
الحموى : معجم البلدان ، ٢٣٥/٢-٢٣٦ .

(٢) الحافظ الذهبى : العبر فى خبر من غبر ، ٣٣٩/٢ ؛ الفاسى : المصدر السابق ، ٤٧٥/٥ .

(٣) السبكى : طبقات الشافعية الكبرى ، ١٥٢/٥-١٥٣ ؛ الداوودى : طبقات المفسرين ، ٣٣٨/١-٣٣٩ .

(٤) ابن الأبار : تكملة الصلة ، ٥١/١ .

عديدة .[1]

كما أن علم التفسير كان عليه اقبال كثير من علماء مكة والمجاورين بها حيث نبغ في هذا العلم عدد كثير من العلماء كأبي معشر الطبري الذي كانت له مؤلفات عديدة في ذلك العلم ومن بينها كتاب "الدرر في التفسير" وكتاب "عيون المسائل" وكتاب "العدد"[2] ، وكان من علماء التفسير بمكة أيضا محمود بن عمر الخوارزمي المعروف بالزمخشري (ت ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م) وكان هذا العالم قد جاور بمكة مدة طويلة من الزمن قضاها في التدريس حيث نصب نفسه لتدريس كتابه الذي ألفه في التفسير وهو كتاب "الكشاف في تفسير القرآن العظيم" ، ولم يكن ذلك الكتاب هو الكتاب الوحيد الذي ألفه بل كانت له مؤلفات عديدة في شتى العلوم والمعارف[3] ، وخاصة في علم اللغة والأدب ذلك العلم الذي وجد اقبالا عليه من طلاب العلم بمكة حيث برع فيه عدد كثير من علماء مكة والعلماء القادمين اليها ، وقد ألف الزمخشري عدة مؤلفات في ذلك الجانب مثل كتاب "أساس البلاغة في اللغة" وكتاب "المفصل في اللغة" وكتاب "المفرد والمؤلف في النحو" وكتاب "شرح أبيات سيبويه" وكتاب "المستقصى في أمثال العرب" وكتاب "مقدمة الأدب" وكتاب "ديوان الرسائل" وكتاب "ديوان الشعر"[4] ، وكان الزمخشري قد استزاد في ذلك العلم على يد أحد علماء مكة الذين برعوا في ذلك الجانب من العلم وهو العالم عبد الله

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ٥/٢١٧-٢١٨ .
(٢) الداوودي : المصدر السابق والصفحة .
(٣) الفاسي : المصدر السابق ، ٧/١٣٧،١٣٨،١٣٩،١٤٠ .
(٤) نفس المصدر والصفحة .

ابن طلحة اليابري حيث قرأ عليه جميع المؤلفات التى الفها ذلك العالم كمثل "كتاب سيبويه" وكتاب "شرح رسالة ابن زيدون" [1] .

وكانت علوم اللغة العربية والآداب تدرس بالمسجد الحرام وفى الكتاتيب ايضا [2] .

كما كان لعلم التاريخ نصيب وافر فى الدراسة بمكة المكرمة فى تلك الفترة فقد قدم اليها بعض المؤرخين لاداء فريضة الحج فكان لهؤلاء المؤرخين دور كبير فى النهوض بدراسة ذلك الجانب حيث درس عليهم بعض علماء مكة المتخصصين فى الدراسات التاريخية ، فقد ذكرت المصادر أن الامام رزين ابن معاوية بن عمار الاندلسي (ت ٥٢٥هـ/١١٣٠م) قد جاور بمكة واثناء مجاورته بها عكف عليه عدد من الطلاب المهتمين بدراسة التاريخ للاستماع منه ، وقد الف هذا العالم كتابا فى أخبار المدينة المنورة ، وكتابا آخر فى تاريخ مكة المكرمة [3] وقد ذكر مؤرخ مكة تقي الدين الفاسي أنه قد اطلع على ذلك الكتاب وانه ملخص لكتاب تاريخ الأزرقي [4] .

كما قدم الى مكة المؤرخ ابن عساكر صاحب كتاب تاريخ دمشق حيث درس اثناء اقامته بها على أيدي علمائها ، والف كتابا أسماه فضائل مكة والمدينة وبيت المقدس [5] .

---

(١) الداوودي : طبقات المفسرين ، ٢٣٨/١-٢٣٩ .
(٢) المالكي : بلاد الحجاز ، ص ٢٢٤-٢٢٥ .
(٣) السخاوي : التحفة اللطيفة ، ٦٢/٢-٦٣ .
(٤) الفاسي : العقد الثمين ، ٣٩٨/٤-٣٩٩ .
(٥) ابن الجوزي : مرآة الزمان ، قسم١ ، ٣٣٦/٨ .

المرأة بمكة ودورها في الحركة العلمية .

لقد أسهمت المرأة بمكة في تلك الحركة العلمية التي اشتهرت بها مكة المكرمة في عهد امارة الهواشم ، ولكن اسهامها كان محدودا ، وعلى الرغم من ذلك كان مؤشرا في كثير من الأحيان ، ولاسيما في الدين كالحديث والسنة وربما يكون ذلك راجعا الى أن طلب العلم في تلك الفترة كان يتطلب الكثير من المشاق والمصاعب كالرحلات العلمية وغيرها مما لم يكن للنساء مقدرة كافية للقيام به (١) ، الا ان المرأة في مكة كانت قد أقبلت بكل طموح على دراسة العلوم الدينية وذلك لكي تتعرف على تعاليم دينها الاسلامي ولتنعم برواية الأحاديث النبوية لذلك أقبل النساء بمكة على رواية الحديث اقبالا عظيما (٢) .

ولقد برزت بعض أسماء النساء اللاتي لهن دور كبير في طلب العلم وكن معلمات من الدرجة الأولى وكان أكابر العلماء في البلدان الاسلامية يلجأون اليهن في كثير من الأمور الدينية (٣) ، وكان من أبرز النساء بمكة العالمة كريمة بنت أحمد المروزية (ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م) وقد اشتهرت هذه العالمة بدراسة الأحاديث (٤) اذ انها قد اتصفت بالضبط والفهم والنباهة وكانت تروي بمكة صحيح البخاري واليها انتهى علم الاسناد

---

(١) أحمد شلبي : تاريخ التربية الاسلامية ، ص ٢٨٢ ؛ لطيفة محمد البسام : الحركة العلمية في الحجاز ، ص ١٣٥ .
(٢) أحمد شلبي : المرجع السابق ، ص ٢٨٧ .
(٣) لطيفة البسام : نفس المرجع السابق والصفحة .
(٤) اليافعي : مرآة الجنان ، ٨٩/٣ .

للمحيح (١) ، وهذا ماجعل كثيرا من علماء الحديث يعتمدون عليها ويتلقون العلم على يديها حيث قرأ عليها كثير من الائمة والعلماء الذين قدموا اليها من شتى الأقطار الاسلامية كالخطيب ، وابن المطلب ، والسمعاني ، وأبي طالب الزينبي (٢) .

كما اشتهرت بمكة في تلك الفترة العالمة شمس الضحى بنت محمد بن عبد الجليل بن الساوى (٥٨٣هـ/١١٨٧م) التى قدمت الى مكة للمجاورة بها وقد اتصفت هذه العالمة بالزهد والتعبد وبرعت في علم الحديث ونبغت به ، ودرس على يديها جماعة من المهتمين بدراسة الحديث (٣) .

وفي الختام يمكن القول انه كان لعلاقات مكة الخارجية في عهد أمراء الهواشم أثر كبير على الحياة العلمية والثقافية بمكة المكرمة ، فالملاحظ أن أكثر العلماء والمجاورين الذين قدموا الى مكة كانوا من المصريين وخاصة في عهد الخلافة الفاطمية والسبب في ذلك يعود الى أن مكة في عهد الهواشم كانت مرتبطة ارتباطا وثيقا بحكومة القاهرة وكان أمراؤها على علاقة طيبة بالخلفاء الفاطميين (٤) وكما ذكرنا سابقا أن علاقة أمراء الهواشم بالخلافتين العباسية والفاطمية كان يشوبها نوع من التذبذب ، فتارة كانوا يخطبون للخليفة الفاطمي وتارة للخليفة العباسي فحينما تقام الخطبة لأى من الخليفتين فان ذلك التصرف يغضب الخليفة

---

(١) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ١١١/٨ ، أبو الفداء المختصر في أخبار البشر ، ١٨٨/٢ .
(٢) ابن الجوزى : المنتظم ، ٢٧٠/٨ .
(٣) الفاسى : العقد الثمين ، ٢٥٦/٨ .
(٤) المالكى : بلاد الحجاز ، ص ٢٠٧ .

الآخر فيجعله يأمر بايقاف المعونات والصدقات التي كانت ترسل الى أمراء مكة وعلمائها وفقرائها (١) .

ولاشك أن ذلك الحصار الذي كان يتخذه كل من الخليفتين ضد امارة مكة أثر تأثيرا بالغا على جميع النواحي العامة بمكة بما فيها الناحية العلمية والثقافية حيث تقل المؤن والغلال بمكة فترتفع أسعار السلع الموجودة في أسواقها فيعيش أهالي مكة والعلماء الموجودون بها في حالة يرثى لها وذلك بسبب قلة العيش ، ومن البدهي أن تلك الظروف السيئة ، الناتجة عن العلاقات السياسية ، تجعل الكثير من الحجاج والتجار والعلماء يصرفون أنظارهم عن القدوم الى مكة (٢) . كما تؤدي أيضا الى هجرة الكثير من أهالي مكة بما فيهم العلماء وطلاب العلم الى البلدان الاسلامية المجاورة لها (٣) ، وذلك مما يؤدي بدوره الى ضعف الحركة العلمية الموجودة بمكة المكرمة كما أن حسن علاقة أمراء الهواشم بالدول الخارجية كان له دور كبير في ارتقاء الحياة العلمية بمكة فحينما تتحسن علاقة هؤلاء الأمراء بأي من الخلافتين تأتي قوافل الحج المجهزة بكامل التجهيزات الى مكة ، فقد كانت الخلافتان العباسية والفاطمية تصرفان الأموال الكثيرة على تجهيز ركب الحج المتوجه الى مكة (٤) وذلك مما شجع الكثير من علماء مصر والعراق وبلاد المشرق ، غير القادرين على تكاليف السفر ،

---

(١) المقريزي : اتعاظ الحنفاء ، ٨٠/٣ ؛ الفاسي : شفاء الغرام ، ٣٦١/٢ ؛ السيوطي : حسن المحاضرة ، ٢٠/٢ .
(٢) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٤٨٧/٢ .
(٣) خسرو : سفر نامه ، ص ١٢٣ .
(٤) المقريزي : المصدر السابق ، ٢٠٣/٢-٢٠٤ ؛ الزيلعي : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ٨٧ .

على أن يسيروا مع تلك القوافل المتجهة الى مكة لأداء شعيرة الحج والالتقاء بعلمائها والتدريس لطلابها[(١)] .

وكانت تلك القوافل المصرية أو العراقية تتوقف عن القدوم الى مكة فى بعض الفترات وخاصة فى الوقت الذى تسوء فيه علاقة أمراء الهواشم بأى من الخلافتين العباسية أو الفاطمية[(٢)] ، وبذلك يتوقف قدوم العلماء الى مكة المكرمة فى تلك الفترة وذلك مما يؤثر بالطبع على الحركة العلمية الموجودة بها .

والحقيقة التى يجب اظهارها هى أن الخلافة الفاطمية قد بات اهتمامها وحرصها واضحا على توفير سبل الراحة للعلماء المقيمين بمكة[(٣)] وتأمين جميع احتياجاتهم ومتطلباتهم العلمية فقد أصدر الوزير الفاطمى الصالح طلائع بن رزيك أوامره بأن ترسل الى مكة المكرمة ألواح المبيان التى يكتبون فيها والأقلام والحبر وجميع المتطلبات العلمية[(٤)] .

ولقد تكفل الفاطميون طوال فترة علاقاتهم بأمراء مكة بارسال جميع احتياجات هؤلاء الأمراء وسكان مكة وعلمائها ، من الأموال والغذاء والكساء ، فواظب الفاطميون على ارسال كل ذلك الا فى بعض الفترات التى كانت تعانى فيها بلادهم من الأزمات الاقتصادية الحادة التى أجبرتهم على ايقاف جميع المعونات[(٥)] التى كانوا يرسلونها الى أمراء مكة وعلمائها .

---

(١) ابن الأبار : تكملة الصلة ، ١/١٦٧-١٦٨ ؛ حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٥٢٠ .
(٢) ابن خلدون : العبر ، ١٠٣/٤ .
(٣) المقريزى : اتعاظ الحنفاء ، ٨٠/٣ .
(٤) المناوى : الوزارة والوزراء ، ص ٢١٣ .
(٥) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٤٧٢/٢ .

فبالتالى يضطر أمراء مكة الى الاستنجاد بقوى أخرى كالدولة الصليحية فى اليمن أو الخلافة العباسية ببغداد وذلك ليعوضوا نقص الأعطيات الواردة اليهم من مصر . والحقيقة أن الخلافة العباسية لم تقصر هى الأخرى فى امداد أمراء مكة وأهلها وعلمائها بجميع احتياجاتهم فقد واظبت على ارسال تلك المعونات الا فى بعض الفترات التى رأت فيها أن أمراء مكة قد صرفوا ولاءهم عنها الى الخلافة الفاطمية بمصر فيضطرون بذلك الى ايقاف تلك المعونات عن مكة . ولما سقطت الخلافة الفاطمية ، وانتهى التذبذب الذى كان يشوب علاقة مكة بالخلافتين، واصلت كل من الدولتين العباسية والأيوبية ارسال أعطياتها الى أمراء مكة وعلمائها كل عام (١) . وكان لحسن علاقة أمراء الهواشم بالدولة الأيوبية دور كبير فى النهوض بالحركة العلمية بمكة ، وقد ذكرت سابقا أن مكة ابان السيادة الأيوبية عليها قد شهدت أمنا لم تشهده من قبل (٢) وذلك مما شجع الكثير من الحجاج والعلماء على القدوم اليها فى تلك الفترة (٣) . وذلك مما يؤدى بالطبع الى ازدهار الحياة العلمية بمكة لأن العلماء قد توافدوا الى مكة ونعموا بأمنها واستقرارها فلم تعد تشغلهم تلك الاضطرابات التى كانوا يعيشونها ابان فترة التنافس بين الخلافتين العباسية والفاطمية على الخطبة بمكة .

---

(١) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، قسم ٢ ، ٥١٣/٨ ؛ السيوطى : حسن المحاضرة ، ٢٠/٢ .
(٢) راجع الفصل الثالث ص٣٧ .
(٣) ابن جبير : الرحلة ، ص ١٠٠ .

وكان السلطان صلاح الدين الأيوبي يرسل الأموال والنفقات والمؤن والغلال الى أمراء مكة وفقرائها وعلمائها كل عام .[(١)]
كما أن الأمير الأيوبي الأفضل نور الدين علي بن صلاح الدين قد أسهم أيضا في النهوض بالحركة العلمية بمكة فقد قام ببناء رباط ربيع وذلك ليكون مأوى للعلماء والفقراء الذين لامأوى لهم بمكة المكرمة ولم يكتف بذلك بل انه أمر بأن توضع في مكتبة ذلك الرباط[(٢)] مجموعة من الكتب القيمة والنفيسة ليطلع عليها العلماء الذين لايجدون سعة لشراء الكتب التي توسع آفاق معرفتهم ، كما أنه أسس تلك المكتبة لتعم الفائدة لجميع طلاب العلم والعلماء الموجودين بمكة المكرمة ، فكانت لهذه الأربطة التي أسهم في بنائها الأيوبيون والعباسيون وبعض تجار الدول الاسلامية دور كبير في جذب العلماء وطلاب العلم الى مكة لأن هذه الأربطة كانت توفر جميع سبل الراحة لطلاب العلم وللحجاج المقيمين فيها اثناء موسم الحج ، من مسكن ومأكل ومشرب[(٣)] ، فكان ذلك حافزا لهؤلاء العلماء على القدوم الى مكة طالما أنهم قد وجدوا بها الأربطة التي يعيشون فيها والمدارس التي يدرّسون فيها علومهم ومعارفهم[(٤)] ، ولم يقف دور الخلفاء والأمراء والسلاطين عند بناء الأربطة فقط وانما قاموا بتعيين المدرسين الأكفاء للتدريس بتلك الأربطة والمدارس التي أنشأوها بمكة ، كما أنهم قاموا أيضا بارسال

---

(١) المقدسي : الروضتين في أخبار الدولتين ، ٣/٢ .
(٢) الفاسي : شفاء الغرام ، ٥٣٤/١ ؛ ابن فهد : اتحاف الورى ، ٥٦٤/٢ ؛ راجع ص٣٢٧ من هذا البحث .
(٣) باقاسي : بلاد الحجاز في العصر الأيوبي ، ص ٩٠ .
(٤) المالكي : بلاد الحجاز ، ص ٢٠٨ .

الأموال والمدقات للعلماء وطلاب العلم والمدرسين والقضاة والخطباء الموجودين بمكة المكرمة [(١)] .

فكان لذلك الاهتمام وتلك العناية التي قام بها حكام وأمراء الدول الاسلامية دور كبير في النهوض بالحركة العلمية بمكة المكرمة في عهد أمراء الهواشم .

---

(١) السبكي : طبقات الشافعية ، ٢٢٤/٥ ؛ السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٢٢٢ .

الخاتمة

لقد تتبعنا فى هذا البحث علاقات مكة المكرمة الخارجية فى عهد أسرة الهواشم من سنة ٤٥٦هـ الى سنة ٥٩٧هـ وهذه الحقبة التاريخية الطويلة كفيلة باعطاء القارىء صورة شاملة عن الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية بمكة طوال عهد امارة الهواشم تلك الامارة التى حكمت مكة فترة تقدر بمائة واحدى وأربعين عاما ، وقد تولت حكم مكة بعد انقراض الدولة الموسوية التى كانت قد تميزت بولائها التام للخلافة الفاطمية فى أغلب فتراتها الأمر الذى شجع الحكومة الفاطمية على التدخل فى شؤون مكة الداخلية وهذا مالايريده أشراف مكة ، وقد أدى ذلك التدخل الى ظهور تلك الثورة العلوية الكبيرة التى قام بها أمير مكة أبو الفتوح الموسوى سنة ٤٠١هـ/١٠١٠م وقد وصلت أصداء هذه الثورة الى بلاد الشام ، ولولا قلة خبرة أبى الفتوح بمثل تلك الحركات السياسية ، ومسارعة وعزم الخلافة الفاطمية على القضاء على تلك الثورة لكتب لها النجاح ولغيرت مجرى الأحداث السياسية بمكة ، وحينما فشل أبو الفتوح فى تلك الحركة صمم على عدم مجابهة الفاطميين وعدم معارضتهم مرة أخرى لذلك أعادوه الى الامارة من جديد ، ومما يلفت الانتباه أن امارة مكة بعد فشل تلك الحركة اصبحت موالية ومخلصة للخلافة الفاطمية أكثر من ذى قبل واستمرت على ولائها التام حتى وفاة الأمير شكر بن أبى الفتوح الذى يعد آخر أمراء الموسويين فانقرضت تلك الأسرة ، وأصبحت امارة مكة شاغرة

بدون أمير فانتهز أحد المقربين لدى الأمير شكر تلك الفرصة العظيمة واستطاع أن ينصب نفسه أميرا على مكة ، الا أن هناك فئة من الأشراف أبت أن يتولى امارة مكة أحد من غير أشرافها فوقفت موقف المعارض أمام ذلك الأمير واستطاعت أن تنتزع امارة مكة من يده ، وهذه الفئة هى أسرة بنى أبى الطيب أو السليمانيون . والحقيقة أن تلك الأسرة لم تكن موفقة فى امارتها على مكة فقد عمت فى عهدهم الفوضى والاضطرابات أنحاء البلاد وتعرض السكان والتجار للسلب والنهب ، وعانى أمراء بنى ابى الطيب من قلة الموارد المالية فاضطروا الى نهب مافى الكعبة من ذهب وفضة ونحوها ، ومن خلال تتبعنا لتاريخ تلك الأسرة اتضح لنا أنها كانت ترفض وتأنف الموالاة لأى من الخلافتين العباسية أو الفاطمية ، وعاشت مكة فى عهدهم فى عزلة سياسية تامة ، ولكن الخلافة الفاطمية التى كان جل اهتمامها مركزا على فرض سيادتها ونفوذها على مكة قد رفضت سياسة بنى أبى الطيب فعقدت العزم على مواجهة تلك الأسرة واقصائها عن الامارة فكلفت داعيها فى بلاد اليمن الأمير على بن محمد المليحى ، الذى كان هو الآخر متحمسا لوضع مكة تحت اشرافه وسيطرته المباشرة ، بأن يتوجه الى مكة ويقصى بنى أبى الطيب عن الامارة ، ويقيم بدلا منها أسرة تدين بالولاء للفاطميين ، وجريا على عادة ذلك الداعية الفاطمى فى سرعة تنفيذ الأوامر الفاطمية دخل مكة سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٢م ، واستطاع أن يستولى على الامارة وأن يقيم الخطبة على منابر المسجد الحرام للخلافة الفاطمية . والحقيقة أن أهالى مكة قد عاشوا فى تلك الفترة حياة هادئة

ومستقرة وذلك بفضل جهود الصليحى وحرصه على توفير الأمن والاستقرار لأهالى مكة والحجاج القادمين اليها ، ثم قام الصليحى قبيل مغادرته الأراضى المكية بتعيين الأمير محمد بن جعفر بن أبى هاشم على امارة مكة واشترط عليه أن يقيم الخطبة على منابر مساجد مكة والمشاعر المقدسة للخلافة الفاطمية ، ومنذ تلك الفترة كانت امارة مكة بيد الهواشم الأشراف الذين كانت علاقتهم بالخلافتين العباسية والفاطمية قد اتسمت بالتذبذب وعدم الاستقرار .

ولقد خرجت من دراستى لموضوع العلاقات بعدة نتائج منها :

(١) أن قيام الدولة الموسوية التى سبقت قيام دولة الهواشم ماهى الا امتداد للثورات والحركات العلوية التى قامت بمكة ، والتى كانت مناوئة للخلافة العباسية ولكن تلك الحركة العلوية الجديدة قد تميزت عن الحركات السابقة بحسن سياستها ، فقد أعلنت فور استيلائها على الامارة ولاءها التام للخلافة الفاطمية بمصر وهى بذلك تريد من الحكومة الفاطمية أن تكون سندا قويا لها يمكن الارتكاز عليه فى حالة أى هجوم عباسى على مكة .

(٢) لقد جاء قيام الامارة الموسوية بمكة متزامنا مع قيام الخلافة الفاطمية بمصر فكأن الموسويين أرادوا أن يستغلوا فرصة اضطراب الأوضاع السياسية وانشغال الخلافة العباسية بخروج مصر من سلطتها . فاستولوا على مكة وتولوا امارتها .

(٣) لقد استخدم الفاطميون أسلوب القوة والشدة مع بعض الأمراء الموسويين الذين خرجوا عن طاعتهم اذ أرسلوا الى مكة عدة جيوش عسكرية فاستطاعت تلك الجيوش أن ترغم هؤلاء الأمراء على قبول السيادة الفاطمية على مكة بالقوة .

(٤) كانت حركة أبى الفتوح قد شكلت خطرا كبيرا على الخلافة الفاطمية وقد أدرك الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله خطورة تلك الحركة فاستخدم كل ماأوتى من قوة فى سبيل التخلص من تلك الحركة المكية .

(٥) ان أسرة الهواشم قد وصلت الى الامارة بجهود فاطمية بحتة ، ذلك أن الأمير المليحى داعية الفاطميين قد ولى الأمير محمد بن جعفر امارة مكة وأمده بكل مايحتاجه من مال ورجال وسلاح وغير ذلك من متطلبات الامارة وأصبح له عونا وسندا أمام القوى المعارضة له والمتمثلة فى أشراف بنى أبى الطيب .

(٦) ان الدعوة والخطبة لبنى العباس بمكة قد انقطعت عنهم فترة طويلة من الزمن وذلك فى أواخر عهد الامارة الموسوية،ولكن تلك الخطبة التى طالما حلموا باقامتها قد عادت لهم منذ عهد الأمير محمد بن جعفر . ومنذ تلك الفترة أصبحت الخطبة غير مستقرة فتارة تقام للعباسيين وتارة أخرى للفاطميين .

(٧) كانت منطقة حلى بن يعقوب الواقعة جنوب مكة المكرمة منطقة نزاع وصراع بين أشراف مكة وبين حكام اليمن

وكانت سببا في تدهور العلاقات بين الطرفين في بعض الفترات .

(٨) ان النزاع والتنافس القائم بين الخلافتين العباسية والفاطمية كان يدور حول الخطبة المقامة على منبر المسجد الحرام حيث كان كل خليفة يحرص على أن يذكر اسمه في الخطبة وذلك ليضفي على خلافته الشرعية المطلقة وليحصل على اجلال وتقدير الشعوب الاسلامية له .

(٩) كان الفاطميون والعباسيون يتسابقون ويتنافسون على الخطبة بمكة ، وكان أمراء الهواشم هم الطرف الثالث في ذلك النزاع وتلك المنافسة والحقيقة أن هؤلاء الأمراء هم المستفيدون من ذلك التنافس الذى وجدوه فرصة لتحقيق مآربهم المادية ، وقد أدركت كل من الخلافتين رغبة ومطامع أمراء مكة فقاموا باغرائهم بالأموال والصلات والهدايا ، وكان هؤلاء الأمراء يقيمون الخطبة لمن يدفع لهم أموالا تزيد عما يدفعه الآخرون .

(١٠) كان الخلفاء والوزراء الفاطميون يعتمدون على الأمراء المليحيين في تثبيت سيادتهم ونفوذهم على مكة المكرمة وقد ظهر اخلاص هؤلاء المليحيين وحرصهم على أن تظل الخطبة بمكة مقامة للفاطميين وحدهم .

(١١) لقد عمد الخلفاء الفاطميون الى استخدام سلاح حاد ومرير ضد أمراء الهواشم وذلك ليقيموا لهم الخطبة على منابر مكة ، وقد تمثل هذا الاجراء الفاطمي في ايقاف جميع المعونات والعائدات السنوية المقررة لأهالي مكة وأمرائها كما تمثل في منع السفر والتوجه الى مكة لأى

غرض كان تجاريا أو دينيا ، ولقد اتسم هذا الأسلوب بالحدة نظرا لما يسببه من أضرار اقتصادية على البلد المقدس ، لأنه كما هو معروف ان أهالى مكة المكرمة كانوا يعتمدون اعتمادا كبيرا فى مواردهم المالية على المعونات الخارجية وعلى عائدات الحجاج والتجار القادمين الى بلادهم. والحقيقة ان ذلك الأسلوب قد أثبت جدواه لأن أمراء مكة كانوا يضطرون فى كثير من الأحيان الى قبول السيادة الفاطمية وذلك تفاديا لحدوث أى أضرار اقتصادية تحل ببلادهم .

(١٢) كما أن الفاطميين كانوا يتخذون من أمراء بنى أبى الطيب المنافسين التقليديين لأمراء الهواشم وسيلة لتهديد هؤلاء الهواشم فى حالة اقامتهم الخطبة للعباسيين اذ كانوا يرسلون لهم الخطابات الى تحمل فى طياتها التهديد باعادة بنى أبى الطيب الى الامارة من جديد .

(١٣) لقد أدرك الأمير على بن محمد المليحى مدى الخطورة الشديدة التى تكمن فى منع حجاج اليمن وخاصة قبائل السرو اليمنية وتتمثل تلك الخطورة فى زعزعة الناحية الاقتصادية بمكة فاتخذ ذلك الاجراء وسيلة لتحقيق مآربه فى تثبيت السيادة الفاطمية على مكة .

(١٤) على الرغم من أن أمراء الهواشم قد حصلوا على أموال ونفقات عظيمة من قبل الخلافتين العباسية والفاطمية الا أنهم لم يوظفوا تلك الأموال فى تنظيم الأمور الادارية والاقتصادية بمكة المكرمة ولم يوظفوها أيضا فى توفير

الأمن والاستقرار لأهالى مكة ولضيوف بيت الله الحرام .

(١٥) كان أمراء الهواشم يعتمدون فى مواردهم المالية على النفقات والهبات التى كانت تصلهم من الدول الاسلامية ، كما أنهم كانوا يعتمدون أيضا على المكوس والضرائب المفروضة على الحجاج والتجار القادمين الى مكة .

(١٦) لقد أدت الخلافات والحروب الدائرة بين أمراء الهواشم الى اضطراب الأوضاع الداخلية بمكة المكرمة وكانت تلك الخلافات سببا فيما بعد أدى الى سقوط امارتهم .

(١٧) كان للظروف السيئة التى عانت منها الخلافة الفاطمية فى أواخر عهدها المتمثلة فى كثرة الوزراء وتنافسهم على الوزارة ، وصغر سن الخلفاء الفاطميين فى تلك الفترة أكبر الأثر فى انشغال الخلافة الفاطمية عن توطيد سيادتها على مكة ؛ ومما لاشك فيه أن تلك الظروف قد جاءت لصالح العباسيين الذين كانوا يتحينون مثل تلك الفرص لفرض سيادتهم ونفوذهم على مكة المكرمة .

(١٨) ان سقوط الخلافة الفاطمية وقيام الدولة الأيوبية مكانها أدى الى انهاء سلسلة من الصراع والنزاع الذى كان قائما بين الخلافتين العباسية والفاطمية لفترة طويلة من الزمن ، كما أن سقوط الخلافة الفاطمية غير مجرى الأحداث والعلاقات الخارجية لمكة وأصبحت امارة الهواشم مخيرة بين أمرين اما أن تقيم الخطبة على منابر مكة للخليفة العباسى وللسلطان الأيوبى ؛ واما أن تتعرض امارتهم للزوال وهذا ما اشترطه السلطان صلاح الدين الأيوبى على الهواشم فور ضمه لمكة المكرمة .

(١٩) يلاحظ أنه بعد سقوط الخلافة الفاطمية وقيام الدولة الأيوبية خضعت مكة للتدخل المباشر من قبل العباسيين الذين بدأوا يتدخلون فى الشؤون الداخلية حيث أصبحوا يعزلون من لايريدونه ويولون من يرون أنه يخدم مصالحهم ويحقق أهدافهم حتى ولو لم يكن من أسرة الهواشم نفسها.

(٢٠) على الرغم من أن سقوط الخلافة الفاطمية كان خسارة لأمراء الهواشم الا أنه كان مكسبا لأهالى مكة وللحجاج القادمين اليها لأنهم قد تخلصوا من تلك العواقب الوخيمة والسيئة التى كانت تنتج من جراء التنافس بين الخلافتين العباسية والفاطمية؛ فنعم هؤلاء بالأمن والاستقرار الذى شهدوه ابان السيادة الأيوبية على مكة فقد أمن السلطان صلاح الدين الايوبى الحجاج والتجار من الاعتداءات التى عادة ماكان يشنها عليهم العبيد وقطاع الطرق . كما أن هؤلاء قد تخلصوا أيضا من ذلك الظلم الذى عانوا منه طوال عهد الهواشم ، الظلم المتمثل فى فرض المكوس والضرائب ، كما أن السلاطين الأيوبيين كانوا يهبون لنجدة مكة من الضائقات المالية والأزمات الاقتصادية التى تلم بها فأغدق هؤلاء الأيوبيون على أهالى مكة الصدقات وأرسلوا اليهم المؤن والحبوب وأوقفوا على مكة الأوقاف الكثيرة بمصر واليمن .

(٢١) لقد بات أثر علاقات مكة الخارجية واضحا على النواحى العامة بها فعلى الرغم من أن موقعها التجارى ومكانتها الدينية كانا عاملين من عوامل ازدهار اقتصادها ، الا أننا لايمكن أن نهمل الدور الذى لعبته

العلاقات في تلك الأوضاع الاقتصادية ، فمكة المكرمة كانت تعتمد في اقتصادها على الحجاج القادمين اليها من شتى البلدان ، وقد أدركت كل من الدولتين العباسية والفاطمية تلك الظروف وأصبحت تلك الدول تساوم أمراء الهواشم في ارسال حجاجها وتجارها الى مكة وذلك ليقيموا الخطبة لهم على منابر مكة ، وكان لبعض الدول التى كانت على علاقة بأمراء الهواشم أثر في تخفيف الأزمات الاقتصادية التى عانت منها مكة في بعض الفترات وكان لمكة المكرمة اتصالات تجارية مع العراق ومصر واليمن والهند والصين وغيرها من الدول ، وكانت تلك الاتصالات منظمة وقوية وخاصة في مواسم الحج والعمرة . وكان لتجار العراق واليمن ومصر دور كبير في انعاش الحركة الاقتصادية بمكة المكرمة .

وكان للعلاقات الخارجية أثر أيضا على الحياة الاجتماعية بمكة حيث وجد بها كثير من الأعياد والعادات والتقاليد التى دخلت اليها تأثرا بعلاقات مكة بالدول الخارجية كالعباسية والفاطمية والمليحية .

أما أثر العلاقات الخارجية على الحياة العلمية فانه مما لاشك فيه أنه كان للمكانة الدينية لمكة أثر في ازدهار الحركة الثقافية بها اذ كان يفد اليها آلاف المسلمين لأداء فريضة الحج والعمرة فكان من بين هؤلاء الحجاج كثير من العلماء الذين اتصلوا بعلماء مكة وتبادلوا معهم العلوم والمعارف ، كما وفد الى مكة كثير من طلاب العلم بغية الدراسة على أيدى علمائها والمقيمين بها ، وقد كان قدوم

هؤلاء العلماء يتأثر بتأزم العلاقات السياسية بين مكة وبعض الدول التى يفد منها هؤلاء العلماء . ذلك أن بعض الدول حينما تسوء علاقتها بأمراء مكة يصدرون قرارات تقضى بمنع التوجه الى مكة لأى غرض كان فيتوقف قدوم ركب الحج القادم من تلك الدول فيتوقف بذلك قدوم العلماء الذين عادة مايفدون مع ذلك الركب فى الحج أو العمرة .

والحقيقة ان مكة قد استفادت من اتصالها بالدول الخارجية لأن أمراء وسلاطين تلك الدول قد أسهموا فى النهوض بالحركة الثقافية بها اذ أقاموا بها المدارس والأربطة والمكتبات التى زودوها بالكتب،وصرفوا الأموال على الدارسين والمدرسين بها وذلك ليتعلموا ويواصلوا نشاطهم فى شتى الفنون والمعارف .

وختاما أرجو من الله العلى القدير أن أكون قد وفقت فى ابراز أهم النتائج التى توصل اليها البحث والتى آمل أن تكون محققة للأهداف التى وضعت الخطة من أجلها .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ...

الملاحق

جدول رقم (١)

جدول بأسماء أمراء مكة زمن الموسويين

(٣٥٨ - ٤٥٣هـ / ٩٦٨ - ١٠٦١م)

اسم الأمير	السنة التي تولى فيها الامارة	ملاحظات
أبو محمد جعفر بن محمد الموسوى	٣٥٨هـ/٩٦٨م	مؤسس امارة الموسويين
عيسى بن جعفر الموسوى	٣٦٥هـ/٩٧٥م	
أبو الفتوح الحسن بن جعفر	٣٨٤هـ/٩٩٤م	
أبو الطيب عبد الرحمن بن قاسم بن أبى الفاتك	٤٠١هـ/١٠١٠م	تولى امارة مكة وقت اعلان أبى الفتوح الخلافة لنفسه وخروجه الى الشام
أبو الفتوح (للمرة الثانية)	٤٠٣هـ/١٠١٢م	عاد الى الامارة بعد عودته من بلاد الشام .
تاج المعالى محمد شكر بن أبى الفتوح	٤٣٠هـ/١٠٣٨م	آخر أمراء الموسويين
واستمر فى الامارة حتى وفاته سنة	٤٥٣هـ/١٠٦١م	

جدول رقم (٢)

جدول بأسماء أمراء مكة ابان حكم الهواشم

(٤٥٦ – ٥٩٧هـ / ١٠٦٣ – ١٢٠٠م)

اسم الأمير	السنة التى تولى فيها الامارة	ملاحظات
أبو هاشم محمد بن جعفر	٤٥٦هـ / ١٠٦٣م	مؤسس امارة الهواشم
قاسم بن محمد بن جعفر	٤٨٧هـ / ١٠٩٤م	
امبهبذ بن سارتكين	٤٨٧هـ / ١٠٩٤م	قائد عباسى استطاع أن يدخل مكة وينحى الأمير قاسم عن الامارة عدة شهور
قاسم بن محمد (للمرة الثانية)	شوال ٤٨٧هـ/١٠٩٤م	
فليتة بن القاسم	٥١٧هـ / ١١٢٣م	
هاشم بن فليتة	٥٢٧هـ / ١١٣٢م	
قاسم بن هاشم	٥٤٩هـ / ١١٥٤م	

اسم الأمير	السنة التى تولى فيها الامارة	ملاحظات
عيسى بن فليتة	٥٥٦هـ / ١١٦٠م	قدم أمير الحاج العراقى أرغش التركى الى مكة فى هذا العام وعلم أن الأمير قاسم صادر ونهب أموال التجار،فقام بعزله وعين مكانه عمه عيسى بن فليتة .
قاسم بن هاشم	رمضان٥٥٧هـ/١١٦١م	عاد الى مكة واستطاع أن يسترجع الامارة من عمه عيسى .
عيسى بن فليتة (للمرة الثانية)	٥٥٧هـ / ١١٦١م	تولى الامارة مرة أخرى بعد مقتل ابن أخيه قاسم فى هذا العام .
داود بن عيسى	٥٧٠هـ / ١١٧٤م	
مكثر بن عيسى	٥٧١هـ / ١١٧٥م	تولى الامارة فى الخامس عشر من رجب من هذا العام عقب الثورة التى قامت ضد أخيه داود .

اسم الأمير	السنة التى تولى فيها الامارة	ملاحظات
قاسم بن مهنا الحسينى (أمير المدينة)	ذى الحجة ٥٧١هـ/١١٧٥م	عينه أمير الحاج العراقى طاشتكين فى حج هذا العام وذلك حينما قام الأمير مكثر بمعارضة الخلافة العباسية واستمرفى الامارة ثلاثة أيام فقط من العام نفسه .
داود بن عيسى (للمرة الثانية) أخذ يتناوب الامارة هو وأخيه مكثر حتى عزلته الخلافة العباسية سنة	٥٧١هـ / ١١٧٥م ٥٨٧هـ / ١١٩١م	وهو العام الذى قام فيه بالاعتداء على أموال الكعبة فأصدرت الخلافة العباسية قرارا يقضى بابعاده عن الامارة .
مكثر بن عيسى (آخر أمراء الهواشم)	٥٨٧هـ / ١١٩١م ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م	استطاع قتادة فى هذا العام أن يدخل مكة ويستولى على ملك الهواشم .

جدول رقم (٣)

الخلفاء العباسيون والفاطميون المعاصرين للأمراء الموسويين

الأمراء الموسويون	الخلفاء العباسيون المعاصرون لهم	الخلفاء الفاطميون المعاصرون لهم
أبو محمد جعفر بن محمد (٣٥٨-٣٦٥هـ/٩٦٨-٩٧٥م)	المطيع لله أبو القاسم الفضل ابن المقتدر بالله (٣٣٨-٣٦٣هـ/٩٤٩-٩٧٣م) الطائع لله أبو بكر عبد الكريم ابن المطيع لله (٣٦٣-٣٨١هـ/٩٧٣-٩٩١م)	المعز أبو تميم معد (٣٤١-٣٦٥هـ/٩٥٢-٩٧٥م)
عيسى بن جعفر (٣٦٥-٣٨٤هـ/٩٧٥-٩٩٤م)	الطائع لله القادر بالله أبو العباس أحمدبن المتقى بن جعفر (٣٨١-٤٢٢هـ/٩٩١-١٠٣٠م)	العزيز بالله أبو منصور نزار بن المعز (٣٦٥-٣٨٦هـ/٩٧٥-٩٩٦م)

الأمراء الموسويون	الخلفاء العباسيون المعاصرون لهم	الخلفاء الفاطميون المعاصرون لهم
أبو الفتوح الحسن بن جعفر (٣٨٤-٤٣٠هـ/٩٩٤-١٠٣٨م)	القادر بالله . القائم ابو جعفر عبد الله ابن القادر بالله. (٤٢٢-٤٦٧هـ/١٠٣٠-١٠٧٤م)	العزيز بالله. الحاكم بامر الله أبو على منصور العزيز. (٣٨٦-٤١١هـ/٩٩٦-١٠٢٠م) الظاهر بالله ابو الحسن على ابن الحاكم . (٤١١-٤٢٧هـ/١٠٢٠-١٠٣٥م) المستنصر بالله معد بن الظاهر . (٤٢٧-٤٨٧هـ/١٠٣٥-١٠٩٤م)
تاج المعالى محمد شكر ابن أبى الفتوح (٤٣٠-٤٥٣هـ/١٠٣٨-١٠٦١م)	القائم ابو جعفر عبد الله ابن القادر بالله . (٤٢٢-٤٦٧هـ/١٠٣٠-١٠٧٤م)	المستنصر بالله معد بن الظاهر (٤٢٧-٤٨٧هـ/١٠٣٥-١٠٩٤م)

جدول رقم (٤)

الخلفاء العباسيون والفاطميون المعاصرون لأمراء الهواشم

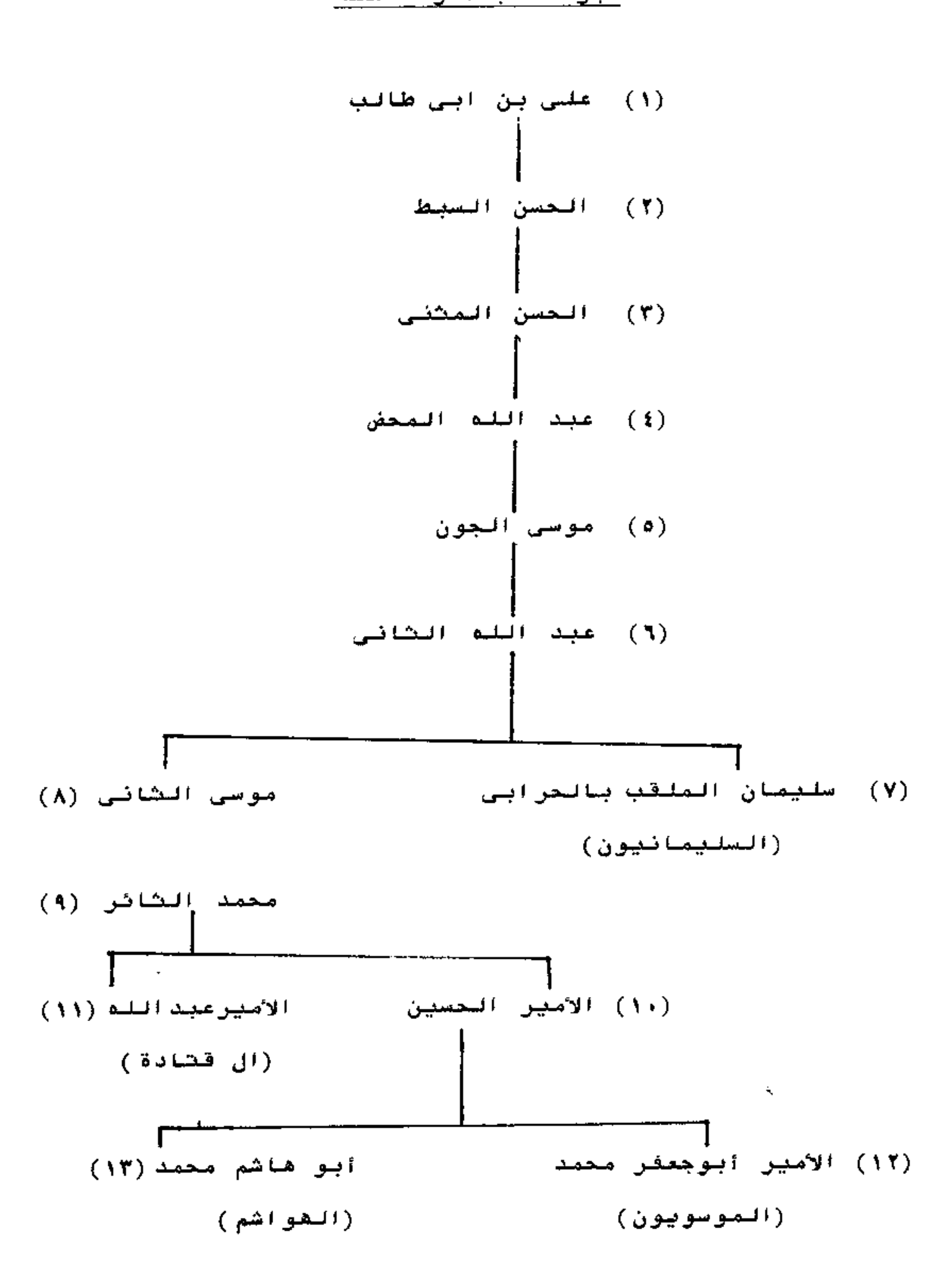
أمراء الهواشم	الخلفاء العباسيون المعاصرون لهم	الخلفاء الفاطميون المعاصرون لهم
أبوهاشم محمد بن جعفر (٤٥٦-٤٨٧هـ/١٠٦٣-١٠٩٤م)	القائم ابوجعفر عبد الله ابن القادر بالله (٤٢٢-٤٦٧هـ/١٠٣٠-١٠٧٤م) المقتدى أبو القاسم عبدالله ابن ذخيرة الدين (٤٦٧-٤٨٧هـ/١٠٧٤-١٠٩٤م)	المستنصر بالله معد بن الظاهر (٤٢٧-٤٨٧هـ/١٠٣٥-١٠٩٤م)
قاسم بن محمد بن جعفر (٤٨٧-٥١٧هـ/١٠٩٤-١١٢٣م)	المستظهر أبو العباس احمد ابن المقتدى (٤٨٧-٥١٢هـ/١٠٩٤-١١١٨م) المسترشد بالله أبو منصور (٥١٢-٥٢٩هـ/١١١٨-١١٣٤م)	المستعلى بالله احمدبن المستنصر (٤٨٧-٤٩٥هـ/١٠٩٤-١١٠١م) الآمر بأحكام الله أبو على منصور بن المستعلى (٤٩٥-٥٢٤هـ/١١٠١-١١٢٩م)

أمراء الهواشم	الخلفاء العباسيون المعاصرون لهم	الخلفاء الفاطميون المعاصرون لهم
فليتة بن القاسم (٥١٧-٥٢٧هـ/١١٢٣-١١٣٢م)	المسترشد بالله أبومنصور (٥١٢-٥٢٩هـ/١١١٨-١١٣٤م)	الآمر بأحكام الله . الحافظ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد . (٥٢٤-٥٤٤هـ/١١٢٩-١١٤٩م)
هاشم بن فليتة (٥٢٧-٥٤٩هـ/١١٣٢-١١٥٤م)	المسترشد بالله أبومنصور ، الراشد بالله أبو جعفر منصور بن المسترشد ، (٥٢٩-٥٣٠هـ/١١٣٤-١١٣٥م)	الحافظ لدين الله . الظافر بالله اسماعيل بن الحافظ ، (٥٤٤-٥٤٩هـ/١١٤٩-١١٥٤م)
قاسم بن هاشم (٥٤٩-٥٥٧هـ/١١٥٤-١١٦١م)	المقتفى أبوعبد الله محمد ابن المستظهر ، (٥٣٠-٥٥٥هـ/١١٣٥-١١٦٠م) المستنجد بالله أبو المظفر يوسف بن المقتفى . (٥٥٥-٥٦٦هـ/١١٦٠-١١٧٠م)	الفائز بنصر الله عيسى بن الظافر . (٥٤٩-٥٥٥هـ/١١٥٤-١١٦٠م) العاضد لدين الله أبو محمد عبد الله . (٥٥٥-٥٦٧هـ/١١٦٠-١١٧١م)

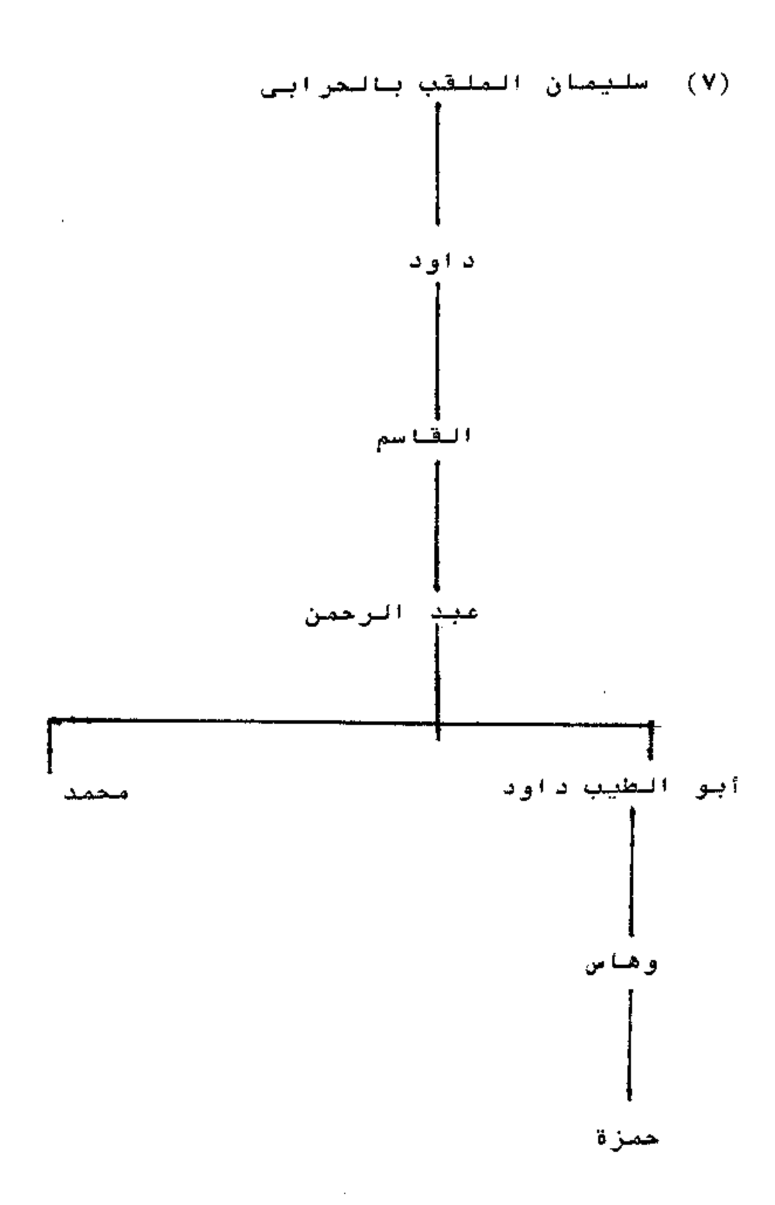
أمراء الهواشم	الخلفاء العباسيون المعاصرون لهم	الخلفاء الفاطميون المعاصرون لهم
عيسى بن فليتة (٥٥٧-٥٧٠هـ/١١٦١-١١٧٤م)	المستنجد بالله المستضيء أبومحمد الحسن ابن المستنجد بالله (٥٦٦-٥٧٥هـ/١١٧٠-١١٧٩م)	العاضد لدين الله (آخر الخلفاء الفاطميين)
داود بن عيسى (٥٧٠-٥٨٧هـ/١١٧٤-١١٩١م)	المستضيء الناصر لدين الله أبو العباس أحمد بن الحسن المستضيء (٥٧٥-٦٢٢هـ/١١٧٩-١٢٢٥م)	
مكثر بن عيسى (٥٨٧-٥٩٧هـ/١١٩١-١٢٠٠م)	الناصر لدين الله	

ملحق رقم (٤)

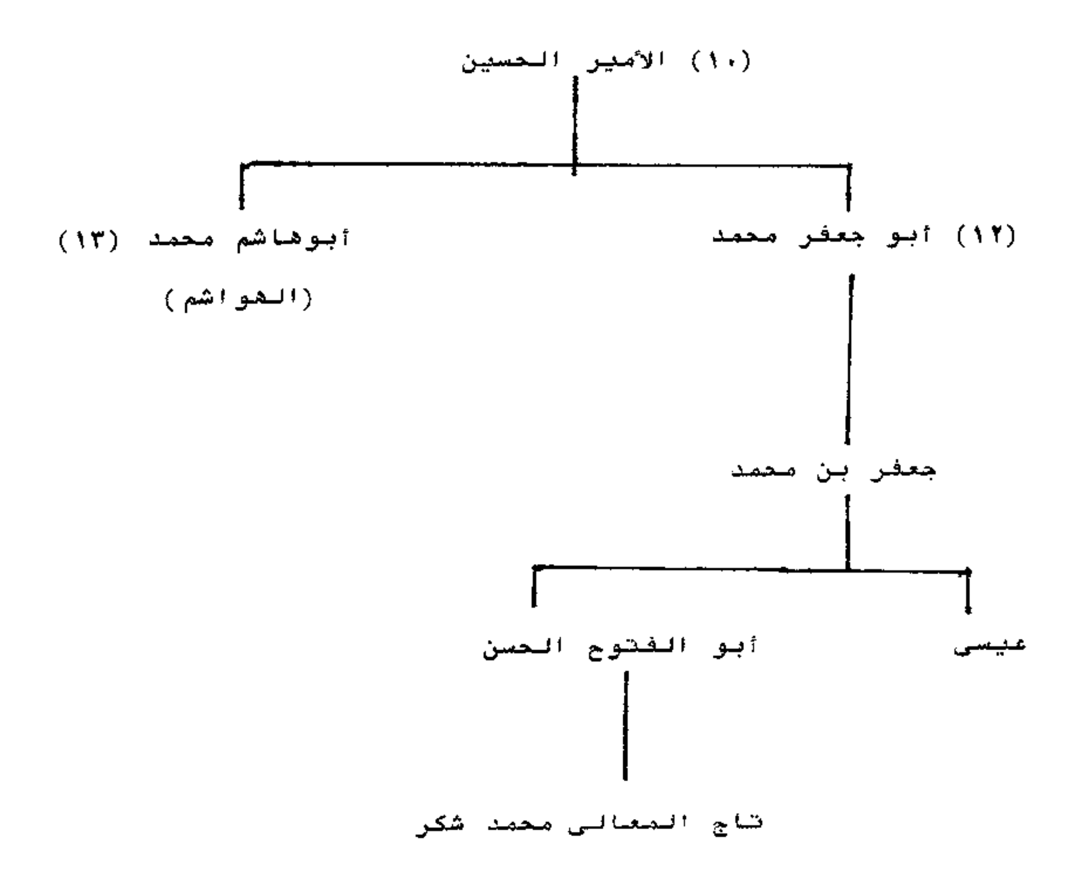
<u>شجرة نسب أشراف مكة</u>



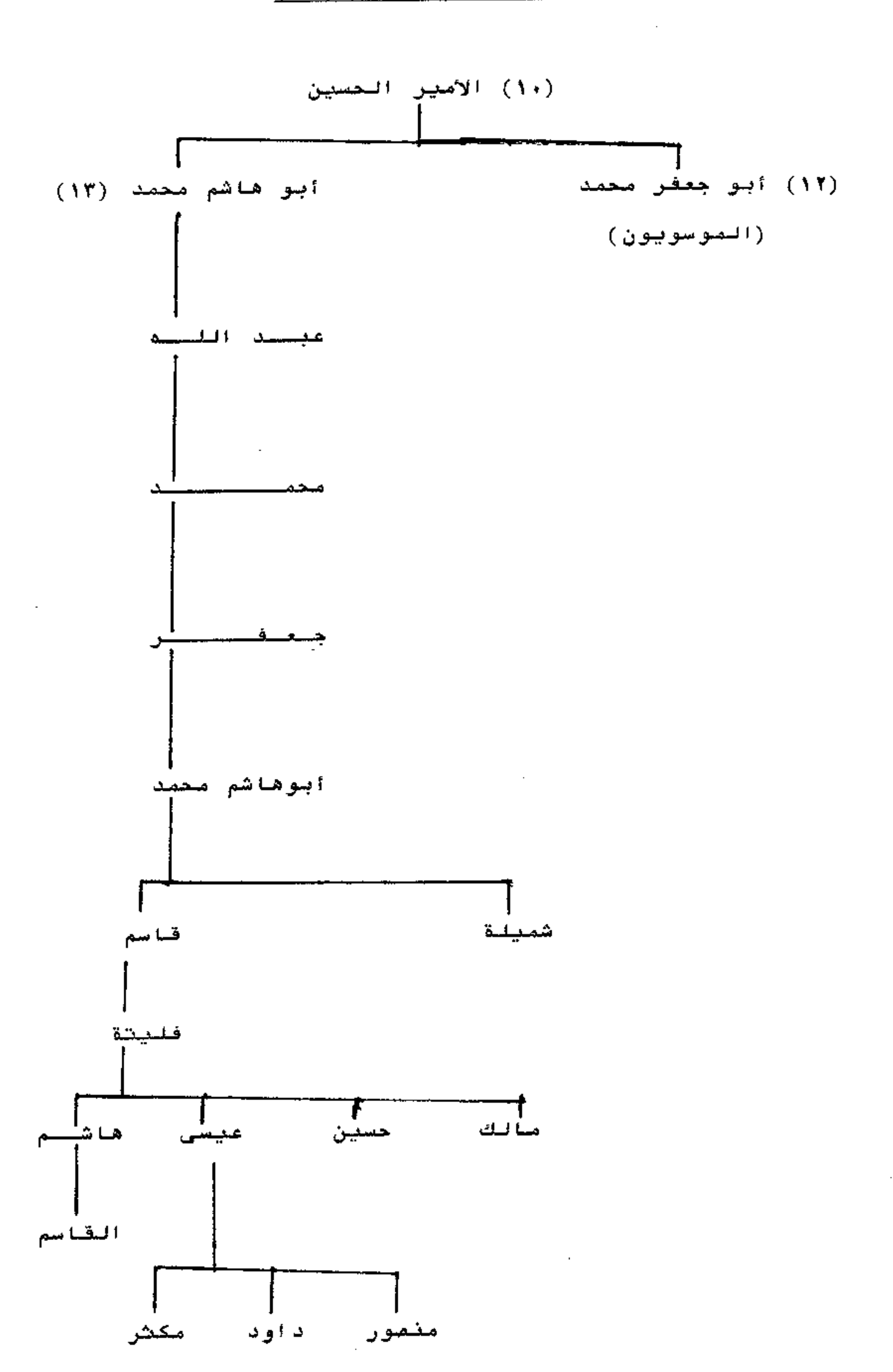
شجرة نسب أمراء بني أبي الطيب



شجرة نسب الأمراء الموسويين

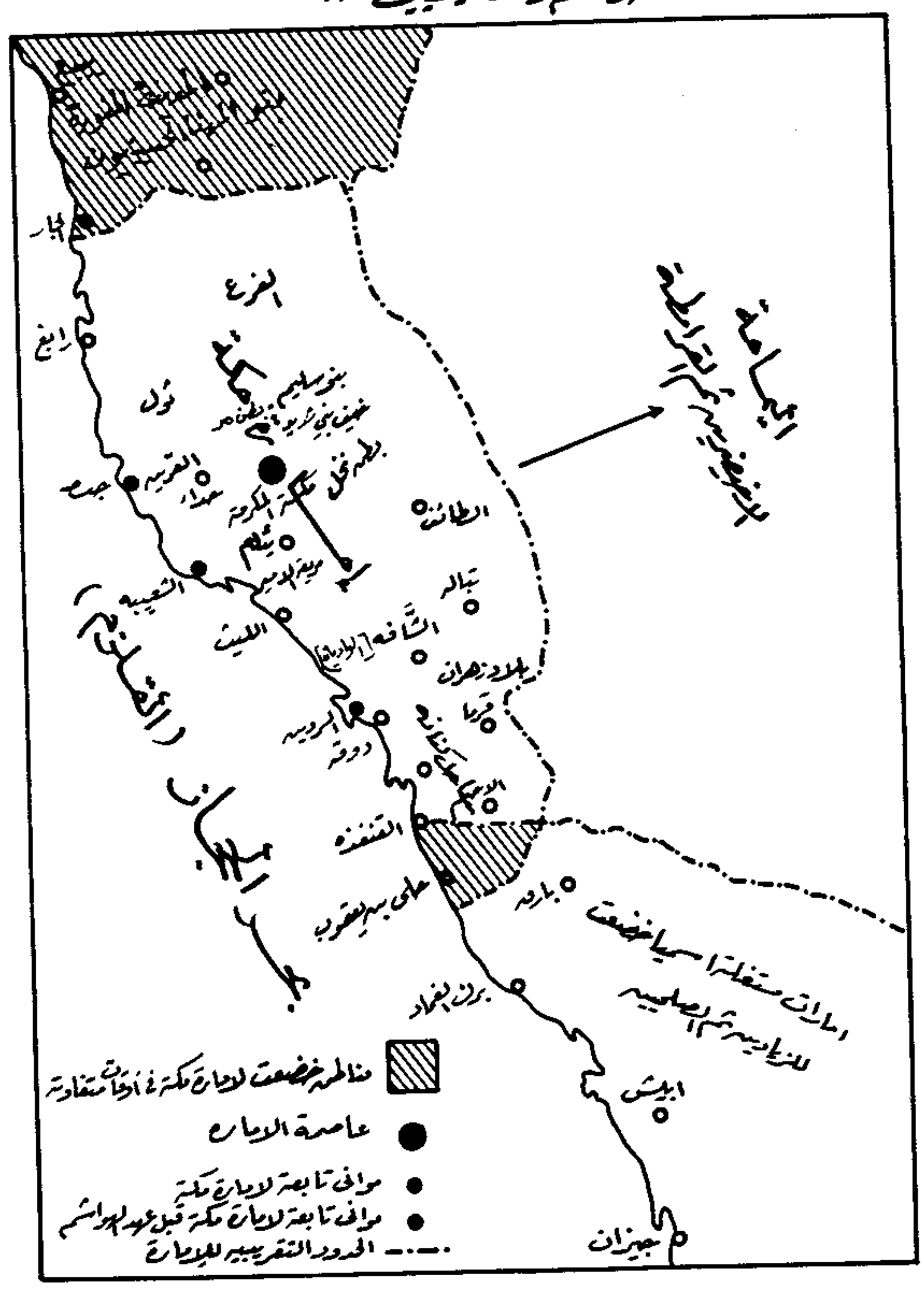


شجرة نسب أمراء الهواشم



ملحق رقم (٩)

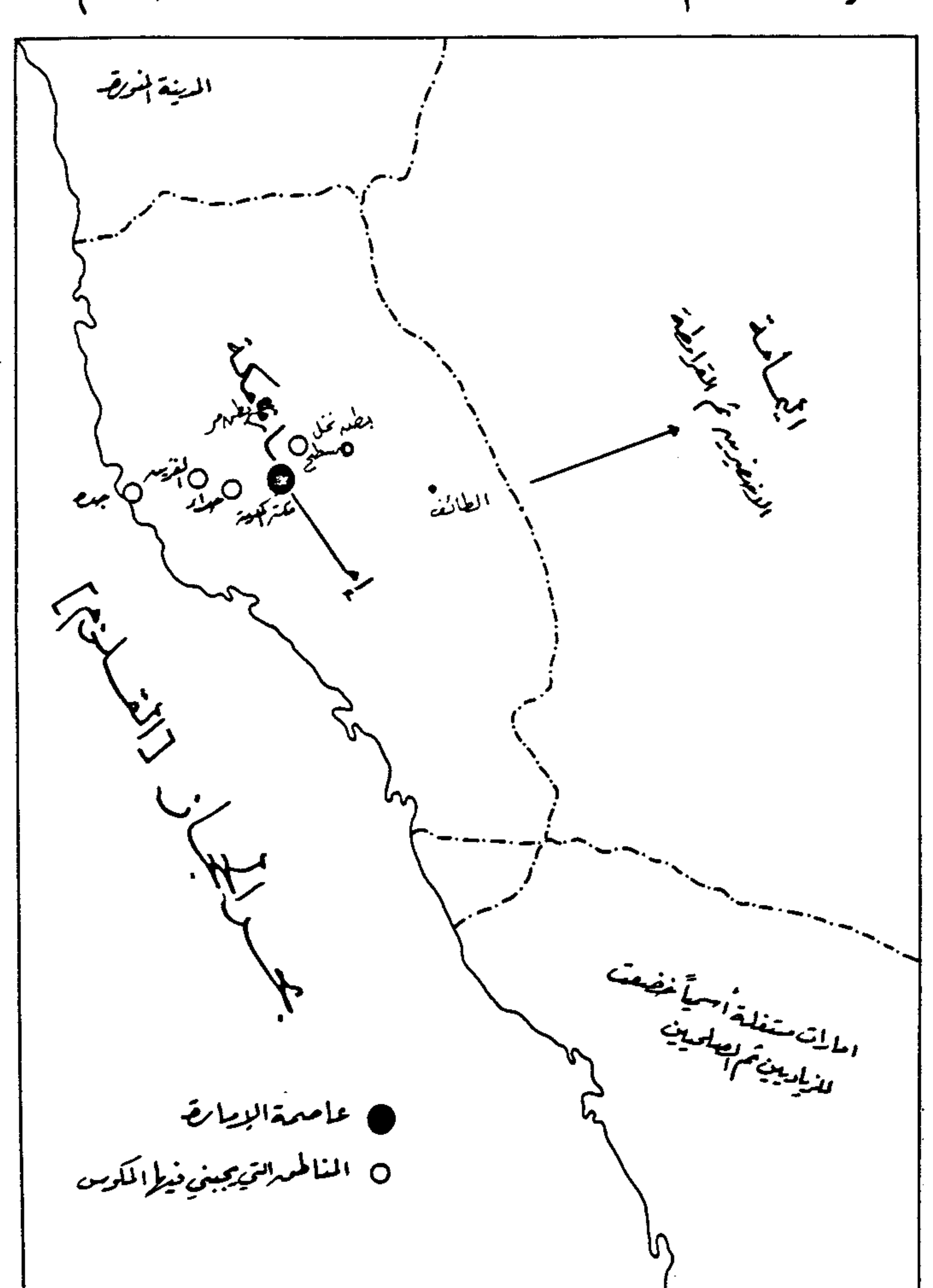
خريطة موضح عليها أهم القرى والمناطق التابعة لإمارة مكة في عهد الهواشم، وموضح عليها موقع مدينة حلي بن يعقوب التي كانت منطقة نزاع بين الهواشم والصليحيين (١)



(١) أحمد عمر الزيلعي : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ٢٩٧ (بتصرف) .

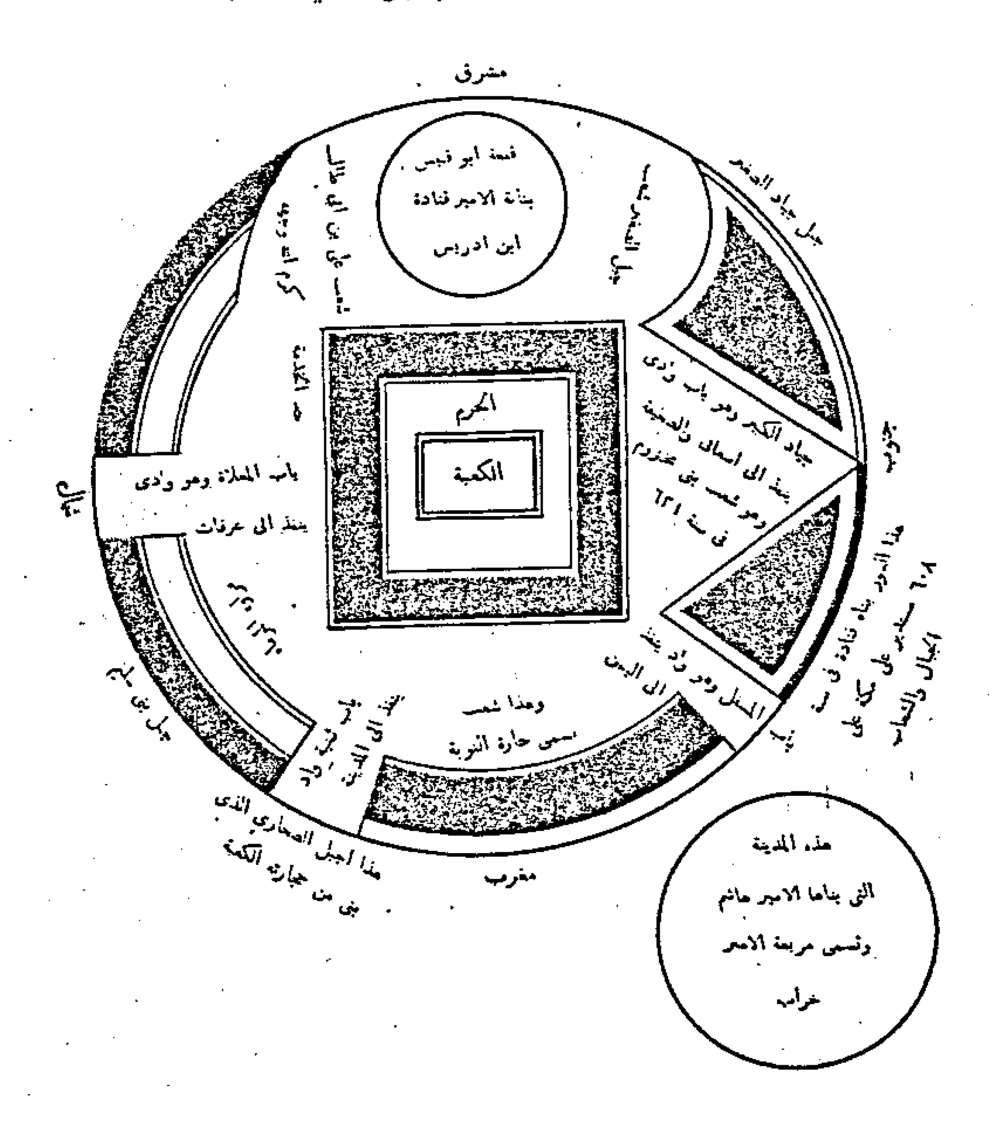
ملحق رقم (٣)

خريطة تبين أهم المواقع التي كان يجبى فيها المكوس زمن الهواشم



ملحق رقم (٤)

رسم تقريبي لموقع مدينة مربعة الامير التي بناها الامير هاشم بن فليتة (١)



(١) ابن المجاور : <u>تاريخ المستبصر</u> ، ص ١١ .

ثبت المصادر والمراجع

أولا : المصادر المخطوطة .

الخزرجي

شمس الدين أبو الحسن على بن الحسن بن أبى بكر بن الحسن (ت ٨١٢هـ/١٤٠٩م)

* العسجد المسبوك فيمن تولى اليمن من الملوك

مخطوط مصور على ميكروفيلم بمركز البحث العلمى واحياء التراث الاسلامى بجامعة أم القرى ، رقم ٣٤٥ (تاريخ) .

السنجارى

على بن تاج الدين بن تقى الدين المكى (ت١١٢٥هـ/١٧١٣م)

* منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم

مخطوط مصور على ميكروفيلم بمركز البحث العلمى بجامعة أم القرى ، رقم ٤٥٠ (تاريخ) .

الصباغ

محمد بن أحمد المكى (ت ١٣٢١هـ/١٩٠٣م)

* تحصيل المرام فى أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام

مخطوط مصور بجامعة أم القرى ، رقم ٢١٧ .

ابن الضياء

أبو البقاء محمد بن أحمد بن الضياء القرشى الحنفى المكى (ت ٨٥٤هـ/١٤٥٠م)

* تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف

مخطوط مصور بمركز البحث العلمى بجامعة أم القرى ، رقم ١٧٠ .

الطبري

عبد القادر بن محمد (ت ١٠٧٠هـ/١٦٥٩م)

* الأرج المسكي في التاريخ المكي

مخطوط مصور بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى ، رقم ٣٤ .

الطبري

محمد بن علي بن فضل بن عبد الله الحسيني (١١٧٣هـ/١٧٥٩م)

* اتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن وولاية قتادة

مخطوط مصور بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى ، رقم ١٠ .

العمري

شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى بن فضل الله (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م)

* مسالك الأبصار

مخطوط المكتبة السليمانية باسطانبول ، رقم ٣٤٣٦ .

ثانيا : المصادر المطبوعة .

ابن الأبار

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن ابي بكر القضاعي (ت ٦٥٨هـ/١٢٥٩م)

* تكملة الصلة

جزءان ، تصحيح السيد عزت العطار الحسيني ،مكتب نشر الثقافة الاسلامية ، القاهرة ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م .

ابن الأثير

عز الدين أبو الحسن على بن أبى الكرم محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيبانى (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م)

* الكامل في التاريخ

٩ أجزاء ، ط٣ ، دار الكتاب العربى - بيروت ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م .

* التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية (بالموصل)

تحقيق عبد القادر أحمد طليمات ، طبعة دار الكتب الحديثة بالقاهرة ، ومكتبة المثنى ببغداد ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م .

* اللباب في تهذيب الأنساب

بيروت (بدون تاريخ طبع) .

الأزدى

جمال الدين على بن ظافر (ت ٦١٣هـ/١٢١٦م)

* أخبار الدول المنقطعة

مقدمة وتعقيب أندريه فريه ، ط١ ، المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية ، القاهرة ١٩٧٢م .

الأزرقى

أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد (ت ٢٥٠هـ/٨٦٤م)

* أخبار مكة وماجاء فيها من الآثار

تحقيق رشدى الصالح ملحس ، ط٤ ، مطابع دار الثقافة ، مكة المكرمة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

الاسنوى

جمال عبد الرحيم (ت ٧٧٢هـ/١٣٧٠م)

* طبقات الشافعية

جزءان ، تحقيق عبد الله الجبورى ، منشورات دار العلوم للطباعة والنشر ، الرياض ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

ابن اياس

أبو البركات محمد بن أحمد (ت ٩٣٠هـ/١٥٢٤م)

* بدائع الزهور فى وقائع الدهور

٥ أجزاء ،تحقيق محمد مصطفى ، ط٣ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

ابن أيبك الدوادارى

أبو بكر بن عبد الله (ت ٧٣٦هـ/١٣٣٥م)

* كنز الدرر وجامع الغرر

ج٧ ، الدر المطلوب فى أخبار بنى أيوب ، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ، لجنة التاليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٣٩١هـ/١٩٧١م .

ابن بشكوال

أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت ٥٧٨هـ/١١٨٢م)

* كتاب الصلة

جزءان ، الدار المصرية للتالف والترجمة ، القاهرة ١٩٦٦م .

ابن بطوطة

أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م)

* رحلة ابن بطوطة المسماة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)

دار التراث ، بيروت ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م .

البكرى

أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكرى الأندلسى (ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م)

* جزيرة العرب من كتاب الممالك والمسالك

تحقيق ودراسة عبد الله يوسف الغنيم ، منشورات ذات السلاسل للطباعة ، الكويت ١٣٩٧هـ/١٩٧٨م .

* معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع

٤ أجزاء ، تحقيق مصطفى السقا ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م .

البندارى

قوام الدين الفتح بن على (ت ٦٤٣هـ/١٢٤٥م)

* سناء البرق الشامي (مختصر البرق الشامي ، للعماد الأصفهاني

تحقيق فتحية النبراوى ، القاهرة ١٩٧٩م .

التجيبى السبتى

القاسم بن يوسف (ت ٧٣٠هـ/١٣٢٩م)

* مستفاد الرحلة والاغتراب

تحقيق عبد الحفيظ منصور ، الدار العربية للكتاب ، تونس ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م .

ابن تغرى بردى

جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م)

* النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة

١٤ جزءا ، دار الكتب ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، القاهرة ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م .

ابن جبير

أبو الحسين محمد بن أحمد (ت ٦١٤هـ/١٢١٧م)

* رحلة ابن جبير

دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

الجزيرى

عبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن ابراهيم الأنصارى (ت ٩٧٧هـ/١٥٦٩م)

* الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة

٣ أجزاء ، اعتناء حمد الجاسر ، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

الجعدى

عمر بن على بن سمرة (ت ٥٨٦هـ/١١٩٠م)

* طبقات فقهاء اليمن

تحقيق فؤاد سيد ، ط١ ، بيروت ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

ابن الجوزى

أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م)

* المنتظم في تاريخ الملوك والأمم

ط١ ، مطبعة دار المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، الدكن ١٣٥٩هـ/١٩٤٠م .

ابن حزم

أبو محمد على بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ/١٠٦٤م)

* جمهرة أنساب العرب

تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون ، ط٥ ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٢م .

الحسينى

صدر الدين أبى الحسن على بن ناصر بن على (ت ٥٧٥هـ/١١٨٠م)

* أخبار الدولة السلجوقية

اعتناء وتصحيح محمد اقبال ، ط١ ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

الحموى

شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)

* المشترك وضعا والمفترق صقعا

غوتنجن ، جامعة شريفتن ١٨٤٦م .

* معجم البلدان

٥ أجزاء ، دار احياء التراث العربى ، بيروت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م .

ابن حوقل

أبو القاسم محمد بن على بن حوقل البغدادى الموصلى (ت ٣٦٧هـ/٩٧٨م)

* كتاب صورة الأرض

منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٧٩م .

خسرو

ناصر (٤٩٨هـ/١١٠٤م)

* سفر نامه

ترجمة يحيى الخشاب ، ط٢ ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ١٩٧٠م .

ابن خلدون

عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م)

* كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر

٧ أجزاء ، القاهرة ١٣٩١هـ/١٩٧١م .

ابن خلكان

أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ/١٢٨١م)

* وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان

٨ أجزاء ، تحقيق احسان عباس ، دار الثقافة ،بيروت ١٩٧٠ – ١٩٧١م .

الداوودي

شمس الدين محمد بن علي بن أحمد (ت ٩٤٥هـ/١٥٣٨م)

* طبقات المفسرين

جزءان،اعتناء لجنة من العلماء، ط١،دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣ م

دحلان

أحمد زيني (ت ١٣٠٤هـ/١٨٨٦م)

* أمراء البلد الحرام منذ أولهم في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حتى الشريف الحسين بن علي
الدار المتحدة للنشر ، بيروت (بدون تاريخ طبع) .

ابن دقماق
ابراهيم بن محمد بن أيدمر العلائى (ت ٨٠٩هـ/١٤٠٦م)
* الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين
تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ، مراجعة أحمد السيد دراج ، منشورات مركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي بجامعة أم القرى ، مكة المكرمة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م

ابن الديبع
ابو الضياء عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٩٤٤هـ/١٥٣٧م)
* الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد
تحقيق يوسف شلحد ، صنعاء ١٩٨٣م .

الذهبي
شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م)
* العبر في خبر من غبر
٥ أجزاء ، تحقيق أبو هاجر محمد زغلول ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

الرازي
أحمد بن عبد الله (ت ٤٦٠هـ/١٠٦٨م)
* تاريخ مدينة صنعاء

تحقيق حسين عبد الله العمرى ، وعبد الجبار زكار ، ط١
اليمن ، ١٩٧٤م .

الرشيدى
الشيخ أحمد (ت ١١٧٨هـ/١٧٦٤م)
* حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولي امارة الحاج
تحقيق ليلى عبد اللطيف أحمد ، منشورات مكتبة الخانجى
القاهرة ١٩٨٠م .

الزبيدى
محب الدين أبو الفيض السيد محمد مرتضى الحسينى
(ت ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م)
* تاج العروس من جواهر القاموس
١٠ أجزاء ، بيروت .

سبط ابن الجوزى
أبو المظفر يوسف بن قزأوغلى (ت ٦٥٤هـ/١٢٥٦م)
* مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان (القسم الأول والثانى
من الجزء الثامن)
ط١ ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ،
الدكن ١٩٥١ - ١٩٥٢م .

السبكى
تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن على بن عبد الكافى
(ت ٧٧١هـ/١٣٦٩م)
* طبقات الشافعية الكبرى
تحقيق عبد الفتاح الحلو ، محمود الطناحى ، ط١ ،
القاهرة ١٣٨٥هـ/١٩٦٦م .

السخاوى

شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ/١٤٩٦م)

* التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة

٣ أجزاء ، اعتناء أسعد طرابزونى الحسينى ، دار نشر الثقافة ، القاهرة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

* الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ

بيروت ١٣٩٩هـ .

السلمى

عرام بن الاصبغ (نحو ٢٧٥هـ/٨٨٨م)

* كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها

تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ١٣٧٣هـ .

السمعانى

عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمى (٥٦٢هـ/١١٦٧م)

* الأنساب

صححه عبد الرحمن المعلمى ، ط١، حيدر أباد الدكن ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م .

السيوطى

جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م)

* بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاه

ط١ ، القاهرة ١٣٢٦هـ .

* حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة

جزءان ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، ط١ ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م .

أبو شامة

شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم المقدسى الشافعى (ت ٦٦٥هـ/١٢٦٦م)

* الذيل على الروضتين

اعتناء محمد الكوثرى ، ط٢ ، بيروت ١٩٧٤م .

* الروضتين فى أخبار الدولتين

جزءان ، دار الجيل ، بيروت (بدون تاريخ طبع)

ابن شداد

بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم (ت ٦٣٢هـ/١٢٣٤م)

* النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية

تحقيق جمال الدين الشيال ، ط١ ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ١٩٦٤م .

الظاهرى

غرس الدين خليل بن شاهين (ت ٨٧٣هـ/١٤٦٨م)

* زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك

تحقيق بولس راويسى ، باريس ١٨٨٩م .

ابن ظهيرة

جمال الدين محمد بن جار الله بن محمد نور الدين ابى بكر بن على (٩٨٦هـ/١٥٧٨م)

* الجامع اللطيف فى فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف

ط٢ ، القاهرة ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م .

ابن عبد الحق

صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغداى (ت ٧٣٩هـ/١٣٣٨م)

* مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع

تحقيق علي محمد البجاوي ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، حلب ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م .

العبدري

أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٦٨٨هـ/١٢٨٩م)

* رحلة العبدري (المسماة الرحلة المغربية)

تحقيق محمد الفاسي ، الرباط ١٩٦٨م .

ابن العديم

كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي (٦٦٠هـ/١٢٦٢م)

* زبدة الحلب من تاريخ حلب

تحقيق سامي الدهان ، بيروت ١٩٥٤م .

العرشي

القاضي حسين بن أحمد (ت ١٣١٨هـ/١٩٠٠م)

* بلوغ المرام في شرح مسك الختام في من تولى ملك اليمن من ملك وامام

عني بنشره الأب انستاسي ماري الكرملي ، القاهرة ١٩٣٩م

العصامي

عبد الملك بن حسين (ت ١١١١هـ/١٦٩٩م)

* سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي

ج٤ ، المطبعة السلفية ، القاهرة (بدون تاريخ طبع) .

ابن العماد الحنبلي

أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد (ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)

* شذرات الذهب في أخبار من ذهب

٨ أجزاء ، المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت .

عمارة اليمنى

نجم الدين بن أبى الحسن الحكمى (ت ٥٦٩هـ/١١٧٣م)

* تاريخ اليمن (المسمى المفيد فى أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها وأعيانها وأدبائها)

تحقيق محمد بن على الأكوع ، ط٢ ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٩٧٦م .

* كتاب النكت العصرية فى أخبار الوزراء المصرية

صححه هرتويغ درنبرغ ، طبع بمطبعة مرسوفى مدينة شالون بفرنسا ١٨٩٧م .

ابن عنبة

جمال الدين أحمد بن على الحسنى (ت ٨٢٨هـ/١٤٢٤م)

* عمدة الطالب فى أنساب آل أبى طالب

مجموعة الرسائل الكمالية (٨) فى الأنساب ، طبع بمطابع دار الشعب القاهرة ١٩٨٠م نشر مكتبة المعارف بالطائف

الفاسى

أبو الطيب تقى الدين محمد بن أحمد بن على (٨٣٢هـ/١٤٢٨م)

* شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام

جزءان ، تحقيق عمر عبد السلام تدمرى ، ط١ ، دار الكتاب العربى ، بيروت ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

* العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين

٨ أجزاء ، ج١ ، تحقيق محمد الطيب حامد الفقي ، (ج٢-٧) فؤاد سيد ، (ج٨) محمود الطناحي ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ١٣٧٨ - ١٣٨٨هـ .

أبو الفداء

الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م)

* المختصر في أخبار البشر

ج٢-٣ ، دار المعرفة ، بيروت .

ابن فهد

النجم عمر بن فهد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد (ت ٨٨٥هـ/١٤٨٠م)

* اتحاف الورى بأخبار أم القرى

تحقيق فهيم محمد شلتوت ، ط١ ، ٣ أجزاء ، ج٢-٣ منشورات مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى ، مكة المكرمة ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م .

ابن فهد

عز الدين عبد العزيز بن عمر بن محمد بن فهد الهاشمي (ت ٩٢٢هـ/١٥١٦م)

* غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام

تحقيق فهيم محمد شلتوت ، ط١ ، منشورات مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى ، مكة المكرمة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م

الفيروز آبادي

مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ/١٤١٤م)

* القاموس المحيط

٤ أجزاء ، ط٣ ، القاهرة ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م .

ابن القاسم

يحيى بن الحسين (ت ١١٠٠هـ/١٦٨٩م)

* غاية الأماني في أخبار القطر اليماني

تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ، جزءان ، ج١ دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٨م .

القرطبي

عريب بن سعد (ت ٣٦٦هـ/١٩٧٦م)

* صلة تاريخ الطبري

طبع في كتاب ذيول تاريخ الطبري ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، ط٢ ، دار سويدان ، بيروت ١٩٦٧م .

القلقشندي

أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م)

* صبح الأعشى في صناعة الانشاء

١٤ جزء ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ١٣٣٢هـ/١٩١٤م .

* مآثر الانافة في معالم الخلافة

٣ أجزاء ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، ط١ ، عالم الكتب ،بيروت ١٩٦٤م .

* نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب

تحقيق ابراهيم الابياري ، ط١ ، القاهرة ١٩٥٩م .

ابن كثير

عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م)

* البداية والنهاية

١٤جزء ، ط١ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م .

ابن المجاور

جمال الدين أبي الفتح يوسف بن يعقوب الدمشقي (ت ٦٩٠هـ/١٢٩١م)

* صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز (المسمي تاريخ المستبصر)

تصحيح أوسكر لوفغرين ، ط بريل ، ليدن ١٩٥١م .

أبو مخرمة

أبومحمد عبد الله الطيب بن عبد الله بن أحمد (ت ٩٤٧هـ/١٥٤٠م)

* تاريخ ثغر عدن

جزءان ، تحقيق أوسكر لوفغرين ، ط بريل ، ليدن ١٩٣٦م

المقدسي

شمس الدين ابو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م)

* أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم

ط٢ ، ط بريل ، ليدن ١٩٠٦م .

المقريزى

تقى الدين أحمد بن على (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م)

* اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء

ج١ ، تحقيق جمال الدين الشيال ، ط القاهرة ١٩٦٧م ،

ج٢-٣ تحقيق محمد حلمى أحمد ، ط القاهرة ١٩٧١-١٩٧٣م .

* الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك

تحقيق جمال الدين الشيال ، مكتبة الخانجى بمصر ومكتبة المثنى ببغداد ، ١٩٥٥م .

* السلوك لمعرفة دول الملوك

٤ أجزاء تصحيح محمد مصطفى زيادة ، ط٢ ، لجنة التأليف والنشر ، القاهرة ١٩٥٦م .

ابن منظور

جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري (ت ٧١١هـ/١٣١١م)

* لسان العرب

١٥ جزء ، ط١ ، القاهرة ١٣٠٢هـ .

النعيمي

عبد القادر بن محمد بن عمر بن محمد بن يوسف بن عبد الله (٩٢٧هـ/١٥٢١م)

* الدارس في تاريخ المدارس

تحقيق جعفر الحسني ، دمشق ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م .

الهمداني

الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت ٣٣٤هـ/٩٤٥م)

* صفة جزيرة العرب

تحقيق محمد بن علي الأكوع ، دار اليمامة ، الرياض ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م .

الورثيلاني

الحسين بن محمد السعيد (ت ١١٩٣هـ/١٧٧٩م)

* نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار المشهور بالرحلة الورثيلانية

ط٢ ، نشر دار الكتاب العربي ، بيروت ١٩٧٤م .

اليافعي

أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان (ت ٧٦٨هـ/١٣٦٦م)

* مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان
ط٢ ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م .

ثالثا : المراجع العربية الحديثة .

أحمد
يوسف
* المحمل والحج
مطبعة حجازي ، القاهرة ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م .
الأنصاري
عبد القدوس
* بنو سليم
ط١ ، بيروت ١٣٩١هـ/١٩٧١م .
باشا
ايوب صبري
* مرآة جزيرة العرب
ترجمة أحمد فؤاد متولي ، والصفصافي أحمد المرسي ، ط١
دار الرياض للنشر ، الرياض ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .
باقازي
عائشة بنت عبد الله
* بلاد الحجاز في العصر الأيوبي
ط١ ، دار مكة للطباعة والنشر ، مكة المكرمة ١٤٠٠هـ/
١٩٨٠م .

باوزير

سعيد عوض

* معالم تاريخ الجزيرة العربية

ط١ ، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م .

البتنوني

محمد لبيب

* الرحلة الحجازية

ط٣ ، منشورات مكتبة المعارف ، الطائف .

البركاتي

شرف بن عبد المحسن

* الرحلة اليمانية

ط٢ ، بيروت ١٣٨٤هـ .

البستاني

بطرس

* محيط المحيط

بيروت ١٩٧٧م .

بكر

سيد عبد المجيد

* الملامح الجغرافية لدروب الحجيج

ط١ ، منشورات مؤسسة تهامة ، جدة ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

البلادي

عاتق بن غيث

* بين مكة وحضرموت

ط١ ، دار مكة للنشر ، مكة المكرمة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

* بين مكة واليمن
ط١ ، دار مكة للنشر ، مكة المكرمة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .
* معالم مكة التاريخية والأثرية
ط٢ ، دار مكة للنشر ، مكة المكرمة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .
* معجم معالم الحجاز
ط١ ، دار مكة للنشر ، مكة المكرمة ١٣٩هـ/١٩٧٩م .

ابن بليهد
* صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الاثار
ط٢ ، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م .

بيطار
أمينة
* موقف أمراء العرب بالشام والعراق من الفاطميين حتى أواخر القرن الخامس الهجرى
ط١ ، بيروت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

التكريتى
محمود ياسين أحمد
* الأيوبيون فى شمال الشام والجزيرة
بغداد ١٩٨١م .

الجاسر
حمد
* بلاد ينبع لمحات تاريخية وجغرافية
منشورات دار اليمامة ، الرياض (بدون تاريخ طبع) .

حسن
حسن ابراهيم
* تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي

ج٤ ، ط١ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦٧م .

* تاريخ الدولة الفاطمية

ط٢ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٥٨م .

حسين

جميل حرب محمود

* الحجاز واليمن فى العصر الأيوبى

ط١ ، تهامة للنشر ، جدة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

ابن خميس

عبد الله

* المجاز بين اليمامة والحجاز

ط٣ ، جدة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

دراج

أحمد السيد

* ايضاحات جديدة عن التحول فى تجارة البحر الأحمر منذ مطلع القرن التاسع الهجري

مستخرج من المحاضرات العامة للموسم الثقافى ١٩٦٧/ ١٩٦٨م ، مطبعة عين شمس ، القاهرة ١٩٦٨م .

ابن دهيش

عبد اللطيف بن عبد الله

* الكتاتيب في الحرمين الشريفين

ط١ ، مكة ١٤٠٩هـ/١٩٨٦م .

الزركلي

خير الدين

* الأعلام

٨ أجزاء ، ط٧ ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٦م .

الزيلعي

أحمد عمر

* مكة وعلاقاتها الخارجية (٣٠١ - ٤٨٧هـ)

ط١ ، جامعة الرياض ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

السباعي

أحمد

* تاريخ مكة

جزءان ، ط٦ ، منشورات نادى مكة الثقافي ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م

سرور

محمد جمال الدين

* النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب

ط٣ ، القاهرة ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م .

ابن سرور

محمد بن منصور بن هاشم ال عبد الله

* قبائل الطائف وأشراف الحجاز

ط١ ، الطائف ١٤٠١هـ .

ابن سرور

مساعد بن منصور ال عبد الله

* جداول أمراء مكة وحكامها منذ فتحت الى الوقت الحاضر

ط١ ، مكة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م .

السليمان

علي بن حسين

* العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك

القاهرة ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م .

الشامخ

محمد عبد الرحمن

* التعليم في مكة والمدينة آخر العهد العثماني

ط٣ ، دار العلوم للطباعة والنشر ، الرياض ١٤٠٥هـ/

١٩٨٥م .

شرف الدين

أحمد حسين

* اليمن عبر التاريخ

ط٣ ، الرياض ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

شلبي

أحمد

* تاريخ التربية الاسلامية

ط٢ ، مكتبة الأنجلو ، القاهرة ١٩٦٠م .

* موسوعة التاريخ والحضارة الاسلامية

ط٣ ، القاهرة ١٩٧٧م .

العبادي

أحمد مختار

* في التاريخ العباسي والفاطمي

مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ١٩٨٢م .

عبد الرؤوف

عصام الدين

* بلاد الجزيرة في أواخر العصر العباسي

ط١ ، القاهرة ١٩٧٥م .

عبد العال

حســـن

* التربية الاسلامية في القرن الرابع الهجري

دار الفكر العربي ، القاهرة (بدون تاريخ طبع) .

عبد العال

محمـــد

* الأيوبيون في اليمن

القاهرة ١٩٨٠م .

عبد العزيز

محمد الحسيني

* الحياة العلمية في الدولة الاسلامية

وكالة المطبوعات ، الكويت ١٩٧٣م .

عبد الله

عبد الرحمن صالح

* تاريخ التعليم في مكة المكرمة

ط١ ، دار الشروق للنشر ، جدة ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م .

العقيلي

محمد بن أحمد

* تاريخ المخلاف السليماني

ط٢ ، الرياض ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

عوض الله

الأمين

* الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي

جدة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

العوفى

محمد سالم بن شديد

* العلاقات السياسية بين الدولة الفاطمية والدولة العباسية في العصر السلجوقي

ط١ ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

الغامدى

عبد العزيز بن صقر وآخرون

* مكة المكرمة في شذرات الذهب للغزاوى (دراسة وتحقيق لبعض المعالم الجغرافية)

مطبوعات نادى مكة الثقافي ١٤٠٥هـ .

الفعر

محمد فهد عبد الله

* تطور الكتابات والنقوش في الحجاز منذ فجر الاسلام حتى منتصف القرن السابع الهجري

ط١ ، منشورات مكتبة تهامة ، جدة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

القوصى

عطية

* تجارة مصر في البحر الأحمر منذ فجر الاسلام حتى سقوط الخلافة العباسية

دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٧٦م .

كامل

محمود

* اليمن شماله وجنوبه تاريخه وعلاقاته الدولية

بيروت ١٩٦٨م .

كحالة

عمر رضا

* معجم قبائل العرب القديمة والحديثة

بيروت ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م .

الكردى

محمد طاهر

* التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم

ط١ ، مكتبة النهضة الحديثة ، مكة المكرمة ١٣٨٥هـ .

ماجد

عبد المنعم

* السجلات المستنصرية (تحقيق)

دار الفكر العربى ،القاهرة ١٩٥٤م .

* نظم الفاطميين ورسومهم فى مصر

ط٢ ، مكتبة الأنجلو ، القاهرة ١٩٧٣م .

المالكى

سليمان عبد الغنى

* بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية فى بغداد

ط١ ، دارة الملك عبد العزيز ، الرياض ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

المسرى

حسين علي

* تجارة العراق في العصر العباسي

الكويت ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

المصرى

ذو النون

* عمارة اليمني

مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦٦م .

معروف

ناجى

* تاريخ علماء المستنصرية

ط٣ (بدون تاريخ طبع) .

المناوى

محمد حمدى

* الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي

دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٧٠م .

مؤنس

حسين

* ابن بطوطة ورحلاته (تحقيق ودراسة وتحليل)

القاهرة ١٩٨٠م .

مورتيل

ريتشارد

* الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي

ط١ ، عمادة شؤون المكتبات ـ جامعة الملك سعود ،
الرياض ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

النبراوى
فتحية
* العلاقات السياسية الاسلامية وصراع القوى الدولية في العصور الوسطى
ط١ ، القاهرة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

الهمدانى
حسين بن فيض الله
* الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن
مكتبة مصر ، القاهرة ١٩٥٥م .

وانلى
خير الدين
* المسجد فى الاسلام
ط٢ ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

اليوزبكى
توفيق سلطان
* تاريخ تجارة مصر البحرية في العصر المماليكى
مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر ، الموصل ١٩٧٥م .

رابعا : المراجع المعربة .

زامباور
ادوارد فون
* معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الاسلامي

ترجمة زكي محمد حسن ، وحسن أحمد محمود ، جامعة فؤاد الأول ، القاهرة ١٩٥١م .

لوبون

غوستاف

* حضارة العرب

ترجمة عادل زعيتر ، ط٤ ، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م .

متز

آدم

* الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري

جزءان ، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة ، ط٤ ، بيروت ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م .

خامسا : البحوث والدوريات والمؤتمرات العربية .

ابراهيم

عبد اللطيف

* وثائق الوقف في الأماكن المقدسة

دراسات تاريخ الجزيرة العربية ، الكتاب الأول ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

أحمد

محمد حلمي محمد

* الحياة العلمية في مصر والشام

المجلة التاريخية المصرية ، مجلد ٧ ، ١٩٥٨م .